رؤية نفسك كما يراك



الله

جوش ماكدويل

المحتويات

الجزء الخامس – اكتساب هوية جديدة

عرفان وشكر

هذا الكتاب هو طبعة منقحة لكتابي السابق صورته وصورتي (His Image, My Image).
بمساعدة ودعم الأشخاص التالية أسمائهم، قمت بإعادة كتابة هذا الكتاب بالكامل لأجعله أكثر حداثة ووثيق الصلة بعالم الوقت الحالي.
أريد أن أشكر كل من:

ويلون وورد (Waylon Ward)، الذي عمل معي بكل براعة في الكتاب الأصلي. مشورته الحكيمة وتجاربه العملية في الكتاب الأصلي لم تضع هباءً في هذه الطبعة المنقحة. أدين بالكثير من العرفان بالجميل لصديقي ويلون؛

الدكتور ديفيد فيرغسون (Dr. David Ferguson)، من أجل مداخلاته ونصائحه لجعل هذا الكتاب أكثر صلة بالموضوع. رسالة ديفيد في حياة الخدمات الحميمة التي أثرت على الآلاف من الناس واضحة كل الوضوح في هذه الصفحات؛

إيد ستيورات (Ed Stewart)، لخبرته ومهارته في الكتابة ولأجل قلبه المليئ بالعاطفة الذي جعل هذه الكلمات تصبح حية من أجلك أنت أيها القارئ؛

ديف بيليس (Dave Bellis)، مرافقي لأكثر من واحد وعشرين عاماً، من أجل تنسيق هذا المشروع منذ البداية وحتى النهاية. أني احترم بعمق القيمة التي وضعها ديف في هذا المشروع وفيّ أنا شخصياً.

لين فانديرزالم (Lynn Vanderzalm). المحررة مع Tyndale House Publisher، من أجل مواهبها التحريرية والكتابية وبصيرتها حيث أنها أعادت صياغة وتشكيل الكثير من هذه الصفحات إلى كتابٍ أكثر إيجازاً وتركيزاً.

الجزء الأول

من أنت؟

الفصل الأول

يوجد بداخلك أكثر مما تراه العين

تخيل نفسك وقد أتاك شخص وسلمك رسالة بالبريد المسجل. ما أن تفتح الرسالة وتبدأ بالقراءة، فسوف تصاب بالدهشة والذهول بسبب الإثارة. تدرك فوراً أنه بإمكان هذه الرسالة أن تغيّر حياتك وتحقق أحلامك المالية.

الرسالة من مكتب شؤون الموظفين في شركة عالمية كبرى تدعوك فيها لتقديم طلب لوظيفة مريحة في منصب ذا مستوى عالٍ يكون راتبك فيها ثلاثة أضعاف ما تتقاضاه في الوقت الحالي - مع زياداتٍ ضخمة على الراتب وفرص علاوات مذهلة. على نحو مذهل، تجد أن جميع المؤهلات المطلوبة تنطبق عليك. كل ما عليك فعله هو تعبئة الطلب المرفق وإعادته إلى المركز الرئيسي. فتجلس وتبدأ بتعبئة الطلب فوراً.

يوضح الطلب أنه يجب عليك الخضوع لفحص شامل لهويتك. يطلب منك مكتب شؤون الموظفين إرسال رزمة من المواد التي تصف من أنت بالتفصيل.

ماذا سوف ترسل إذن؟

من المرجح أنك سوف تبدأ بصورة تمثل أفضل وضعية وشكلاً مهنياً رائعاً. تبدأ بالبحث في الدروج وتنظر إلى عدة صورة كنت تريد إحراقها في يوم من الأيام: الصورة البشعة في جواز السفر؛ وصورة لك وأنت ببذلة السباحة تكشف عن الكيلوغرامات القبيحة الزائدة؛ وتجد أيضاً صورة لك تمثلك بملابس وقصة شعر تثير الضحك حسب الموضة الحالية. تقرر

أن تذهب فوراً إلى مصور محترف لتحصل على صورة مناسبة وحديثة. أنت تريد بكل تأكيد أن يكون وجهك هو أفضل ما يمثلك في هذه الحالة.

ثمَّ تبدأ بعد ذلك بتجهيز سيرتك الذاتية التي هي عبارة عن سجل مطول ومفصل عن تعليمك وتاريخك المهني وأنشطتك المدنية والكنسية. قد تقع تحت إغراء إضافة قائمة بانجازاتك الجديرة بالذكر بما فيها المناصب التي توليتها ودرجات الشرف والمكافآت التي تلقيتها والترقيات التي نلتها. كإجراء جيد آخر يمكنك إضافة بضع رسائل توصيات مليئة بالمديح والإطراء من أصدقاء وزملاء يعرفون كم أنت شخص رائع. وأهم ما سيكون في تلك الرزمة رسالة من راعيك تمجد خدمتكً غير الأنانية لله وللآخرين.

تقوم بإرسال رزمتك وتجلس منتظراً وابتسامة القناعة والرضا مرتسمة على وجهك. أنت واثق أنه حينما يقرأ موظفي شؤون الموظفين المواد الموجودة في طلبك، فإن الوظيفة ستكون مضمونة من دون ريب. لكن بعد بضعة أيام تُعاد إليك الأوراق مع رسالة من مكتب شؤون الموظفين تقول: «الطلب ناقص. أوراقك تخبرنا عن كيف يبدو شكلك وكم أدائك رائعاً وما الذي أنجزته، لكنك لم تخبرنا الشيء الكثير عمن تكون أو من أنت.»

من أنت ؟

إذا ما وصلتك مثل تلك الرسالة، فكيف سيكون شعورك؟ من المرجح أنك سوف تقول، «لكني أخبرتكم من أنا. فماذا تريدوني أن أقول أكثر من ذلك؟»

فكر بالموضوع. ما الذي يجعلك أنت بعينه؟ كما هو مذكور في الوصف الموجز أعلاه، بكل تأكيد إنها ليست خصائصك الجسدية ولا تاريخك المهني والتعليمي المؤثر ولا انجازاتك الكثيرة وليست مواهبك الروحية. علاوة على ذلك، الأمر لا يتعلق بأصلك العرقي ولا بأصالة عائلتك ولا بقناعاتك الاجتماعية - السياسية ولا موقفك من المجيء الثاني للمسيح. كل هذه العناصر الرئيسية، بقدر ما تبدو مهمة جداً بالنسبة لك، إلا أنها لا تمثل من أنت فعلياً. إنها مجرد الطبقات الخارجية لهويتك.

قال أحدهم، «الملابس تصنع الشخص،» ولكني بكل جدية أشك بأن أي شخص يأخذ تلك العبارة على محمل الجد. قد تعزز الملابس من قيمة الشخص أو تجعل الشخص متنكراً لفترة مؤقتة أو ترقي ذلك الشخص إستراتيجياً. نحن نعلم أنه يوجد للهوية ما هو أكثر من كيف نزين ونزخرف أجسادنا. تعدنا أحدث موضات الحمية وكيفية المحافظة على الأجساد المناسبة بتحويلنا إلى أشخاص جدد: التخلص من هذه الكيلوغرامات الزائدة وتنمية العضلات ومراقبة التغيير في حياتك. لكن هل الجسد المتحول يؤثر على هويتك الحقيقية؟ بالطبع لا. قد يصبح شعورك أفضل حيال نفسك. قد تعيش لفترة أطول. لكن هويتك الحقيقية ليست لها علاقة مباشرة سواء أكان جسدك متناسقاً جداً أو أنه يوجد بعض الترهل هنا وهناك.

إذا كانت هذه الطبقات الخارجية عبارة عن تجهيزات لهويتك الحقيقية، فمن هو الموجود تحت هذه الطبقات. من المرجح أن إجابتك على هذا السؤال لن تؤهلك أو تمنع عنك وظيفة سهلة عالية الراتب. في الواقع، إن فهمك عمن أنت فعلياً هو أهم بكثير لحياتك من مهنة مريحة ومحترمة.

تلعب هويتك الجوهرية - أو مفهومك عنها على وجه التحديد - دوراً حيوياً في تحديد كيف تمضي حياتك اليومية، ومدى الفرح الذي تختبره، وكيف تتعامل مع الناس الآخرين، وكيف تتجاوب مع اللّٰه. أنه لأمر جوهري وهام أن تعرف من أنت بمعزل عن كيف تبدو وما الذي تفعله.

هل أنت سعيد - وحتى تشعر بالإثارة في بعض الأحيان - حيال من أنت وإلى أين تمضي بك حياتك؟ هل تشعر بالسلام الداخلي حتى عندما تكون الطبقات الخارجية لمظهرك وأدائك ومنزلتك أقل من كاملة؟ بدون الإحساس الواضح بمن تكون أنت تحت هذه الطبقات الخارجية الكثيرة، فإنك قد تختبر درجة من عدم الرضا وعدم وجود هدف في حياتك. قد تشعر بإحساس مزعج بسبب خيبة الأمل المتواصلة من حياتك، مثل ذلك الطالب الجامعي الذي قال لِيٍ، «أنا أعرف يا جوش عشرين شخصاً على الأقل أفضل أن أكونهم بدلاً من أكون من أنا.» أو أنك تعيش تحت سحابة كآبة مطلقة كمثل ذلك الرجل الذي كتب لي قائلاً، «إني وحيد ومشوش. لا أشعر أني أستحق أن أعيش حياتي أكثر من ذلك. إنني أبكي طوال الليل. أتمنى في بعض الأحيان لو أني ميت.»

من الممكن أن يكون سؤال «من أنت» الصارم هو سؤال جديد بالنسبة لك. من الممكن أنك كنت تبذل قصارى جهدك على هذه الطبقات الخارجية لدرجة أنك فشلت في تعريّف نفسك على أنك شخص عظيم القيمة والاستحقاق ومخلوق على صورة الخالق و "**بِمَجْدٍ وَبَهَاءٍ تُكَلِّلُهُ**" **(مزمور ٨: ٥)**.

شكلت الكثير من التأثيرات طريقة نظرتك إلى نفسك. إذا ما كنت من أتباع مذهب السلوكية (Behaviorist – السلوكية: نظرية تقول أن دراسة سلوك الإنسان والحيوان الظاهر هو موضوع علم النفس الحقيقي

[من المترجم]). فقد تشعر أن الحياة عبارة عن حادثة كونية يكون فيها الناس أكثر بقليل فقط من الآلات المبرمجة. إذا كنت من مؤيديّ فكرة الوجودية (Existentialist – الوجودية: فلسفة معاصرة تؤكد على حرية الفرد ومسؤوليته [من المترجم]). فقد تعتبر حياتك حياة سخيفة. وإذا كنت من أنصار المؤمنين بنظرية النشوء والارتقاء، فأنت سوف ترى نفسك وكأنك أرقى ببضع خطوات جينية فقط عن القرد. في كل حوار من هذه الحوارات، فإن سؤال الهوية هو موضوع نقاش تجريدي بما أن قيمة الجنس البشري ككل مشكوك فيها في أفضل حالاتها. إذا لم يكن البشر أكثر من مجرد ذرات غير متتالية أو متعاقبة في الكون، فمن السهل الافتراض أن القيمة والأهمية الإنسانية ضعيفة للغاية.

فكرة علمانية ودنيوية أخرى قد تكون أثرت عليك تقول أن الكائنات البشرية مستقلة وتحكم نفسها بنفسها بالكامل. يدعي مناصري هذه الفكرة أن العلوم والتكنولوجيا تخلصت من عوائق الأيام الأكثر بدائية وأننا لم نعد مرتبطين بعد الآن بخرافات ومخاوف أجدادنا. بما أننا نضجنا جداً لحد الاستغناء عن حاجتنا لله والدين، فإننا أصبحنا أحرار كي نعيش حسب الطريقة التي نختارها. مرة أخرى سيكون السؤال عن الهوية الشخصية عديم الفائدة لهؤلاء الأشخاص الذين تولوا بكل وقاحة دور الخالق في التجربة الإنسانية.

الاندماج والتطابق مع الخالق

قالت إمرأة شابة عن صديقتها معلقة، «إنها من أجمل الفتيات في العالم، لكنها تعتقد أنها قبيحة على نحو لا يُصدق؛ إنها تعتبر نفسها شخصاً متناقضاً. لهذا السبب لا يمكنها الوثوق بأي شخص يقول لها إنه يحبها. كما لو أنها تقول لله، ' إذا كنت تحبني يا الله، فلا بد أنك غبي.'»

النقطة الواقعية الوحيدة في فكرة هذه الفتاة الشابة هي أن الله يحبها فعلاً. إن تفكيرها مزعزعاً ومتصدعاً لأنها فشلت في إدراك أن الله المحب يمتلك المفتاح لهويتها. إنه الوحيد الذي يعرف قيمتها الحقيقية التي هي بكل تأكيد أثمن بكثير من مظهرها أو أدائها أو منزلتها الاجتماعية. إنه هو فقط من يستطيع أن يلبي احتياجاتها للقبول والمحبة وأن يكون لها هدف.

يحتاج الناس في الوقت الحالي كي يعرفوا أن الله الذي خلقهم يحبهم ويقدرهم. هنا حيث تتحدث المسيحية عن البحث عن الهوية والغاية من الحياة. تحرر العلاقة الشخصية مع يسوع المسيح الشخص ليصبح كل شيء قد خلق من أجله. عندما يتجاوب الناس مع المسيح، فإنهم بكل بساطة لا يعتنقوا فلسفة في الحياة. إنهم يؤسسون علاقة شخصية مع خالقهم المحب، الوحيد الذي يعرفهم على نحو شامل ويحبهم بالكامل. ليصبحوا على معرفة بعد ذلك بأنهم أبناء ملك الملوك. من يمكنه أن يكون أكثر سعادة وجميع احتياجاته يتم تلبيتها من مثل ذلك الشخص الذي يمتلك هذه الهوية؟

بكل حزن، وجد البزوغ الساطع للألفية الثالثة الكثير من الناس من سكان الكرة الأرضية - وحتى المسيحيين - مجهدين وغير سعداء واحتياجاتهم غير ملباة وحتى أنهم مكتئبون. لماذا؟ لأن الكثير منهم غير واثقين فيما يتعلق بهويتهم الحقيقية. إن ثقافتنا / حضارتنا تتقبل على نحو كبير بأننا نمتلك القليل من القيمة والأهمية الشخصية الجوهرية. حتى الكنيسة تكون في بعض الأحيان مذنبة بتغطية قضية الهوية بالتشديد المبالغ به حول الطبيعة الخاطئة القديمة التي صُلبت ودفنت مع المسيح.

يمكن لإحساسنا بالهوية أن يتأثر سلباً عندما نرى الناس يشيرون إلينا على أننا «الخطاة المهتدون / المتحولون.» رغم كل شيء، فإننا لا نسمي الفراشة المتحولة يسروعاً. إنها فراشة الآن؛ كل الأمور القديمة زالت وكل شيء صار جديداً. عندما نثق ونؤمن بالمسيح، فإننا نصبح خليقة جديدة. **الأَشْيَاءُ الْعَتِيقَةُ قَدْ مَضَتْ. هُوَذَا الْكُلُّ قَدْ صَارَ جَدِيداً"** (**كورنثوس الثانية ٥: ١٧**).

أني أتمنى عبر هذا الكتاب أن أساعدكم ليس على فهم من أنتم فقط ولكن كي تتمتعوا بكل شمولية بما أنتم عليه شخصياً. أنا أعرف من تجاربي الشخصية أن النظرة الكتابية عن الله ونفسك والآخرين سوف تكون قوة محررة في حياتك. ما أن تبدأ بدمج نفسك مع الملك، فسوف تبدأ بالعيش كأمير الأمراء - الذي هو أنت. هويتك كابن الله ستحدث فرقاً في كيفية نظرتك للحياة ولصراعاتك ولعلاقاتك مع الآخرين ولعلاقتك مع الله.

من لست أنت؟

قبل أن نرى ما الذي يسهم في هويتنا الحقيقية، يجب علينا التعامل مع من لسنا نحن. يجب علينا صرف النظر عن الخرافات السائدة القائلة أن المظهر والأداء والمنزلة الاجتماعية تشكل الأساس لهويتنا كأشخاص.

الخرافة # ١: الصورة هي كل شيء

المظهر الجسدي اللطيف والجذاب هو الخاصية المميزة الأعلى قيمة في حضارتنا / ثقافتنا في الوقت الحالي. يسأل الناس أنفسهم باستمرار، «كيف نبدو؟» نحن ننزع إلى استنباط إحساسنا بالقيمة من المديح أو الاستهزاء الذي نتلقاه من الآخرين بناءً على مظهرنا.

مقتنعة أنه ليس هناك أي رجل سوف يحبها لأن شكلها ناقصاً. العمل مع نساءٍ هي تعتبرهن جميلات يجعل سوزان تشعر بالسوء أكثر حيال نفسها. عدم ثقتها وشعورها بعدم الأمان حيال مظهرها بدأ يؤثر على جودة عملها وفقدت بالنهاية عملها.

كان سام مشوهاً نتيجة حادثة حصلت له في طفولته خلفت في وجهه ندوباً دائمة. لقد عانى كمراهق وواجه الرفض من زملائه بالدراسة ومن الفتيات على وجه الخصوص. يمكن تلخيص إحساسه المشوه بهويته بكلمة واحدة فقط: شيء غريب أو نزوة استثنائية. نتيجة لذلك، أنسحب سام اجتماعياً وهرب إلى عالم غير واقعي مضياً ما يزيد عن عشرين ساعة أسبوعياً في مشاهدة الأفلام. أيضاً، من الممكن أن سام اعتبر ظلام قاعات السينما هي المكان الملائم للشيء أو النزوة الغريبة التي يعتقد أنها صفته.

إلى حدٍ ما، لقد تمَّ تشكيل إحساسنا بالهوية حسب مظهرنا - أو اعتقادنا كيف نبدو - أمام الآخرين. لقد وصلنا لا شعورياً إلى الاعتقاد أن للناس الأكثر جمالاً قيمة أكثر من الآخرين، وبما أن كل شخص يريد أن تكون قيمته عالية المستوى، فإننا نكافح كي نصبح أشخاصاً أكثر جمالاً.

لكن هل يتم تحديد هويتنا حسب الطريقة التي نبدو فيها؟ بالطبع لا - إنها خرافة. لو كانت تلك الخرافة صحيحة، فإن يسوع كان لن يتواصل بمحبة أبداً مع البرص والفقراء والمقعدين والعميان - هؤلاء الأشخاص الذين كان مظهرهم الخارجي أي شيء ما عدا الوسامة أو الجمال حسب المعايير البشرية. يجب أن نكون شاكرين أن هويتنا كخليقة الله أعمق من ذلك بكثير. يذكرنا الكتاب المقدس قائلاً، " **لأَنَّ الإِنْسَانَ يَنْظُرُ إِلَى الْعَيْنَيْنِ، وَأَمَّا الرَّبُّ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ إِلَى الْقَلْبِ» (صموئيل الأول ١٦ : ٧).**

أني لا أقول أن المظهر الجسدي ليس مهماً. لا يوجد أي شيء خاطئ في أن تكون متأنقاً وترتدي الملابس الجميلة وأن تهتم بجسدك لتبدو في أفضل حالاتك. الخطأ هو أن تفعل ذلك كي تصبح شخصاً ما. كونك خليقة اللّٰه - بغض النظر عن مظهرك - فأنت شخص له قيمة واحترام مسبقين.

الخرافة # ٢: أنت ما تفعله

تقترح خرافة أخرى للهوية أن أدائنا يحدد قيمتنا وهويتنا. نحن نعيش في مجتمع متكيف حسب العمل الذي يقيّم الناس فيه بناءً على مقدار ما يعملوه والطريقة الصحيحة التي يقومون به. وفي الكثير من الدوائر، فإن مقياس الكفاءة هو المقارنة. الأشخاص الذين يعملون بجهد أكثر أو لفترات أطول من زملائهم في العمل سيكونوا هم الأكثر ترشيحاً للترقية في العمل. نحن نميل في هذه البيئة إلى ربط هويتنا بشكل خاطئ بما نعمله وخصوصاً عند مقارنته بعمل الآخرين. وفقاً لذلك، فإننا قد نشعر بالتهديد عندما ينجح شخص آخر، أو قد نقع تحت الإغراء للإحساس بالفخر غير السليم عندما تتفوق قدراتنا على ضعفات شخص آخر.

أنا أعرف عن هذه المشاعر من تجاربي الشخصية. طُلب مني منذ عدة سنوات أن أتحدث في مؤتمر للأشخاص العازبين في فلوريدا، لكنني لم أكن قادراً على الذهاب. لذلك اقترحت على مدير المؤتمر دعوة زميلي السابق في سكن كلية ويتون (Wheaton College) وصديقي العزيز ديك بارنيل (Dick Purnell) والطلب منه أن يتحدث في المؤتمر. تذمر مدير المؤتمر قائلاً، «لكننا لا نعرف ديك بارنيل.» فأجبته، «ثق بكلامي فقط، فإن الناس سوف يحبونه.»

كل ذلك يبدأ في مرحلة الطفولة. بكل حزن، يمكن للأطفال أن يكونوا غير لطفاء على نحو غير رحيم في الطريقة التي يصفون مظاهر الأشخاص الآخرين. إذا ما كان قد أطلق عليك ألقاباً مثل أربع عيون أو الأنف الكبير أو شفة القرد أو مؤخرة الخنزير من قبل زملائك في الدراسة، فإن إحساسك بالهوية يكون قد تأثر سلباً. حتى أن بعض الأهالي يضيفون ويزيدون من تلك القسوة. تشير إحدى الأمهات مازحة إلى إبنتها على أنها «الفتاة البشعة في العائلة.» لكم أن تخمنوا كيف ستنظر تلك الفتاة لنفسها وهي تنمو. إذا كنت أنت المتلقي لمثل هذه السخرية، فإنك من المرجح أن تخزن بداخلك إحساساً مشوهاً على نحو سيء حيال هويتك: «أنا لا أحد وقبيح وأحول العينين.»

يمكن رؤية الأهمية التي نضعها على المظهر الجسدي في مقدار الأموال الهائلة التي نصرفها على الملابس ومواد التجميل والمجوهرات وقصات الشعر واللياقة البدنية. بالنسبة للكثير من الناس، فإن مجرد تحسين المظهر الخارجي ليس كافياً. الملايين من الدولارات غير المعلن عنها تُنفق سنوياً لتغيير المظهر الخارجي بطرق مثل عمليات التجميل وشفط الدهون ونقش الوشم. «يُجمل» الناس في الوقت الحالي كل شيء، من الأنوف إلى سرَّة البطن ووضع الأقراط وزخرفة كل جزء يمكن تخيله من الجسم. كلما اقترينا من الوصول كي نظهر «بالصورة الكاملة،» كلما ازدادت عظمة إحساسنا بالقيمة بالنسبة لأنفسنا وأمام الآخرين.

سوزان امرأة شابة عاملة والتي يتطلب منها عملها أن تكون بجانب النساء الجميلات يومياً. إنها جميلة جداً حسب المعايير المعاصرة، ولكنها لا ترى نفسها بهذه الطريقة. منذ سنوات مراهقتها، كانت والدتها تخبرها أن شكلها ليس بالشكل اللائق. بدلاً من إدراك قيمتها واحترامها كخليقة الله، فإن سوزان اعتبرت نفسها قبيحة وغير ملائمة. لقد كانت

بعد المؤتمر، هاتفني المدير وقال لي مازحاً، «نحن سررنا لعدم قدرتك على المجيء. كان ديك بارنيل رائعاً!» ولعدة دقائق في تلك اللحظة، بدا صديقي ديك وكأنه يشكل تهديداً كبيراً لي. حذرتني هذه المشاعر السلبية أنني كنت أؤسس هويتي وأمني على خدمتي في التحدث. ومع ذلك، فإني نجحت في التعامل مع هذه المشاعر، وأصبحت في وقت لاحق قادراً على مشاركة هذه القصة مع الآخرين قائلاً بكل صدق وأمانة، «تعليق المدير حول عدم مجيئي كان من أكثر الأحداث إفادة في نموي المسيحي لهذا العام.»

طُلب مني بعد عدة أشهر التحدث في مؤتمر لموظفي إحدى شركات الطيران. هذه المرة منعني المرض من تلبية الدعوة، وهكذا مرة أخرى أوصيت بطلب ديك. كنت في وقت لاحق بعد ذلك في رحلة طيران مع نفس الشركة وقابلت مضيفة كانت قد حضرت ذلك المؤتمر حيث قالت لي، «لقد كان لطيفاً جداً أنك كنت مريضاً. فالجميع أحب ديك!» لكن هذه المرة امتلئ قلبي بالعرفان بالجميل من أجل ديك وقدراته كمتحدث.

بعدما أرسلت ديك مرتين ليتحدث بدلاً عني ووجدت بعد ذلك أن الناس غمرتهم الفرحة لعدم حضوري، فأنا بكل تأكيد سعيد أن هويتي مؤسسة على شيء أعمق من أدائي. كان هناك أوقات شعرت فيها أن مثل هذا التجاوب كان سيشكل تهديداً لي ولصداقتي مع ديك. أتمنى الآن في بعض الأحيان أنه يوجد مئات مثل ديك بارنيل لإرساله بدلاً مني!

الشخص الذي يؤسس هويته على الأداء هو مدمن عمل بكل تأكيد تقريباً. لدى العديد منا لمسة من هذه الميزة أو المسحة في تكويننا. الخدام والعمال المسيحيين كثيراً ما يكونوا مصابين بالإدمان على العمل لأنهم يعتقدون أن قيمتهم أمام الله تعتمد على انجاز عمل الخدمة وتحقيق

المأمورية العظمى. مدمنين عمل آخرين ينتابهم الإحساس الجيد عن أنفسهم فقط عندما يصابون بالإرهاق نتيجة ساعات العمل الطويلة. قالت إحدى السيدات، «أنا فعلاً ينتابني الشعور الجيد في المساء عندما أشعر بالتعب الشديد لدرجة أني بالكاد استطيع الحراك.»

أخبرني أحد أصدقائي أنه تصارع مع هذا النموذج لمعادلة القيمة والاحترام مع الأداء. لقد نشأ وترعرع في بيت مسيحي، ولكن بغض النظر عن مدى جودة العمل الذي كان يقوم به لمهمة محددة، فإن والديه كانا يريدان منه أن يفعل أفضل من ذلك. إنه لم يسمعهما يقولان أبداً، «عمل رائع!» كان استحسان والديه، وخصوصاً والده، شيئاً مستحيلاً دائماً. قال لي، «كنت في البيت أصعد على السلم دائماً ولكن لم أصل للقمة أبداً.»

حتى الآن وهو شخص راشد، ما زال صديقي يعمل لينال استحسان والديه. كليهما ميت الآن، ولكن معاييرهما ما زالت تعيش فيه. ولأنه لا يستطيع أن يعمل بما فيه الكفاية ليشبع إدمان العمل الذي بداخله، فإنه ليس في سلام مع نفسه.

هل لديك ميول للإدمان على العمل؟ قد يكون هذا برهاناً على مدى الصعوبة التي تعانيها كي ترتاح. هل بإمكانك في بعض الأحيان أخذ يومٍ أجازة للاستجمام والراحة والتمتع فقط؟ هل بإمكانك الجلوس ساكناً لتقرأ أو ترتاح بدون الشعور بالقلق واللهفة حيال الأعمال التي يجب أن تُنجز؟ كثيراً ما يعاني مدمني العمل من الكآبة عندما تُعرقل أنشطتهم بالتقويم الزمني (أجازات، عطل عادية أو عطل نهاية الأسبوع) أو بسبب الظروف (المرض، التقدم بالسن، والبطالة).
ليس هناك أي خطأ في العمل لساعات طويلة والعمل بجهد. لكن إذا كان يجب عليك أن تكون نشيطاً لمجرد أن يكون شعورك جيداً حيال من

تكون، فقد تكون هويتك مؤسسة على أدائك بدلاً من قيمتك غير المحدودة بالنسبة لله بغض النظر عن أي عمل تنجزه. عندما اختار يسوع تلاميذه ألاثني عشر، فإنه دعاهم أولاً "**ليكونوا معه**" ومن ثمَّ "**أَقَامَ اثْنَيْ عَشَرَ لِيَكُونُوا مَعَهُ وَلِيُرْسِلَهُمْ لِيَكْرِزُوا وَيَكُونَ لَهُمْ سُلْطَانٌ عَلَى شِفَاءِ الأَمْرَاضِ وَإِخْرَاجِ الشَّيَاطِينِ**" (مرقس ٣: ١٤-١٥). وكما قال أحدهم ذات مرة، لقد خُلقنا ككائنات حية وليس ككائنات عاملة. ولا أي قدر من الأنشطة من أجل الله يمكن أن يحل محل أن تكون ابنه.

الخرافة # ٣: هل أنت شخص ما إذا كنت تمتلك القوة فقط؟

خرافة ثالثة مشهورة متعلقة بالهوية موجودة في سؤال، «كم أنا مهم؟» هذه هي قضية المنزلة الاجتماعية. لا يشعر الكثير من الناس بالشعور الجيد حيال أنفسهم ما لم يكونوا يمتلكون قوة أو تأثير أو سيطرة مهمة على الناس الآخرين. هويتهم مغلفة بمقدار المنزلة الاجتماعية التي ينجزونها. هؤلاء الأشخاص مندفعون للسعي وراء الحصول على الشهرة في العمل والسياسة والكنائس وعلاقات الصداقة ليشعروا أن لحياتهم قيمةً واحتراماً.

كان جاك وغريس زوجين مسيحيين لطيفين في أوائل الخمسينيات من عمرهما. عندما كبر أولادهما وغادروا البيت، ابتدأ جاك وغريس بتخصيص المزيد من الوقت لكنيستهما كمتطوعين. لقد انضما ليخدما في اللجان ويعلما في مدارس الأحد وقيادة مجموعات دراسة الكتاب المقدس. كعضو جديد متلهف وممتلئ بالحيوية والنشاط في لجنة تعليم المنهاج الدراسي المسيحي، عرض جاك عليهم أن يخدم كرئيس مجلس الإدارة. وحيث أن أحداً آخر لم يكن يمتلك الوقت الكافي للقيام بعمل ذلك، تمَّ قبول عرض جاك بسرعة. دخلت غريس في خدمة دراسة الكتاب المقدس للنساء وسرعان ما أصبحت قائدة مجموعة صغيرة وعضو في قيادة الفريق.

بعد فترة وجيزة من الوقت وفي دورهما الخاص بهما، بدأ كل من جاك وغريس تجميع المزيد من العمل بكل براعة ودهاء. استطاع جاك إقناع اللجنة بتحويل المنهاج الدراسي للتعليم المسيحي إلى النوع الذي كان يستخدمه كمعلم في كنيسته السابقة. ولأن اللجنة أرادات الاحتفاظ بجاك، فإنها وافقت على اقتراحه. رغم ذلك، سبّب تغيير المنهاج الدراسي الفوضى والدمار لميزانية التعليم المسيحي وأثار العصيان والتمرد بين أفراد الهيئة التدريسية الذين كانوا مقتنعين تماماً بالمواد الموجودة من قبل. هذا الأمر جعل جاك يقترح بوضوح أنه يرحب بمنصب بدوام جزئي كمدير للتعليم المسيحي.

وفي غضون ذلك الوقت، تولت غريس بهدوء ودهاء قيادة أكبر في خدمة النساء. لقد بدأت باستخدام موادها الخاصة بها في تدريس الكتاب المقدس في مجموعتها الصغيرة بدلاً من تدريس المواد التي تستخدمها بقية المجموعة. ومارست غريس أيضاً تأثيرها على لجنة الخلوة النسائية السنوية ضاغطة بقوة لتكون مسؤولة عن الكثير من التفاصيل المهمة. تركت غريس في جميع محاولاتها الانطباع بأن أفكارها وطرقها هي أسمى وأهم من أية أفكار أخرى ويجب على اللجنة أن تعترف بذلك.

بعد عدة أشهر، بدأت السيطرة الماكرة والبارعة لجاك وغريس في خدمتهما الخاصة بهما تؤثر سلباً على بقية المتطوعين. شكر قادة الكنيسة جاك وغريس لرغبتهما بالخدمة وطلبوا منهما أن يكونا أكثر تجاوباً مع مواهب الأعضاء الآخرين. ما أن شعر كل من جاك وغريس أن أجنحة قوتهما ومنزلتهما الاجتماعية قد تقلصت، فإنهما بالنهاية تركا الكنيسة ليبدءا فقط بالعملية مرة أخرى من جديد مع طائفة جديدة متلهفة من أجل المتطوعين الذين يمتلكون الخبرات.

بالنسبة للكثير من الناس مثل جاك وغريس، فإن القيمة والهوية الشخصية تكونا مرتبطتين على الأقل بجزء من المنزلة الاجتماعية والإحساس بالأهمية. أنهم لا يقتنعوا ويرضوا أن يكونوا مستعدين فقط للخدمة عندما يُطلب منهم ذلك. أنهم يحبوا بل ويجب أن يمارسوا التأثير والقوة للإحساس بالقيمة الجديرة بالاهتمام. إذا كانت هويتنا كأبناء لله وأن قيمتنا بالنسبة للناس مؤسسة على مستوى الأهمية والمنزلة الاجتماعية التي ننجزها، فإن معظمنا لن يكون بذلك الحظ. يجب أن يكون في الشركة الواحدة القليل من المدراء التنفيذيين، وفي المجتمع الواحد القليل من القادة السياسيين، وفي الكنيسة الواحدة القليل من رؤوساء اللجان.

يقول الكتاب المقدس بكل وضوح إن هويتنا كشعب الله لا تعتمد على المنزلة الاجتماعية التي نصل إليها. على عكس التفكير القائل أن الأهمية والمنزلة الاجتماعية تعادل الدلالة والمعنى، فإن يسوع أعلن قائلاً، "**وَأَكْبَرُكُمْ يَكُونُ خَادِماً لَكُمْ. فَمَنْ يَرْفَعْ نَفْسَهُ يَتَّضِعْ وَمَنْ يَضَعْ نَفْسَهُ يَرْتَفِعْ**" (متى ٢٣: ١١-١٢). اختار المسيح اثني عشر شخصاً عادياً كي يكونوا أعز تلاميذه وتغاضى عن القادة الدينيين الذين كانوا معتزين بمنزلتهم الاجتماعية وأهميتهم الذاتية. لقد سكب قلبه في قلوب تلاميذه وأودعهم مهمة تبشير العالم بالأخبار السارة.

سواء أكنت شيئاً أو لم تكن شيء في عائلتك أو في عملك أو مدرستك أو في كنيستك، فأنت شيء ما بالنسبة لله. سواء أنجزت أموراً عظيمة أو صغيرة، فأن قيمتك وهويتك عند الله لا تضعف ولا تقل. الهوية الذاتية السليمة هي رؤية نفسك كما يراك الله - لا أكثر ولا أقل.

الهوية الذاتية السليمة هي رؤية نفسك كما يراك الله - لا أكثر ولا أقل

تحطيم قيود الماضي

هل ترى نفسك موصوفاً في صفحات هذا الفصل؟ هل أنت محبط قليلاً لإدراك أنك أرفقت الكثير من قيمتك وهويتك بمظهرك وأدائك ومنزلتك الاجتماعية؟ إذا كان الأمر كذلك، فأنت لست وحيداً. أنا مقتنع ومتأكد أن معظم الناس يبلغون مرحلة الرشد بإحساس منحرف ومشوه عن قيمتهم عند الله وبالنسبة للآخرين، وكنتيجة لذلك، فإن إحساسهم يصبح منحرفاً بالنسبة لهويتهم الحقيقية. عزز أهالينا ومعلمينا ووسائل الإعلام وعالم التسويق والدعايات، وحتى بعض من اختباراتنا الدينية من الفكرة الرئيسية القائلة أن هويتنا الحقيقية تتشكل حسب مظهرنا وكيفية أدائنا وما الذي ننجزه. وحتى عندما نفهم الحقيقة، فإنه من الصعب جداً التخلص من النماذج الراسخة للأفكار التي يبدو أنها تسيطر على سلوكياتنا في هذه المجالات.

نحن نشبه ذلك الفيل الذي يعيش في السيرك وقدمه مربوطة إلى وتد بسلسلة أو جنزير دراجة هوائية. كيف يمكن لسلسلة ضعيفة جداً أن تقيد وتحد من حرية حيوان ضخم كهذا؟ يبقى الفيل مقيداً بهذه السلسلة بسبب الذاكرة. عندما كان الحيوان صغيراً جداً، حاول أن يحرر نفسه من السلسلة ولكنه لم يكن قوياً بما فيه الكفاية ليفعل ذلك. تعلم الفيل أن السلسلة كانت أقوى منه، وهو لم ينسَ هذا الدرس. على الرغم من أنه الآن قوي بما فيه الكفاية للفرار، إلا أنه نادراً ما يحاول فعل ذلك لأنه تكيف مع الأسر. في اللحظة التي يستطيع فيها التخلص من

القيد، فسوف يكون من الصعب السيطرة عليه مرة أخرى بأية وسيلة من الوسائل.

إن مفهومنا عن الهوية يعمل بنفس الأسلوب. نحن تكيفنا واعتدنا منذ مرحلة الطفولة على أهمية المظهر والأداء والمنزلة الاجتماعية التي بقينا مرتبطين بها كفكرة رئيسية زائفة حتى عندما عرفنا أننا أفضل من ذلك. لكن حقيقة من أنت هي أقوى من السلاسل الرقيقة التي تمنعك من إدراك مكانتك الكامنة الكاملة كخليقة الله الفريدة والقيّمة. مثلك مثل الفيل، يمكنك اختبار التحرر من هذه القيود الداخلية. يمكنك ممارسة كونك وريثاً كابن لله بكل الفرح الهادف والمليء بالمعاني. سوف يبين لك هذا الكتاب كيف تفعل ذلك.

الحصول على صورة أكثر وضوحاً عن هويتك

جزء من فهم من أنت يشمل فهم من هو الله وأن تختبر قلبه تجاهك. تأمل بعمق في الحقائق التالية عن الله. اصرف بعض الوقت لكتابة إجاباتك على هذه الأسئلة في دفتر ملاحظات أو مفكرة.

الله محبة. نقرأ في يوحنا الأولى ٤: ١٦: « **اللهُ مَحَبَّةٌ، وَمَنْ يَثْبُتْ فِي الْمَحَبَّةِ يَثْبُتْ فِي اللهِ وَاللهُ فِيهِ.** »

ماذا يعني بالنسبة لك أن الله محبة؟

يقول جزء آخر من الآية، « **نَحْنُ قَدْ عَرَفْنَا وَصَدَّقْنَا الْمَحَبَّةَ الَّتِي لِلّهِ فِينَا.** » ماذا يعني بالنسبة لك أن الله الذي هو محبة، يحبك؟

الله هو الخالق. نقرأ في اشعياء ٤٤: ٢٤: **" هَكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ فَادِيكَ وَجَابِلُكَ مِنَ الْبَطْنِ أَنَا الرَّبُّ صَانِعٌ كُلَّ شَيْءٍ."**

ماذا يعني بالنسبة لك أن الله هو الخالق؟
ماذا يعني بالنسبة لك أن الله الخالق قد خلقك؟

جزء ثانٍ من فهم من أنت يتضمن سماع ما يقوله الله عمن تكون. استمع لصوت الله يتحدث إليك:

١. يقول الله، «أنت ابني.» نقرأ في يوحنا ١: ١٢: **" وَأَمَّا كُلُّ الَّذِينَ قَبِلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ سُلْطَاناً أَنْ يَصِيرُوا أَوْلاَدَ اللهِ أَي الْمُؤْمِنُونَ بِاسْمِهِ."**

خذ هذه الآية واجعلها شخصية بالنسبة لك: «لقد آمنت أن الله قبلني. لقد منحني الله الحق كي أكون ابنه.»
ماذا يعني بالنسبة لك أن الله يهتم بك جداً لدرجة أن يجعل منك ابنه وابنه الخاص جداً.
هل تشعر بقلب الله تجاهك؟

٢. يقول الله، «أنت مختار.» نقرأ في أفسس ١٤: **" كَمَا اخْتَارَنَا فِيهِ قَبْلَ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ، لِنَكُونَ قِدِّيسِينَ وَبِلاَ لَوْمٍ قُدَّامَهُ فِي الْمَحَبَّةِ."**
خذ هذه الآية واجعلها شخصية بالنسبة لك: «لقد اختارني الله حتى قبل أن يخلق العالم لأكون مقدساً وبلا لوم.»
ماذا يعني بالنسبة لك أن الله قد اختارك - ليس ضمن مجموعة هائلة من الناس، ولكن اختارك أنت؟
هل تشعر بقلب الله تجاهك وهو يفكر بك حتى قبل أن يخلق العالم؟

رؤية نفسك كما يراك الله

اصرف بعض الوقت لتشكر الله على ما أعلنه عن نفسه لك. استمع له وهو يتكلم بهذه الكلمات لقلبك خلال الأيام والأسابيع القادمة. دع هذه الحقائق من الكتاب المقدس تشق طريقها بعمق في قلبك وفي هويتك.

الفصل الثاني

حلّ قضية الهوية الخطأ

هل تحمل في محفظة جيبك صوراً لعائلتك؟ هل تعرض هذه الصور بكل فخر على الآخرين عندما تتكلم معهم عن أهلك أو أشقائك وشقيقاتك وزوجتك / زوجك أو أطفالك؟ يكون معظم الناس أكثر من متلهفين لعرض صور أحبائهم. لكن كيف تشعر حيال عرض الصور الأخرى الموجودة في محفظة جيبك - مثل الصورة الموجودة على رخصة قيادة السيارة؟ من المرجح أنك سوف تنكمش لمجرد التفكير بذلك، كما أفعل أنا. عندما أخرج محفظتي من جيبي لأتباهى بزوجتي دوتي (Dotti) وأطفالنا الأربعة، فإني أضع إبهامي على «صورة المغفل» تلك الموجودة على الرخصة. يبدو أن موظفي دائرة الترخيص ماهرون في أخذ أسوأ الصور الممكنة للشخص. تلك الصورة لا تمثل فعلياً حقيقة من أنا أو كيف أبدو.

كل واحد منا يحمل بطاقة هوية شخصية فيها صورة. تلك الصورة التي هي أهم بكثير من أية صورة أخرى في محافظنا. إنها الصورة الذاتية الذهنية، إنها مفهومنا عمن نحن نكون. مثل صورتك الموجودة على رخصة القيادة، فإنه من الممكن أو من غير الممكن أن تمثل صورتك الذاتية الداخلية عمن أنت الحقيقي بكل دقة. حيث أن جودة الصورة يمكن أن تضعف بسبب عدم التركيز أو بسبب خطأ في خلفية الكاميرا، فإن صورتك الذاتية الداخلية قد تكون غير دقيقة لأن المدخلات لمفهوم من أنت قد تكون ذات عيوب أو ناقصة.

خذوا اليكس على سبيل المثال. الرسالة السائدة التي سمعها بينما كان ينمو كانت، «اليكس، ليس بإمكانك عمل أي شيء صحيح.» هل كان ذلك تمثيلاً دقيقاً عن اليكس؟ بأي شكل من الأشكال، فإني أقول كلا!

كان اليكس غير ملائم في بعض المجالات، كما هو الحال مع جميعنا. لكن أن تقول إنه لا يستطيع فعل أي شيء بطريقة صحيحة هي عبارة مبالغ فيها ورخيصة وحقيرة. وهكذا انطبعت هذه الرسالة على فلم قلب اليكس منذ الطفولة. يحمل اليكس الآن هذه الصورة الذاتية المشوهة حيثما يذهب. إنها صورة رجل عمره اثنين وثلاثين عاماً يعتبر ويرى نفسه أكثر بقليل من غلطة أو فشل على وشك أن يحدث. إنه يخجل من كشف هويته الخطأ أمام الآخرين، لهذا السبب هو خجول وغير اجتماعي.

من ناحية أخرى، خذوا بعين الاعتبار حالة تيريزا التي يشكل مفهومها عن هويتها نموذجاً مناسباً. نشأت تيريزا في بيت حيث ترعرعت تحت رعاية والدين مسيحيين محبين. تعلمت مبكراً أنها خليقة الله العزيزة والمحبوبة والفريدة. وكنتيجة لذلك، دخلت تيريزا سن البلوغ وهي واثقة جداً من قيمتها عند الله وعند الآخرين. إنها تتقابل مع الناس الجدد بكل سهولة واستخدمها الله لتجلب عدداً من صديقاتها الجديدات إلى المسيح.

كيف تشعر حيال صورتك الذاتية الداخلية؟ هل صورتك تشبه صورة اليكس أكثر، الصورة التي تسبب لك الخجل والصورة التي تبقيك مختبئاً؟ أو أنها تشبه صورة تيريزا أكثر، الصورة التي تشعر أنها تمثل تقريباً هويتك الحقيقة كإبن لله؟ أنا أتحدث لعشرات الآلاف من المراهقين والشباب سنوياً، وقد قمت بزيارة المئات منهم شخصياً بعد الاجتماعات. بكل حزن، فقد التقيت بعدد كبير من الناس مثل اليكس. على سبيل المثال، قال لي تود الذي كان يبدو عليه أنه متماسك ويشعر بالأمان، «إني اعتبر نفسي جباناً يا جوش. أنا أخاف جداً بما يظن الناس بيّ. من الصعب قبول نفسي. ما زلت أخاف النظر في عيون الناس أو حتى أن أكون بقربهم. أشعر وكأنني قمامة. خوفي أن يرفضني الناس عظيم جداً.»

يحمل أشخاص مثل اليكس وتود صورهم الذاتية الداخلية التي هي بعيدة جداً عن التركيز على نحو سيء. تمتلك القلة القليلة إلى حدٍ بعيد خلفية تنشئة إيجابية كتلك التي تمتعت بها تيريزا. الكثير من الناس يصارعون في الحياة بسبب حياتهم الصعبة في البيت، أو الحضارة / الثقافة الملحدة من حولهم، أو اختبارات دينية غير كتابية - أو بعض تركيبة ما من الثلاثة معاً - التي أعمت عيونهم عن هويتهم الحقيقية.

ما تراه هو ما تحصل عليه

سواء أحببنا ذلك أو لم نحب، إلا أن مفهومنا عمن نكون له تأثير كبير على كينونتنا العاطفية والعلاقاتية والروحية. أظهرت الأبحاث الدراسية أننا ننزع إلى التصرف بتناغم مع ما ندركه حسياً عمن نكون. على سبيل المثال، الأطفال الذين يتم الاستهزاء بهم كونهم غير أكفاء، فإنهم ينمون وهم ينزعون لعمل المزيد من الأخطاء. الأشخاص الذين يعتبرون أنفسهم قليلي الجاذبية كثيراً ما يعاونون من صعوبة الحفاظ على علاقات صداقة سليمة. إذا كنت ترى نفسك فاشلاً، فإنك سوف تجد طريقة ما لتفشل فيها بغض النظر عن الجهد الذي تبذله لتنجح. إذا رأيت نفسك كفؤاً وتمتلك القدرات بسبب علاقتك مع الله، فأنت سوف تواجه الحياة بتفاؤل أعظم وأداء أفضل ما لديك.

دخل بن في صراع، عندما كانَ في السادسة من عمره، مع بعض المفاهيم المبكرة في المدرسة. مختبراً أولى محاولاته المتعثرة، لأن أهل بن وأجداده كانوا يعتبرونه غبياً ومغفلاً. كلما سمعهم بن يقولون ذلك، كلما زاد من صراعاته مع دروسه. نتيجة لذلك، كان لإحدى الصور الذاتية الداخلية الأولية لبن عنواناً كبيراً بكلمة واحدة تقول: غبي. عاش بن طوال سنواته الدراسية وهو يحمل لا شعورياً الهوية الخطأ التي تشربها بينما كان في سن السادسة من عمره.

تزوجت تانيا من رون وهي لا تعلم أي شيء عن التدبير المنزلي. حقيقة أن أهلها لم يعلموها أساس الطهي خلقت انطباعاً عند تانيا بأنها لا تمتلك الكفاءة المطلوبة في المطبخ. كان رون من الأشخاص التقليديين كالذي يتوقع من تانيا أن تكون قد جهزت وجبة طعام شهية تنتظره عندما يصل البيت. هذا وعلى الرغم من أن تانيا كانت هي الأخرى تعمل. كانت تانيا في الأسابيع الأولى من الزواج إما أن تحرق الطعام أو لا تطهوه بطريقة صحيحة. كانت اللازانيا تخرج من الفرن متفحمة السواد. الدجاج المقلي كان نيئاً من الداخل والحلوى الهلامية تبدو مائية وكأنها حساء. وكان رون غير لطيف البتة تجاهها حيث كان يوبخها قائلاً: «ما هي مشكلتك يا تانيا؟ أنتِ حتى لا تعرفين كيف تسخنين علبة طعام جاهزة.» عندما كانت تانيا تتخيل نفسها في المطبخ، كانت تتخيل أنها تضع حول رقبتها يافطة كبيرة مكتوب عليها «فاشلة.» بما أنها كانت ترى نفسها بهذه الطريقة، فإنها استمرت بالطهي بطريقة بائسة.

المفاهيم الواضحة عن الهوية الحقيقية هي الموجودات النفيسة لحياة سليمة وسعيدة ومنتجة. لكن الأحاسيس المشوه للهوية هي العراقيل أمام هذه القيم النفيسة والعزيزة جداً. أشخاص مثل بن وتانيا - الذين لديهم القناعة أنهم لا يمتلكون الكفاءة أو غير محبوبين أو قبيحين أو غير مهمين - فأنهم بشكل عام لا يحبون أنفسهم. أثناء الصراعات مع القبول الذاتي، فإنهم يقذفون بهذا المفهوم في وجه الآخرين ويكونوا غير قادرين على الاقتناع بأن أحد آخر يمكن أن يحبهم - حتى الله. تولد هذه المشاعر السلبية القلق والتوتر والكآبة، وتؤثر سلبياً على علاقات الصداقة وأداء العمل والنمو الروحي.

هل ترى نفسك برؤية ٢٠ / ٢٠؟

يمتلك الناس إما رؤية ضبابية أو رؤية واضحة عن أنفسهم. الأشخاص الذين يمتلكون الرؤية الواضحة عن هويتهم الحقيقة يشعرون بالأهمية. إنهم يفهمون أهميتهم بالنسبة لله وللآخرين وأن العالم هو مكان جيد لأنهم يعيشون فيه. إنهم قادرون على التفاعل مع الآخرين ويقدرون قيمتهم دون أن يشعروا بالتهديد. إنهم يشعون بالرجاء والفرح والثقة لأنهم مطمئنون على هويتهم كأبناء الله. أنهم يقبلون أنفسهم كونهم أفراداً من خليقة الله المحبوبين والذين يمتلكون الكفاءة والقيمة، ومفتدين ومصالحين لله ليصبحوا كل ما يريدهم أن يكونوا.

ومع ذلك، فهؤلاء الأشخاص الذين يمتلكون رؤية ضبابية عن هويتهم كخليقة الله، فإنهم يظهرون عدد من الميزات التي تُضعف شخصياتهم. دعونا نلقي نظرة على ثلاث من هذه الميزات.

١. **الأشخاص الذين يمتلكون رؤية ضبابية فيما يتعلق بهويتهم يعانون من صعوبة التواصل الجيد مع الآخرين**. بما أنهم متشبعون بفكرة عدم ملائمتهم، فإن الأشخاص الذين يمتلكون صورة ذاتية خاطئة يفتقدون للطاقة واللطافة المطلوبة للتواصل الإيجابي مع الآخرين. هذا صحيح على وجه الخصوص عندما يكونوا موجودين مع أشخاص يذكرونهم بتقصيرهم. الأشخاص الذين يمتلكون الإحساس الضعيف بالهوية هم بأمس الحاجة لتلقي الاهتمام الذي هم أنفسهم غير قادرين على الاهتمام غير الأناني بالآخرين. نتيجة لذلك، فإنهم في كثير من الأحيان يُعتبرون لا أباليين أو أنانيين. مشاعر عدم الكفاءة الناجمة عن الإحساس الضعيف بالهوية يمنعهم من التوصل إلى محبة الآخرين والاهتمام بهم.

٢. الأشخاص الذين يمتلكون الإحساس الضعيف بالهوية ينظرون أيضاً إلى الآخرين لتحديد كيف يروا أنفسهم في لحظة محددة.

عندما يكون هؤلاء الناس مع الأشخاص الذين يمدحونهم ويؤكدون على هويتهم، فإنهم يشعرون بقيمتهم. لكن عندما ينتقدهم أفراد العائلة أو الأصدقاء أو زملاء العمل، فإن إحساسهم بالهوية يأخذ منعطفاً سلبياً. نتيجة لذلك، فإنهم يكونوا عبيداً لآراء الآخرين. إنهم ليسوا أحراراً أن يكونوا أنفسهم لأن هويتهم تعتمد على استجابات الآخرين. تلك كانت هي الحالة بالنسبة لبوب.

بوب هو من نوع الرجال الوسيمين والمتأنقين والمتنفذين. أنه يمنح جواً من الثقة تجسد المبادئ التي يدرسها كمحاضر محفز. إنه يتحدث مع مجموعات رجال الأعمال عبر البلاد كلها حول مواضيع مثل كيف تُحفز فريقك وعن التسويق الجيد والثقة الشخصية. مصافحة بوب الواثقة وسلوكه الإيجابي يوصل النجاح والتأكيد . فما الذي يفعله إذن في مكتب مشير؟

عندما يتكلم بوب عن غضب زوجته وانتقاداتها ورفضها، فإن المظهر الخادع للثقة يبدأ بالانهيار. أنه يصبح رجلاً مختلفاً في البيت. النزاع في زواجه يجعل إحساسه بكفاءته يتأكل. يعترف بوب وهو يبكي بخوفه من الفشل دون دعم زوجته. ماذا حدث لثقته غير القابلة للاهتزاز؟ يكون إحساس بوب بقيمته عالياً في بيئة العمل الناجحة. لكن في البيت، وحينما تنعته زوجته بالفاشل، فإن ثقته بنفسه يتغلب عليها الشك الذاتي. بدون الصورة الواضحة عمن يكون، فإن صورة بوب الذاتية سوف تستمر بالتغيّر مثل الحرباء بناءً على المدخلات التي يتلقاها من الأشخاص الآخرين من حوله.

٣. **الأشخاص الذين يمتلكون المفهوم السلبي عن هويتهم يتصارعون أيضاً مع التوقعات السلبية**. إنهم يمضون في هذه الحياة متوقعين أن يكونوا مرفوضين ومخدوعين ومستهلكين وقليلي القيمة. وبما أنهم يتوقعون الأسوأ، فإن ذلك ما يسببه لهم سلوكهم في كثير من الأحيان. إنهم يتورطون في سلوكيات الهزيمة الذاتية. إنهم لا يثقون بالآخرين ويشكون فيهم. أنهم يتصارعون فيما بين الرجاء الهش القابل للكسر ليكونوا مقبولين عند الآخرين وبين الاعتقاد الضمني أنهم غير مقبولين وغير مرغوب فيهم.

خذوا كارين على سبيل المثال. بينما كانت تسير في مكتب مشير مسيحي، فإنها كانت تشبه طائر اللقلق؛ طويلة القامة ونحيلة ومنحنية الكتفين. كانت مشيتها تعكس كآبتها العميقة وإحساسها بعدم الكفاءة الشخصية. كانت ملابسها وتأنقها يدلان على أنها كانت تشعر بأي شيء ما عدا الإحساس الجيد عمن تكون. كل شيء كانت كارين تفعله يقول، «لن يحبني أي أحد أبداً.»
ذهبت كارين إلى المشير لأنها عرفت أن زوجها، الراعي، سوف يضطر لترك الخدمة لو أن سلوكها الذي لا تستطيع السيطرة عليه ظهر أمام الناس. كانت قد اعتادت على السرقات الصغيرة من المتاجر لعدة أشهر دون أن تنكشف. وفي الفترة الأخيرة، كانت تسيء معاملة طفل كان تحت رعايتها. إحساس كارين بعدم كفاءة هويتها خفض من قيمة أهمية تقييمها لذاتها. معتبرة نفسها خاطئة عديمة القيمة، فإن كارين توقعت الأسوأ من نفسها، فاتحة الباب أمام التصرفات والعادات الخاطئة.
لحسن الحظ، كان وضع كارين يحتمل كل شيء ما عدا كونه مستحيلاً. عندما فتح المشير عينيها وقلبها على هويتها الحقيقية في المسيح، فإن كارين تحولت. أصبحت كارين الآن امرأة مختلفة، زوجة راعي محبة ووالدة لثلاثة أطفال.

شخص واحد والكثير من الصور

ماذا ترى عندما تنظر إلى نفسك؟ ماذا يرى هؤلاء الأشخاص المقربين منك - أهلك أو زوجتك / زوجك أو أطفالك أو أصدقائك المقربين؟ كيف تبدو وتظهر أمام هؤلاء الذين لا يعرفونك جيداً - موظف الصندوق في المتجر أو الجار الذي يسكن في الشارع المقابل أو الشخص الذي يجلس في المقعد المواجه لك في الكنيسة صباح كل يوم أحد؟ ما الذي يراه الله عندما ينظر إليك؟ الإجابات على هذه الأسئلة حيوية جداً لعملية تحول مفهومك غير الدقيق عمن أنت إلى الإحساس الدقيق بهويتك الحقيقية.

من الواضح أن كل شخص يراك عبر منظوره الفريد والخاص به. إحدى الطرق لفهم المناظير المختلفة هي الأخذ بعين الاعتبار نافذة جوهاري (Johari Window)، التي هي وسيلة مشهورة تستخدم لتفسير عمليات فن التواصل الخطابي. كل واحد من هذه «الألواح الزجاجية» في نافذة جوهاري يمثل منظوراً مختلفاً.

يسمى اللوح الزجاجي الأول بالذات المفتوحة، يمثل ما الذي تراه أنت وما الذي يراه الآخرون عن نفسك. هذه هي الأشياء الواضحة: الإسم والمظهر والتاريخ العام والمعلومات السطحية وأي شيء تعلنه عن نفسك. اللوح الزجاجي الثاني، الذات المخفية، يمثل ما الذي تراه ولكن الذي لا يريد الآخرون أو لا يستطيعون أن يروه. هذا هو عالمك الخاص للأفكار والطموحات والرغبات السرية.

تمتلك في هذين اللوحين الأولين رؤية جيدة عمن تكون. أما في اللوحين الأخيرين، فإن إحساسك بالهوية يكون مقيداً.

اللوح الزجاجي الثالث، الذات العمياء، يمثل ما الذي يراه الناس الآخرون ولكن أنت من لا يستطيع أن يراه. على سبيل المثال، يعرف زوجك / زوجتك أنك والد صبور ومحب، في حين أنك ترى نفسك فاشلاً فقط. أو أن راعيك يرى موهبة تعليمك التي تستخدمها في مدارس الأحد رائعة، في حين أنك ترى نفسك غير ملائم وغير فعّال. اعتماداً على مشاركة ما الذي يراه الآخرون فيك، فإنه من الممكن إزالة بعض الأمور التي تصيبك بالعمى في هذه المجالات.

أخيراً، اللوح الزجاجي الرابع، الذات المجهولة، يمثل الذي لا يمكن أن تراه أنت أو أن يراه أي شخص آخر فيك: اختبارات منسية كانت قد شكلت سلوكياتك أو حوافز مدفونة أو جراح عميقة كنت قد تناسيتها لا شعورياً. الذات المجهولة هي الأكثر صعوبة للتعديل والإصلاح لأنك لا أنت ولا الناس الذين يحبونك تستطيعون أن تروها بكل سهولة.

إذا كنت تريد تغيير صورتك الذاتية الداخلية، فإنه من الواضح أنك بحاجة لمنظور آخر. أنت بحاجة لمساعدة شخص آخر يستطيع رؤية الألواح الزجاجية الأربع كلها في نفس الوقت، شخص يستطيع رؤية الصورة كما هي وعلى حقيقتها. علاوة على ذلك، يجب أن يكون ذلك الشخص محباً جداً بما فيه الكفاية ليقبلك كما أنت بالواقع وأن يكون قوياً بما فيه الكفاية لمساعدتك على تغيير ما الذي لا تستطيع أنت رؤيته ولا تمتلك القوة لتغييره.

ذلك الشخص هو اللّه بالطبع. إنه الشخص الوحيد فقط الذي يعرف كل شيء عنك ويحبك على كل حال. إنه الوحيد الذي يرى ماذا كنت وأين كنت في الماضي وما أنت عليه الآن، وما الذي ستكون عليه في يوم من الأيام. كان الملك داود في خشية ورهبة لأن اللّه كان يعرفه على نحو

كامل ومن الصعب تحليله. فقد كتب يقول:

يَا رَبُّ قَدِ اخْتَبَرْتَنِي وَعَرَفْتَنِي. أَنْتَ عَرَفْتَ جُلُوسِي وَقِيَامِي. فَهِمْتَ فِكْرِي مِنْ بَعِيدٍ. مَسْلَكِي وَمَرْبَضِي ذَرَّيْتَ وَكُلَّ طُرُقِي عَرَفْتَ. لأَنَّهُ لَيْسَ كَلِمَةٌ فِي لِسَانِي إِلاَّ وَأَنْتَ يَا رَبُّ عَرَفْتَهَا ...
كُلَّهَا أَحْمَدُكَ مِنْ أَجْلِ أَنِّي قَدِ امْتَزْتُ عَجَباً. عَجِيبَةٌ هِيَ أَعْمَالُكَ وَنَفْسِي تَعْرِفُ ذَلِكَ يَقِيناً. لَمْ تَخْتَفِ عَنْكَ عِظَامِي حِينَمَا صُنِعْتُ فِي الْخَفَاءِ وَرُقِمْتُ فِي أَعْمَاقِ الأَرْضِ. رَأَتْ عَيْنَاكَ أَعْضَائِي وَفِي سِفْرِكَ كُلُّهَا كُتِبَتْ يَوْمَ تَصَوَّرَتْ إِذْ لَمْ يَكُنْ وَاحِدٌ مِنْهَا.
(مزمور ١٣٩: ١-٤؛ ١٤-١٦)

فلا عجب أن داود صلى بثقة من أجل المجالات المظلمة وغير المرئية في حياته قائلاً، "اخْتَبِرْنِي يَا اللهُ وَاعْرِفْ قَلْبِي. امْتَحِنِّي وَاعْرِفْ أَفْكَارِي. وَانْظُرْ إِنْ كَانَ فِيَّ طَرِيقٌ بَاطِلٌ وَاهْدِنِي طَرِيقاً أَبَدِيّاً"
(مزمور ١٣٩: ٢٣-٢٤).

هذه هي ثقتنا العظيمة بينما نحن نطلب ونسعى لجعل صورتنا الذاتية تنحاز إلى كيف يجب أن يرانا الله. يعرفنا الله على نحو كامل ويحبنا بكل شمولية. ذاتنا العمياء وذاتنا المجهولة واضحتان كل الوضوح بالنسبة له. إنه يعلم ما الذي نحتاجه لإخراج هذه المجالات إلى النور. وهو متلهف بكل محبة على تحويلنا إلى ما خلقنا كي نكونه.

يمكنك تحويل الصورة الناقصة

قد تفكر قائلاً، «لا عجب أن حياتي كلها فوضى في فوضى يا جوش. إحساسي بالهوية مشوش ومضطرب. هل هناك من رجاء لي؟» صدقني، أنا أعرف تماماً كيف تشعر. إذا قرأت سيرتي الذاتية، البحث الميال للشك

(A Skeptic›s Quest)، فسيكون لديك فكرة كيف أن طفولتي مع والد مدمن على المشروبات الكحولية تركتني أشعر بإحساس ضعيف بقيمتي وهويتي كخليقة اللّٰه. لو أني تابعت السماح لاختبارات طفولتي في تلوين صورتي الذاتية الداخلية، لكنت ممتلئاً غضباً ويأساً. لكن كمسيحي شاب، فإن الصورة غير الدقيقة التي ورثتها من التأثيرات السلبية في حياتي بدأت بالتغيّر نحو اتجاه هويتي الحقيقية.

عندما تجعل صورتك الذاتية تنحاز إلى كيف يراك الله، فسوف تجد هوية سليمة

أريد أن أطمئنك على أساس الكتاب المقدس ومن اختباراتي الشخصية أن صورتك الذاتية الداخلية الناقصة ليست صورة دائمة. على الرغم من أن صورتك الذاتية قد تكون متجذرة عميقاً في ذهنك الواعي أو اللاواعي، إلا أن هناك رجاء. يمكنك تغيير تلك الصورة إلى فهم متزايد وأكثر دقة عن الشخص الذي خلقك اللّٰه كي تكونه. سوف لن ترى نفسك أبداً بنفس الوضوح الذي يراك فيه اللّٰه. لأن نقاط الضعف والعمى سوف تشوش على رؤيتك في بعض الأحيان. لكن بإمكانك رؤية نفسك بوضوح أكثر مما تراها الآن. وكلما رأيت نفسك كما يراك اللّٰه - أي هويتك الحقيقية - كلما أزداد تمتعك بكونك من تكون.عندما تجعل صورتك الذاتية تنحاز إلى كيف يراك اللّٰه، فسوف تجد هوية سليمة.

بدأت بوني، وهي فتاة مسيحية جديدة، بالذهاب إلى كنيسة كان الناس فيها متمسكين بالناموس جداً ومن النوع الذي يحكم على الناس ويدينهم. كانوا ينتقدونها كثيراً بما يتعلق بملابسها وممارساتها الدنيوية. شعرت بوني في تلك البيئة أنه يتوجب عليها إثبات إيمانها مراراً وتكراراً. أصاب بوني اليأس في أن تصبح مستحقة لمحبة اللّٰه وخلاصه، وهذا ما حصلت عليه مسبقاً بالإيمان. عندما غيرت بوني عملها وغادرت المدينة، فإن اليافطة المعنونة «غير مستحقة روحياً» كانت مرفقة بهويتها كنتيجة للمدخلات السلبية التي حصلت عليها.

كانت الكنيسة التي ذهبت إليها بوني في مدينتها الجديدة مختلفة على نحو منعش ومجدد. بدلاً من انتقاد ملابسها والحكم عليها بسبب بعض تصرفاتها، فإن الطائفة رحبت بها وقبلتها بما هي عليه. بعملهم هذا، فإنهم عكسوا قبول اللّٰه لبوني. في هذه البيئة الجديدة التي قُبلت فيها، تحول مفهوم بوني عن نفسها. لقد أدركت أنها ذات قيمة عظيمة عند اللّٰه وعند طائفتها المحبة. برؤية هويتها الجديدة بوضوح أكثر، فإن بوني اختبرت الانجاز العظيم في سيرها في الإيمان وأصبحت شاهدة نابضة بالحياة عن محبة اللّٰه.

أنت أيضاً يمكنك تحويل مفهومك ممن تعتقد أنك هو إلى من أنت فعلياً

كيف يحصل مثل هذا التحويل؟ سوف تجيب الفصول القادمة على هذا السؤال بتفاصيل أكثر، لكن هذا ما اختبرته. أولاً، دخلت في علاقة

شخصية ومحبة ومفعمة بالقوة مع اللّٰه بواسطة ابنه يسوع المسيح. ثانياً، عاهدت نفسي على التشبع من السمات المميزة للّٰه بدراسة كلمته. ثالثاً، لقد سمحت لمسيحيين آخرين، وخصوصاً هؤلاء الذين يرون هويتي الحقيقية أكثر وضوحاً مما أراها أنا، لمساعدتي على إعادة صياغة فهمي. بدأت الآن أرى نفسي كما يراني يسوع - وأنا أحب ما أراه!

أنت أيضاً يمكنك تحويل مفهومك ممن تعتقد أنك هو إلى من أنت فعلياً. بإمكانك إبدال الصورة المشوه والمخجلة والباعثة على الكآبة الملونة حسب نشأتك واختباراتك بتمثيل نابض بالحياة والإثارة لمن أنت هو بالواقع. أريد مساعدتك على رؤية نفسك كما يراك اللّٰه. أريد مساعدتك على أن تكتشف من أنت بالواقع، الشخص الخاص والمميز كما خُلقت بعيون اللّٰه.

الحصول على صورة أكثر وضوحاً عن هويتك

جزء من فهم من أنت يشمل فهم من هو اللّٰه وأن تختبر قلبه تجاهك. تأمل بعمق في الحقائق التالية عن اللّٰه. اصرف بعض الوقت لكتابة إجاباتك على هذه الأسئلة في دفتر ملاحظات أو مفكرة.

١. اللّٰه كليّ المعرفة. نقرأ في مزمور ١٣٩: ١؛ ٥: **"يَا رَبُّ قَدِ اخْتَبَرْتَنِي وَعَرَفْتَنِي ... مِنْ خَلْفٍ وَمِنْ قُدَّام حَاصَرْتَنِي وَجَعَلْتَ عَلَيَّ يَدَكَ".**
ماذا يعني بالنسبة لك أن اللّٰه يعرف كل شيء عنك؟
ماذا يعني بالنسبة لك أن اللّٰه كليّ المعرفة يعرف أنك محبوب وذو قيمة وكفاءة؟

٢. اللّٰه هو ملك الكون. نقرأ في أخبار الأيام الأول ٢٩: ١١: **" لَكَ يَا**

رَبُّ الْعَظَمَةُ وَالْجَبَرُوتُ وَالْجَلاَلُ وَالْبَهَاءُ وَالْمَجْدُ, لأَنَّ لَكَ كُلَّ مَا فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ. لَكَ يَا رَبُّ الْمُلْكُ, وَقَدِ ارْتَفَعْتَ رَأْساً عَلَى الْجَمِيعِ.»

ماذا يعني بالنسبة لك أن اللّٰه هو ملك الكون.

ماذا يعني بالنسبة لك أن اللّٰه الملك يحكم على كل ظروف حياتك؟

جزء ثانٍ من فهم من أنت يتضمن سماع ما يقوله اللّٰه عمن تكون. استمع لصوت اللّٰه يتحدث إليك:

٢. يقول اللّٰه، «أنت صنيعته.» نقرأ في أفسس ٢: ١٠: « **لأَنَّنَا نَحْنُ عَمَلُهُ، مَخْلُوقِينَ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ لأَعْمَالٍ صَالِحَةٍ، قَدْ سَبَقَ اللّٰهُ فَأَعَدَّهَا لِكَيْ نَسْلُكَ فِيهَا.**»

خذ هذه الآية واجعلها شخصية بالنسبة لك: «أنا صنيعة اللّٰه. جعلني اللّٰه جديداً بواسطة يسوع المسيح.»

ماذا يعني بالنسبة لك أن اللّٰه يدعوك بصنيعته، المخلوق النفيس.

هل تشعر بقلب اللّٰه تجاهك وهو يفرح بك؟

٣. يقول اللّٰه، أنت محبوب - للأبد. نقرأ في أرميا ٣١: ٣: « **وَمَحَبَّةً أَبَدِيَّةً أَحْبَبْتُكِ مِنْ أَجْلِ ذلِكَ أَدَمْتُ لَكِ الرَّحْمَةَ**».

خذ هذه الآية واجعلها شخصية بالنسبة لك: يحبني اللّٰه محبة أبدية ويقربني إليه في محبته لي أكثر.»

ماذا يعني بالمسبة لك أن اللّٰه يحبك محبة أبدية وأن أي شيء تقوله أو تفعله سيغير من محبته لك؟

هل تشعر بقلب اللّٰه تجاهك وهو يقربك إليه أكثر.

رؤية نفسك كما يراك الله

اصرف بعض الوقت لتشكر الله على ما أعلنه عن نفسه لك. استمع له وهو يتكلم بهذه الكلمات لقلبك خلال الأيام والأسابيع القادمة. دع هذه الحقائق من الكتاب المقدس تشق طريقها بعمق في قلبك وفي هويتك.

الفصل الثالث

تسليط الضوء على صورتك

كيف سوف تعرف من أنت؟ يجب عليك العودة إلى الذي خلقك. هويتك الحقيقية عمن تكون أنت هي تقييم الله. لاكتساب مفهوم أوضح عن هويتك الحقيقية، يجب أن ترى نفسك كما يراك الله، لا أكثر ولا أقل. السؤال الكبير هو إذن، كيف يراك الله؟ بما أني سأتكلم بتفاصيل أكثر لاحقاً في هذا الكتاب، فسوف أقدم هنا إجابات موجزة.

كيف يراك الله؟

١. يراك الله محبوباً للأبد. إنه أبوك. هو خلقك على صورته، "**وَقَالَ اللّهُ: "نَعْمَلُ الانْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا فَيَتَسَلَّطُونَ عَلَى سَمَكِ الْبَحْرِ وَعَلَى طَيْرِ السَّمَاءِ وَعَلَى الْبَهَائِمِ وَعَلَى كُلِّ الارْضِ وَعَلَى جَمِيعِ الدَّبَّابَاتِ الَّتِي تَدِبُّ عَلَى الارْضِ فَخَلَقَ اللّهُ الانْسَانَ عَلَى صُورَتِهِ. عَلَى صُورَةِ اللّهِ خَلَقَهُ. ذَكَرا وَانْثَى خَلَقَهُمْ" (تكوين ١: ٢٦-٢٧)**. أنت ذروة خليقته بارعة العبقرية. يتعجب المرنم من خلق الله للإنسان قائلاً، "**وَتَنْقُصَهُ قَلِيلاً عَنِ الْمَلاَئِكَةِ وَبِمَجْدٍ وَبَهَاءٍ تُكَلِّلُهُ" (مزمور٥:٨). تجاوباً لأيمانك في المسيح، رحب بك الآب في عائلته كابن له "وَأَمَّا كُلُّ الَّذِينَ قَبِلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ سُلْطَاناً أَنْ يَصِيرُوا أَوْلاَدَ اللَّهِ أَيِ الْمُؤْمِنُونَ بِاسْمِهِ. اَلَّذِينَ وُلِدُوا لَيْسَ مِنْ دَمٍ وَلاَ مِنْ مَشِيئَةِ جَسَدٍ وَلاَ مِنْ مَشِيئَةِ رَجُلٍ بَلْ مِنَ اللَّهِ" (يوحنا ١: ١٢-١٣). الله يحبك كثيراً لدرجة أنه عين ملائكته لحراستك "أَلَيْسَ جَمِيعُهُمْ أَرْوَاحاً خَادِمَةً مُرْسَلَةً لِلْخِدْمَةِ لأَجْلِ الْعَتِيدِينَ أَنْ يَرِثُوا الْخَلاَصَ ... لأَنَّهُ يُوصِي مَلاَئِكَتَهُ بِكَ لِكَيْ يَحْفَظُوكَ فِي كُلِّ طُرُقِكَ. عَلَى الأَيْدِي يَحْمِلُونَكَ لِئَلاَّ تَصْدِمَ بِحَجَرٍ رِجْلَكَ" (عبرانيين ١:**

١٤؛ مزمور ٩١: ١١-١٢).عمل اللّٰه تدبيراً مسبقاً لعلاقة حميمة متطورة ومستمرة معك لأنه يحبك. لا شيء يمكنك فعله يستطيع أن ينقص من حبه لك.

٢. يراك اللّٰه ذو قيمة على نحو مطلق. ما هي قيمتك عند اللّٰه؟ أعلن اللّٰه عند الجلجثة للسموات والجحيم والأرض كلها أنك تستحق عطية يسوع المسيح، ابنه الحبيب. إذا ما وضعت تسعيرة على نفسك، فسوف يكون مكتوب عليها «يسوع» لأن هذا ما دفعه اللّٰه ثمناً لخلاصك "أَمْ لَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ جَسَدَكُمْ هُوَ هَيْكَلٌ لِلرُّوحِ الْقُدُسِ الَّذِي فِيكُمُ الَّذِي لَكُمْ مِنَ اللّٰهِ وَأَنَّكُمْ لَسْتُمْ لأَنْفُسِكُمْ؟ لأَنَّكُمْ قَدِ اشْتُرِيتُمْ بِثَمَنٍ. فَمَجِّدُوا اللّٰهَ فِي أَجْسَادِكُمْ وَفِي أَرْوَاحِكُمُ الَّتِي هِيَ لِلّٰهِ ... عَالِمِينَ أَنَّكُمْ افْتُدِيتُمْ لا بِأَشْيَاءَ تَفْنَى، بِفِضَّةٍ أَوْ ذَهَبٍ، مِنْ سِيرَتِكُمُ الْبَاطِلَةِ الَّتِي تَقَلَّدْتُمُوهَا مِنَ الآبَاءِ، بَلْ بِدَمٍ كَرِيمٍ، كَمَا مِنْ حَمَلٍ بِلاَ عَيْبٍ وَلاَ دَنَسٍ، دَمِ الْمَسِيحِ" (كورنثوس الأولى ٦: ١٩-٢٠؛ بطرس الأولى ١: ١٨-١٩). موته على الصليب كان الدفعة عن خطاياك. أنت «تستحق يسوع» بالنسبة للّٰه لأن هذا ما دفعه من أجلك. هذا هو بيان قيمتك عند اللّٰه ورؤية اللّٰه عمن تكون هي الحقيقية. ومع ذلك فإن قيمتك هي قيمة مستمدة وليست قيمة مخلوقة ذاتياً. أنت يجب أن تدرك أنه لو كنت الشخص الوحيد على الأرض، فإن اللّٰه كان سوف يرسل ابنه لك. وليكلل ذلك العمل، فإن يسوع قهر الخطية والموت والقبر وعاد إلى السموات ليجهز لك بيتاً أبدياً "لاَ تَضْطَرِبْ قُلُوبُكُمْ. أَنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ فَآمِنُوا بِي. فِي بَيْتِ أَبِي مَنَازِلُ كَثِيرَةٌ وَإِلاَّ فَإِنِّي كُنْتُ قَدْ قُلْتُ لَكُمْ. أَنَا أَمْضِي لأُعِدَّ لَكُمْ مَكَاناً وَإِنْ مَضَيْتُ وَأَعْدَدْتُ لَكُمْ مَكَاناً آتِي أَيْضاً وَآخُذُكُمْ إِلَيَّ حَتَّى حَيْثُ أَكُونُ أَنَا تَكُونُونَ أَنْتُمْ أَيْضاً" (يوحنا ١٤: ١-٣).

٣. يراك اللّٰه كفؤاً على نحو شامل. قال يسوع لتلاميذه، "لَكِنَّكُمْ سَتَنَالُونَ قُوَّةً مَتَى حَلَّ الرُّوحُ الْقُدُسُ عَلَيْكُمْ" (أعمال ١: ٨). نتيجة لوعد يسوع، استطاع بولس أن يقول متباهياً، "أَسْتَطِيعُ كُلَّ شَيْءٍ فِي

الْمَسِيحِ الَّذِي يُقَوِّينِي» (فيلبي ٤: ١٣). يذكرنا بولس بطريقة مشابهة، «لَيْسَ أَنَّنَا كُفَاةٌ مِنْ أَنْفُسِنَا أَنْ نَفْتَكِرَ شَيْئًا كَأَنَّهُ مِنْ أَنْفُسِنَا، بَلْ كِفَايَتُنَا مِنَ اللهِ، الَّذِي جَعَلَنَا كُفَاةً لأَنْ نَكُونَ خُدَّامَ عَهْدٍ جَدِيدٍ. لاَ الْحَرْفِ بَلِ الرُّوحِ. لأَنَّ الْحَرْفَ يَقْتُلُ وَلكِنَّ الرُّوحَ يُحْيِي» (كورنثوس الثانية ٣: ٥-٦). منحك الله قوته بواسطة سكن الروح القدس فيك وإعلانه أنك كفؤ كسفير له. تأمل في الأمر: الله يثق بك جداً لدرجة أنه تركك على الأرض لإكمال خدمة المصالحة معه التي بدأها يسوع. «كما لو أن الله يعلن عن قضيته بواسطتنا»: «إِذاً نَسْعَى كَسُفَرَاءَ عَنِ الْمَسِيحِ، كَأَنَّ اللهَ يَعِظُ بِنَا. نَطْلُبُ عَنِ الْمَسِيحِ: تَصَالَحُوا مَعَ اللهِ» (كورنثوس الثانية ٥: ٢٠). أنت تتساءل في بعض الأحيان عن حكم الله في ثقته الكبيرة بك لتخدم بإسمه. أنتم جميعاً مدركون لضعفاتكم؛ كما أن الكثير من الأشخاص الآخرين يبدو أنهم مجهزون بطريقة أفضل منكم. لهذا السبب يذكرنا بولس قائلاً، «وَلكِنْ لَنَا هذَا الْكَنْزُ فِي أَوَانٍ خَزَفِيَّةٍ، لِيَكُونَ فَضْلُ الْقُوَّةِ لِلّهِ لاَ مِنَّا» (كورنثوس الثانية ٤: ٧). تأمل في الأمر: يستخدم الله هاوياً لبناء الفلك، ولكن المحترفين المتدربين هم من قاموا ببناء سفينة التيتانيك!

من المهم بالنسبة لنا أن نتذكر، رغم كل شيء، أن محبتنا وقيمتنا وكفاءتنا تتفرع مما كان الله قد خلقنا عليه ومما فعله من أجلنا. أنه ليس شيئاً ما بداخلنا أو أننا فعلنا أي شيء بأنفسنا لجذب انتباه الله أو لاستجداء اهتمامه. نحن ندين بهويتنا له وحده فقط. يجب أن نفرح دائماً مع المرنم وهو يقول، «أَحْمَدُكَ مِنْ أَجْلِ أَنِّي قَدِ امْتَزْتُ عَجَباً. عَجِيبَةٌ هِيَ أَعْمَالُكَ وَنَفْسِي تَعْرِفُ ذلِكَ يَقِيناً» (مزمور ١٣٩: ١٤).

العيش في النور

فلماذا إذن يعيش الكثير منا كما لو أننا لا نؤمن أن الله يعتبرنا محبوبين وذو قيمة وذو كفاءة؟ يصف الرسول بولس وضعنا قائلاً، **"لأَنَّكُمْ كُنْتُمْ قَبْلاً ظُلْمَةً وَأَمَّا الآنَ فَنُورٌ فِي الرَّبِّ. اسْلُكُوا كَأَوْلاَدِ نُورٍ" (أفسس ٥: ٨)**. قبل أن نصبح مؤمنين، كنا نعيش في الظلام. لكن عندما سلمنا وأخضعنا حياتنا لربوبية المسيح، أصبح الأمر وكأنه أضاء النور كي نستطيع رؤية الحقيقة.

صورة الله عنك تكشف أنه يراك كشخص محبوب وذو قيمة وذو كفاءة

هل ذهبت في يوم من الأيام إلى معرض فن حيث تكون الأنوار مضاءة في القاعة كلها ولكن الكشافات الضوئية التي تشع نوراً قوياً ليست مسلطة على الصور المتنوعة؟ عندما تكون الأنوار مضاءة في القاعة، فإنه يمكنك رؤية إطارات الصور، وقد تستطيع حتى أن تلمح بعضاً من الملامح في الصورة. لكن عندما تتم إضاءة الكشافات القوية، وعندما يتم توجيه ذلك الضوء القوي إلى كل صورة، فإنه يصبح باستطاعتك رؤية كل تفاصيل الصورة - تعبيرات الوجه ودرجة لون وملمس الجلد ولون العيون وتقوسات الشفاه. عندما تكون الكشافات الضوئية منارة، فإنه يمكنك رؤية الشخص كما يريدك الفنان أن تراه أو أن تراها.

نور الله يشبه تلك الكشافات الضوئية بالنسبة لنا. إنه يشع على نحو ساطع علينا ويبين لنا حقيقتنا التي خلقنا عليها.
لكن الكثيرين منا لم يروا صورة الله عنا بكل وضوح. نور حقيقته المتعلق

بهويتنا الحقيقية تمَّ حجبه أو تقييده بعدد من الظروف في حياتنا. عندما يتم حجب نور الله، فإن رؤيتنا عن أنفسنا ستكون مشوشة، وحياتنا سوف تعاني وفقاً لذلك. تأملوا أولاً كيف جعل الله النور يأتي إلى حياتنا. يحدد الكتاب المقدس ثلاثة مصادر لنور الله في العالم:

١. يسوع المسيح هو المصدر الرئيسي للنور. أعلن يوحنا عن يسوع، "**فِيهِ كَانَتِ الْحَيَاةُ وَالْحَيَاةُ كَانَتْ نُورَ النَّاسِ**" (**يوحنا ١: ٤**). وقال يسوع عن نفسه، "**أَنَا هُوَ نُورُ الْعَالَمِ. مَنْ يَتْبَعْنِي فلاَ يَمْشِي فِي الظُّلْمَةِ بَلْ يَكُونُ لَهُ نُورُ الْحَيَاةِ**" (**يوحنا ٨: ١٢**). الطريقة الوحيدة لجعل النور يأتي إلى حياتنا هي بإقامة علاقة شخصية مع المسيح. نحن ننمو بمعرفة أننا محبوبين وذو قيمة وذو كفاءة وتنمو هذه العلاقة بعمق أكبر بواسطة الشركة المقدسة الحميمة مع المسيح.

٢. كلمة الله، الكتاب المقدس هو مصدر آخر للنور. يكتب الملك داود قائلاً، "**سِرَاجٌ لِرِجْلِي كَلاَمُكَ وَنُورٌ لِسَبِيلِي**" (**مزمور ١١٩: ١٠٥**). كلما فتحنا عقولنا وقلوبنا لكلمة الله أكثر، كلما تمتعنا بالنور أكثر. نرى في نور كلمة الله أن الله يحبنا ويجعل لنا قيمة ويجعلنا أكفاء. المؤمنون الذين لا يدرسون ويختبرون الكتاب المقدس في حياتهم اليومية سوف يفتقدون النور الذي يحتاجونه.

٣. المؤمنون الآخرون هم مصدر لنور الله. الشخص الذي أعلن قائلاً، "**أنا هو نور العالم،**" قال أيضاً لتلاميذه، "**أَنْتُمْ نُورُ الْعَالَمِ**" (**متى ٥: ١٤**). أن نكون في علاقة مع المسيح، الذي هو نور العالم، فإن ذلك يملؤنا بالنور. إذا ما شاركنا نور المسيح وكلمته مع بعضنا البعض، فإننا ننمو في فهمنا بأن الله يحبنا ويقيّمنا ويجعلنا أكفاء. هذا هو السبب الرئيسي أننا تعلمنا من الكتاب المقدس، "**غَيْرَ تَارِكِينَ اجْتِمَاعَنَا كَمَا لِقَوْمٍ عَادَةٌ، بَلْ وَاعِظِينَ بَعْضُنَا بَعْضاً، وَبِالأَكْثَرِ عَلَى قَدْرِ مَا تَرَوْنَ الْيَوْمَ يَقْرُبُ**" (**عبرانيين ١٠: ٢٥**). نحن بحاجة للتفاعل مع بعضنا البعض حتى نغمر حياتنا بنور الله الذي يكشف عن هويتنا الحقيقية.

أين كنت عندما تعرضت للنور؟

سوف تساعدك عدة أسئلة حاسمة وهامة على اكتشاف لماذا تعيش في بعض الأحيان وكأنك لا تعرف أنك ابن الله المحبوب وذو القيمة وذو الكفاءة. اسأل نفسك الأسئلة التالية:

كم من النور كان موجوداً في بيتك بينما كنت طفلاً؟

هل كان والداك وأشخاص راشدون آخرون مهمين في حياتك مؤمنين؟ إذا كان الأمر كذلك، هل أظهروا نموذجاً عن علاقة محبة مع يسوع المسيح، أم هل كان «دينهم» دين قوانين وحرمان والشعور بالذنب؟ إذا كان ذلك صحيحاً، فأنت لم تحصل على الصورة الحقيقية التي يراك الله فيها. لقد نشأت وأنت ترى الله كغول رهيب كثير المطالب مستعد دائماً لسحقك إذا ما تجاوزت الحد. من المرجح أنك نشأت وأنت تعتقد أن محبة الله كانت شيئاً عليك أن تجهد كي تستحقها. من الممكن أنك أدركت حسياً أن قيمتك مؤسسة على أدائك وليس على قيمتك الجوهرية والحقيقية عند الله.

كم من نور كلمة الله رأيت في بيتك؟ هل كان والداك وأجدادك وأقارب آخرون مهمين في حياتك يقرؤون ويحترمون الكتاب المقدس؟ هل كان الكتاب المقدس والمواد الأخرى المتعلقة بالكتاب المقدس تُقرأ لك وأنت طفل؟ هل كان لعائلتك أوقات عبادة كانوا يستكشفون فيها الكتاب المقدس ويناقشون ما يستكشفونه بطرق كانت مناسبة لك ولمستوى فهمك؟ هل كانت تتم مناقشة القصص والمفاهيم الكتابية في بيتك على نحو غير رسمي؟ إذا كنت قد نشأت محاطاً بتفاعل وتطبيق إيجابي للكتاب المقدس، فإن كمية مهمة من النور كانت قد سُلطت على حياتك. لكن إذا كان الكتاب المقدس مفقوداً في حياتك وحياة أقربائك وفي نشأتك، فإن الظلام الناجم عن ذلك قد يكون قد ساهم في جعلك تشعر بالتشويش حيال من أنت في المسيح الآن.

هل كنت تذهب إلى الكنيسة وأنت طفل وفي سن المراهقة؟ هل كانت حقيقية الكتاب المقدس تُعلم وتكون نموذجاً في حياة كنيستك؟ هل كانت عائلتك تشجع مساهماتك في الأحداث التي كانت تجمعك مع مسيحيين آخرين من نفس عمرك مثل مدارس الأحد أو دراسة الكتاب المقدس أيام العطل أو أندية الكتاب المقدس أو اجتماعات وأنشطة الشبيبة؟ بينما كنت تجتمع مع مسيحيين آخرين من أجل الشركة المقدسة والدراسة، هل تعرضت للمزيد من نور الله؟ إذا كانت أنشطة الكنيسة والمجموعات المسيحية الأخرى لم تكن جزءاً من نشأتك، فإن إحساسك بالهوية قد يكون محدوداً لافتقارك للنور.

كم من النور كان موجوداً في الثقافة / الحضارة التي حولك؟

اعتقد أن المجتمع انتقل من عصر ما بعد المسيحية، كما دعاه الدكتور الراحل فرانسيس شافير (Dr. Francis Scheffer)، بفترة السبعينيات والثمانينيات، إلى عصر ضد المسيحية. قبل عدة أجيال، كان المسيحيون يتم تجاهلهم بكل بساطة. كان العالم يقول، «إفعلوا ما يحلو لكم من أموركم الدينية إذا كان ذلك يفيدكم، ولكن لا تتوقعوا منا أن نجاريكم.» العالم اليوم أكثر عدائية تجاهنا وتجاه القيم التي نفهم من الكتاب المقدس أنها مطلقة. نحن نسمع من العالم اليوم، «كيف تجرؤون على فرض قيمكم على المجتمع. اختيار ما هو صحيح وما هو خطأ هو قرار شخصي وليس قراراً يفرضه المجتمع أو الكنيسة.»

إذا كانت بيئتك محاطة بتأثير قوي باللامبالاة و / أو الخصومة والتنافر تجاه الله والكتاب المقدس والمسيحية، سيكون حينها النور محجوباً عن حياتك بسبب الظلال العميقة لثقافة / حضارة ضد المسيحية. بدلاً من تصوير البشرية على أنها خليقة الله المحبوبة وذات القيمة

الكفاءة. فإن ثقافتنا / حضارتنا أضاءت الكشافات الضوئية على الصلاح والإنجازات البشرية. نتيجة لهذه الطريقة المعتمة والكئيبة لرؤية من نحن، فنحن تلقينا القليل من المدخلات الإيجابية من بيئتنا المتعلقة بهويتنا الحقيقية.

كيف تطفئ الثقافة / الحضارة النور؟ من إحدى الطرق الرئيسية التي تعمي فيها الثقافة / الحضارة الناس عن الحقيقة هي بواسطة وسائل الإعلام. الرسائل السائدة في ثقافتنا / حضارتنا - هي أن الله عصا الضعيف؛ وأن يسوع المسيح ليس أكثر من معلم أخلاقي صالح؛ وأن الكتاب المقدس معرض للخطأ وغير ملهم به؛ وعبارة عن معتقدات أخلاقية مطلقة مهجورة وبالية الطراز - نحتفظ به في بيوتنا كما نحتفظ بالحيوانات الأليفة. تتدفق هذه الرسائل في البرامج التلفزيونية التي نشاهدها ومواقع الإنترنت التي ندخل عليها.

كم من النور يأتي إليك بواسطة أترابك؟

ما نوع الناس الذين كنت تخرج معهم بينما كنت طفلاً ومراهقاً؟ ماذا كان رأي أصدقائك وزملاء غرفتك في الجامعة وأفراد آخرين من مجموعة أترابك فيما يتعلق بيسوع المسيح والكتاب المقدس والمسيحية؟

في دراسة وطنية عن الشباب المسيحي، سألنا أكثر من ٣٧٠٠ شاب ممن كانوا يذهبون إلى الكنيسة أن يحددوا الأولويات التي يرغبون فيها من أجل مستقبلهم. من قائمة الخمس عشر حالة الأكثر رغبة، فإن الأولويات الثلاث الأولى كانت، **(١) "الزواج من شخص واحد لمدى الحياة"؛ (٢) "صحة جيدة"؛ (٣) "وجود علاقات صداقة شخصية مقربة."** الرؤية التي نمتلكها عن أنفسنا تتأثر في كثير من الأحيان بأترابنا لأننا جميعنا نريد وجود علاقات صداقة شخصية مقربة.

ضغط الزملاء، على سبيل المثال، يُساء فهمه في بعض الأحيان. يعتقد بعض الناس أن الإغراء الذي يجعل الشخص يتناول المشروبات الكحولية أو المخدرات يتولد وينشأ عن رغبة الشخص في المشروبات الكحولية والمخدرات، وأن الزملاء هم الوسيلة لذلك الإغراء. لكن الإغراء لنشاط أو سلوك غير مقبول يكون في كثير من الحالات هو الشيء الذي يغرينا؛ بل بالحري أنها الرغبة لنكون مقبولين من قبل الزملاء. ما نريده من زملائنا أن يعتبرونا هي القوة المحفزة لكل واحد منا. وما مدى الظلام الذي كان فيه زملاء طفولتك فيما يتعلق برؤية الله عن الهوية، فإنهم على الأرجح حجبوا النور عن فهمك.

صورة اللّٰه عنك تكشف أنه يراك كشخص محبوب وذو قيمة وذو كفاءة. إذا كنت غير قادر على رؤية تلك الصورة بوضوح، فقد يكون ذلك لأن كشافات اللّٰه الضوئية عن الحقيقة تمَّ حجبها أو تمَّ تخفيفها كثيراً. عندما نسمح لنور يسوع المسيح والكتاب المقدس ومسيحيين آخرين أن يسطع على صورتك، فأنت سوف تبدأ برؤية نفسك كما خلقك اللّٰه.

الحصول على صورة أكثر وضوحاً عن هويتك

جزء من فهم من أنت يشمل فهم من هو اللّٰه وأن تختبر قلبه تجاهك. تأمل بعمق في الحقائق التالية عن اللّٰه. اصرف بعض الوقت لكتابة إجاباتك على هذه الأسئلة في دفتر ملاحظات أو مفكرة.

١. اللّٰه نور. نقرأ في يوحنا الأولى ١: ٥: « **إِنَّ اللّٰهَ نُورٌ وَلَيْسَ فِيهِ ظُلْمَةٌ الْبَتَّةَ.**»

ماذا يعني بالنسبة لك أن الله نور؟

ماذا يعني بالنسبة لك أن الله خلقك كي تكون نور، « **لأَنَّكُمْ كُنْتُمْ قَبْلاً ظُلْمَةً وَأَمَّا الآنَ فَنُورٌ فِي الرَّبِّ. اسْلُكُوا كَأَوْلاَدِ نُورٍ**» (أفسس ٥: ٨)؟

٢. الله حنَّان. نقرأ في المزمور ١٤٥: ٨: « **اَلرَّبُّ حَنَّانٌ وَرَحِيمٌ**.»

ماذا يعني بالنسبة لك أن الله حنَّان؟

ماذا يعني بالنسبة لك أن الإله الحنَّان قد اختارك كي تكون ابنه؟

جزء ثانٍ من فهم من أنت يتضمن سماع ما يقوله الله عمن تكون. استمع لصوت الله يتحدث إليك:

١. يقول الله، «أنت نور العالم.» نقرأ في متى ٥: ١٤: «**أَنْتُمْ نُورُ الْعَالَمِ. لاَ يُمْكِنُ أَنْ تُخْفَى مَدِينَةٌ مَوْضُوعَةٌ عَلَى جَبَلٍ**.»

خذ هذه الآية واجعلها شخصية بالنسبة لك: «أنا واحد من أنوار الله في العالم.»

ماذا يعني بالنسبة لك أن الله يثق بك كي تكون نوره الذي يراه الجميع؟

هل تشعر بقلب الله تجاهك في جعلك ذا قيمة عالية لدرجة إنه جعلك واحد من ممثليه في العالم؟

٢. يقول الله، «أنت ابن النور». نقرأ في تسالونيكي الأولى ٥: ٥: «**جَمِيعُكُمْ أَبْنَاءُ نُورٍ وَأَبْنَاءُ نَهَارٍ. لَسْنَا مِنْ لَيْلٍ وَلاَ ظُلْمَةٍ**.»

خذ هذه الآية واجعلها شخصية بالنسبة لك: «خلقني الله ابن نهار. لست بحاجة للعيش في الظلام بعد الآن.»

ماذا يعني بالنسبة لك أن الله خلقك ابن نور؟

هل تشعر بقلب الله تجاهك وهو يغمر حياتك بالنور لأنه هو نور؟

اصرف بعض الوقت لتشكر اللّٰه على ما أعلنه عن نفسه لك. استمع له وهو يتكلم بهذه الكلمات لقلبك خلال الأيام والأسابيع القادمة. دع هذه الحقائق من الكتاب المقدس تشق طريقها بعمق في قلبك وفي هويتك.

الفصل الرابع

كيف تؤَثر الحاجات التي
لا يتم تلبيتها على هويتك

إذا كانت مصادر النور الثلاثة - يسوع والكتاب المقدس والمسيحيون الآخرين محجوبة عن حياتك، فأنت تعيش مع كثير من الاحتياجات التي لم يتم تلبيتها. ما لم تعالج هذه الاحتياجات، فإنها يمكن أن تشوه إحساسك بالهوية. تجربة جوانا هي مثال جيد.

جوانا، فتاة مسيحية جذابة، تصف حياتها كالتالي: «أنا دودة لا استطيع وصف ما اشعر به حيال نفسي على نحو ملائم. دودة تستطيع الزحف تحت الأرض دون أن تترك أي اثر. أنا مثل الحلزون العريان الذي يعيش في حديقة بيتنا. في أي مكان تذهب إليه، فإنها تترك ورائها أثراً كريهاً ومقرفاً. هذا ما أنا عليه؛ أني أسبب الفوضى العارمة في أي شيء أفعله.» يا له من وصف حزين لحياة شخص مؤمن!

جوانا تعيش في الظلام فيما يتعلق بهويتها الحقيقية. إنها ليست دودة وليست حلزونة. إنها ترتكب الأخطاء كما نفعل جميعنا، ولكنها بكل تأكيد «لا تسبب الفوضى في كل شيء» أينما تذهب.

يوجد الكثير من الاحتياجات التي لم يتم تلبيتها في حياة جوانا، ونتيجة لذلك أصبح إحساسها بهويتها الحقيقية مشوهاً. هذه الهوية الخطأ سجنتها في الكآبة والإدانة الشخصية واليأس وأبطلت عملياً نموها وشهادتها المسيحية.

عندما تصبح الهوية الحقيقية للمؤمن على أنه ابن اللّٰه المحبوب وله القيمة وهو كفؤ قاتمة بسبب عدم وجود النور، فإن النتائج تصبح مثيرة للشفقة. بشكل عام، يميل مثل هؤلاء الأشخاص نحو رؤية متشائمة ومليئة بالخوف من العالم وإلى عدم قدرتهم على التأقلم مع تحدياته. أنهم يعتبرون المواقف الجديدة أو غير المتوقعة تهديدات لسعادتهم وأمنهم. إنهم يشعرون أن العالم يضيق عليهم ويخنقهم ويحطمهم. يبدو أن كل مشاكلهم تتفرع من الفشل الشخصي.

الأشخاص المشوشون حيال هويتهم يميلون إلى الاستسلام لطرق الحياة دون تحديها أو محاولة تغييرها. أنهم يرون أنفسهم ضحايا في هذه البيئة العدائية.

بالمقارنة، الأشخاص الذين يسيرون على نور أنهم محبوبون ولهم قيمة وأكفاء من قبل اللّٰه يعتبرون العالم تحدياً عليهم أن يواجهوه، وفرصة لممارسة ثقتهم في المسيح. أنهم يقبلون أنه - بنعمة وقوة اللّٰه في حياتهم - يمكنهم تغيير بيئتهم نحو الأفضل. إنهم يعلمون أن مصيرهم يعتمد على ما يستطيع اللّٰه عمله من خلالهم وأنهم يستطيعون وسوف ينجزون أموراً من أجل الأبدية حتى في الظروف الصعبة.
أيضاً، الإحساس المشوه حيال الهوية يؤثر على العلاقات ويدفع للعيش على الجانب الدفاعي من ردود الأفعال. فالناس الذين يمتلكون الإحساس الخاطئ بالهوية سوف يفسرون رسائل وحوافز الأشخاص الآخرين حسب الصورة الذاتية غير الدقيقة التي يحملونها عن أنفسهم. على سبيل المثال، تواجه جوانا صعوبات في تقبل المديح أو الإطراءات من الآخرين. حسب رأيها، أي جوانا، فالحلزونة لا يمكن أن تكون جميلة أو مفيدة أو كريمة. إنها تحاجج أكثر قائلة، «هل يمكن لأي شخص لديه هذه المفاهيم الخاطئة عني أن يثق بي؟» ما لم تتحول صورتها الذاتية الداخلية، فإن

جوانا سوف تبقى تشك في كل شيء حتى في أكثر المحاولات إخلاصاً ودعماً لبناء شخصيتها.

العيش في ظل الاحتياجات التي لم يتم تلبيتها

كيف يصل أشخاص مثل جوانا إلى مثل هذه الرؤية غير الدقيقة عمن يكونوا؟ اعتقد أن الأمر يتعلق مباشرة بكمية نور اللّه الذي يُرشح في حياتهم. عندما يتم تشجيع الناس على إقامة علاقة حميمة ومتواصلة مع المسيح ومع كلمته ومع شعبه، فإن نور حقيقة اللّه سوف يغمرهم. وعندما يحدث ذلك، فإن احتياجات الناس الروحية والعاطفية والعلاقاتية تلبى، ويكتسب الناس منظوراً أوضح عن هويتهم الحقيقية كأبناء اللّه المحبوبين وأصحاب القيمة والكفاءة.

مع ذلك، وبكل حزن، فإن جوانا والكثير من الأشخاص المتألمين مثلها يعيشون مع احتياجات ناقصة ومليئة بالثغرات تلقي بظلالها على النور وتشوه قدراتهم على رؤية أنفسهم كما يراهم اللّه. عندما تلبى هذه الاحتياجات بواسطة يسوع وكلمته والمسيحيين الآخرين، فإن هؤلاء الناس المحتاجين سوف يصبحون قادرين على رؤية هويتهم الحقيقية.

أكثر احتياجاتنا أهمية

ما هي هذه الاحتياجات التي لم يتم تلبيتها والتي يمكن أن تلقي بظلالها على صورتنا الذاتية؟ في حين أنه يمكننا كتابة الكثير منها في قائمة كبيرة، لكن دعونا نلقي نظرة على لائحة لأهم عشر احتياجات عاطفية تخصنا جميعنا. هذه القائمة هي نتيجة أبحاث وعمل ديفيد فيرغسون (David Ferguson) الذي يدير خدمات الحياة الحميمة (Intimate Life Ministries) في مدينة أوستن، تكساس. ساعد ديفيد وزوجته تيريزا (Teresa) الآلاف من المؤمنين على اكتشاف هويتهم الحقيقية كأبناء اللّه (انظر الفهرس للمزيد عن خدمتهما).

يحدد ديفيد فيرغسون في كتابه مبدأ الوصية العظمى (The Great Commandment Principle) عشر احتياجات بشرية جوهرية وهامة من الكتاب المقدس يجب تلبيتها حتى نختبر الحميمية في علاقتنا مع اللّٰه والآخرين. عندما لا تلبى هذه الاحتياجات، فإن الناس يشعرون بالوحدة ويبدأ إحساسهم بهويتهم الحقيقية بالضعف والتناقص. جميعنا نحتاج إلى:

1. **الاهتمام**
2. **القبول**
3. **التقدير**
4. **الدعم**
5. **التشجيع**
6. **العاطفة**
7. **الاحترام**
8. **الأمان**
9. **العزاء**
10. **الاستحسان**

في محاولة لمساعدتك على فهم ما هي احتياجاتك الرئيسية من هذه القائمة للاحتياجات العشر، دعونا نلقي نظرة على كل احتياج بتمعن.

١. **الاهتمام**. يعني احتياجنا للاهتمام أننا نحتاج أن يفكر الناس فينا وأن يتواصلوا معنا بالرعاية والانتباه والاهتمام والدعم الملائمين لنا. عندما نهتم ببعضنا البعض، فإننا نختبر كلمة اللّٰه كما هو معبر عنها في كورنثوس الأولى ١٢: ٢٥: " **لِكَيْ لاَ يَكُونَ انْشِقَاقٌ فِي الْجَسَدِ بَلْ تَهْتَمُّ الأَعْضَاءُ اهْتِمَاماً وَاحِداً بَعْضُهَا لِبَعْضٍ**." الاهتمام يعني، «سوف

أدخل إلى عالمك وأعرفه لأنك محور للاهتمام.»

٢. **القبول**. يعني احتياجانا للقبول أننا نحتاج أن يتم قبولنا عن طيب خاطر، وأن يعتبرنا الآخرين جيدين ومناسبين، حتى وإن كانوا لا يتفقون معنا. عندما نقبل بعضنا البعض، فإننا نتبع التفويض الكتابي المعبر عنه في رومية ١٥: ٧: « **لِذَلِكَ اقْبَلُوا بَعْضُكُمْ بَعْضاً كَمَا أَنَّ الْمَسِيحَ أَيْضاً قَبِلَنَا لِمَجْدِ اللهِ.**» القبول يعني، «حتى ولو لم يتغير فيك أي شيء، فسوف تبقى محبوباً على كل حال كما أنت عليه تماماً.»

٣. **التقدير**. يعني احتياجنا للتقدير أننا نحتاج من الناس ألا يعرفوا من نحن فقط وما الذي فعلناه ولكن أن يتواصلوا معنا بالكلمات والمشاعر التي تقر بعرفانهم بالجميل. عندما نقدر بعضنا البعض، فإننا نتبع النموذج الكتابي المعبر عنه في كورنثوس الأولى ١١: ٢: « **فَأَمْدَحُكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ عَلَى أَنَّكُمْ تَذْكُرُونَنِي فِي كُلِّ شَيْءٍ.**» التقدير يعني، «الشكر على حسن الاهتمام ومراعاتك لشعوري. أنا ممتن جداً أنك هاتفتني.»

٤. **الدعم**. يعني احتياجنا للدعم أن يقف الناس إلى جانبنا ويساعدونا بلطف على تحمل مشكلة أو صراع. عندما ندعم بعضنا البعض، فإننا نختبر ما ورد في غلاطية ٦: ٢: « **اِحْمِلُوا بَعْضُكُمْ أَثْقَالَ بَعْضٍ وَهَكَذَا تَمِّمُوا نَامُوسَ الْمَسِيحِ.**» الدعم يعني ، «الشعور أنك تحتاج بعض المساعدة. وأطلب منك السماح بالتدخل في مساعدتك على حمل بعض من أثقالك.»

٥. **التشجيع**. يعني احتياجنا للتشجيع أننا نحتاج الناس ليس لحثنا ودفعنا للأمام فقط ولكن أن يحفزونا ويلهمونا بالشجاعة والروح والرجاء أيضاً. عندما نشجع بعضنا البعض، فنحن نتبع التفويض الكتابي المعبر عنه في تسالونيكي الأولى ٥: ١١: « **لِذَلِكَ عَزُّوا بَعْضُكُمْ بَعْضاً وَابْنُوا أَحَدُكُمُ الآخَرَ، كَمَا تَفْعَلُونَ أَيْضاً.**» التشجيع يعني أن،

«الكثير من الناس سوف يتأثرون إيجابياً بعملك الجيد في هذا الموضوع. والتأكيد على أنك ستنهيه بنجاح.»

٦. **العاطفة**. يعني احتياجنا للعاطفة أننا نريد من الناس توصيل الرعاية والتقارب بواسطة الملامسة الجسدية والكلمات المؤكدة والمشجعة. عندما نظهر لبعضنا البعض العاطفة، فأننا نختبر ما ورد في رومية ١٦: ١٦: "**سَلِّمُوا بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ بِقُبْلَةٍ مُقَدَّسَةٍ.**" تضع العاطفة يداً على كتف شخصٍ ما وتقول، «أنا سعيد لوجودك هنا اليوم.»

٧. **الاحترام**. يعني احتياجنا للاحترام أننا نحتاج لتقدير الناس وإدراكهم لقيمتنا وأن يحترمونا. عندما نحترم بعضنا البعض، فإننا نمثل ما ورد في بطرس الأولى ٢: ١٧: " **أَكْرِمُوا الْجَمِيعَ. أَحِبُّوا الإِخْوَةَ. خَافُوا اللهَ. أَكْرِمُوا الْمَلِكَ.**" الاحترام يعني، «اطلب المشورة حول موضوعٍ ما لأن بصيرتك وتفهمك مهمين جداً.»

٨. **الأمان**. يعني احتياجنا للأمان أننا نحتاج أن يحمينا الناس من الخطر والحرمان والعلاقات المؤذية. عندما نمنح الأمان لبعضنا البعض، فأننا نتبع الرغبة الكتابية المعبر عنها في مزمور ١٢٢: ٦-٨: "**اسْأَلُوا سَلاَمَةَ أُورُشَلِيمَ. لِيَسْتَرِحْ مُحِبُّوكِ. لِيَكُنْ سَلاَمٌ فِي أَبْرَاجِكِ رَاحَةٌ فِي قُصُورِكِ. مِنْ أَجْلِ إِخْوَتِي وَأَصْحَابِي لأَقُولَنَّ: سَلاَمٌ بِكِ.**" الأمان يعني، «أنا ملتزمٍ بك، وكما يسمح الله وبما يوفره، فسوف ألبي احتياجاتك الآن ومستقبلاً.»

٩. **العزاء**. يعني احتياجنا للعزاء أننا نحتاج الناس ليس لتخفيف من أحزاننا أو آلامنا فقط ولكن لمنحنا القوة والرجاء للاستمرار أيضاً.

عندما نعزي بعضنا البعض، فإننا نختبر ما ورد في كورنثوس الثانية ١: ٣-٤: **" مُبَارَكٌ اللهُ أَبُو رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، أَبُو الرَّأْفَةِ وَإِلَهُ كُلِّ تَعْزِيَةٍ، الَّذِي يُعَزِّينَا فِي كُلِّ ضِيقَتِنَا، حَتَّى نَسْتَطِيعَ أَنْ نُعَزِّيَ الَّذِينَ هُمْ فِي كُلِّ ضِيقَةٍ بِالتَّعْزِيَةِ الَّتِي نَتَعَزَّى نَحْنُ بِهَا مِنَ اللهِ."** العزاء يعني، «أنا آسف لسماعي عن طلاق أبنتك. لا بد أن ذلك كان وقتاً عصيباً عليك. إعلم أنني سوف أصلي لك وأكون متواجداً لسماعك والوقوف بجانبك خلال الأشهر القادمة.

١٠. **الاستحسان**. يعني احتياجنا للاستحسان أننا نحتاج الناس كي يعبروا عن الآراء الإيجابية عنا وأن يؤكدوا علينا ويشجعونا لأننا مرضيّن. عندما نمنح الاستحسان لبعضنا البعض، فإننا نتبع النموذج الكتابي المعبر عنه في رومية ١٤: ١٨: **" لأَنَّ مَنْ خَدَمَ الْمَسِيحَ فِي هَذِهِ فَهُوَ مَرْضِيٌّ عِنْدَ اللهِ وَمُزَكًّى عِنْدَ النَّاسِ."** الاستحسان يعني، «أنا مسرور منك.»

أن الله لم يخلقنا ولدينا هذه الاحتياجات فقط، ولكنه يريد تلبية هذه الاحتياجات من أجلنا أيضاً. لقد اختار تلبية هذه الاحتياجات ليس بواسطته فقط ولكن بواسطة أشخاص آخرين أيضاً. بعدما خلق الله الإنسان الأول، آدم، ووضعه في مرتبة الكمال في جنة عدن، قال الخالق، **"لَيْسَ جَيِّدا انْ يَكُونَ ادَمُ وَحْدَهُ فَاصْنَعَ لَهُ مُعِينا نَظِيرَهُ"** (تكوين ٢: ١٨). نحن نرى أن الله يرغب في مشاركة الآخرين معه لتخليص الآخرين من الوحدة. تتضمن خطته تلبية احتياجاتنا الفريدة والوحيدة بواسطة تدخله المباشر وبواسطة شريك / شريكة الزواج وأفراد العائلة الآخرين والكنيسة.

لكن عندما لا تلبى احتياجاتنا الحيوية، فإن نور الله سوف يحجب وسوف تختبئ هويتنا الحقيقية في الظلال. تأملوا في النتائج والعواقب عندما يصبح كل مصدر من مصادر الضوء الثلاثة هذه قاتماً.

في الظلام فيما يتعلق بمحبة الله لك

يذهب كيندال إلى مجموعة كبيرة لدراسة الكتاب المقدس للعزاب كل أسبوع تقريباً، ولكن معظم من حوله لا يعرفوا حتى أنه موجود. أنه بالكاد يصل في الوقت المحدد ويجلس وحده ويغادر بعد الصلاة الختامية فوراً. عندما يحاول أحدهم مشاركته الحديث، فإن كيندال يبدو غير مرتاح ويقدم القليل من المعلومات عن نفسه.

لاحظ ألفين، وهو أحد قادة المجموعة، تصرفات كيندال وقرر أن يقيم معه علاقة صداقة. ظل ألفين يطارد كيندال عدة أسابيع بعد دراسة الكتاب المقدس لمجرد أن يقول له مرحباً. بالنهاية أقنع ألفين كيندال أن يلتقيا على الغداء. بعد عدة لقاءات على الغداء والإفطار، بدأ كيندال بالانفتاح أمام صديقه الجديد المثابر ألفين.

قال كيندال في أحد الأيام، «لا يمكن أن يحبني اللّٰه ولا بأية طريقة من الطرق. إنه يتحملني فقط لأنني كنت قد قبلت المسيح كمخلص لي. لقد غفر خطاياي حسب ما ورد في يوحنا الأولى ١: ٩: "**إِنِ اعْتَرَفْنَا بِخَطَايَانَا فَهُوَ أَمِينٌ وَعَادِلٌ، حَتَّى يَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَيُطَهِّرَنَا مِنْ كُلِّ إِثْمٍ،**" لهذا السبب فقط هو غفر لي خطاياي. لكن اللّٰه لن يحبني أبداً كَابن له. أنا أعرف ما الذي فعلته. ومن الممكن أن يكون الوضع في السموات مختلفاً. لكن بالنسبة للوقت الحالي، فأنا فقط محظوظ أنني خلُصت.»

بحكمة، لم يتجاوب ألفين مع اعترافات كيندال بإمطاره بوابل من الآيات الكتابية عن محبة اللّٰه. إنه بدلاً من ذلك بدأ بالاستعلام بلطف عن خلفية كيندال. فقد عرف أن كيندال نشأ في بيت غير مسيحي. كان عمل والده يبقه بعيداً عن البيت لأسابيع طويلة. عندما كان الوالد يعود إلى البيت، كانت الوالدة تعطيه قائمة بأخطاء كيندال أثناء رحلته. كان الوالد يجلده بالسوط الجلد المناسب لكل معصية ارتكبها ويحذر الولد من السلوك السيئ أثناء رحلته القادمة. لا يتذكر كيندال أبداً أن والده

لامسه بعطف أو قال له، «أنا أحبك.»

إحساسهم بالانتماء يضعف ويتناقص عندما لا يشعرون بمحبة الله ومحبة الآخرين

كيف يمكن لأشخاص مثل كيندال أن يفشلوا في رؤية أنفسهم كأهداف لمحبة اللّه غير المشروطة؟ إحساسهم بالانتماء يضعف ويتناقص عندما لا يشعرون بمحبة اللّه ومحبة الآخرين. بما أنهم غير محبوبين من الأشخاص الذين يحتاجون منهم أكثر الحب، فأنهم يفترضون منطقياً أنهم غير محبوبين. إنهم فقط يقذفون ذلك الإدراك الحسيّ في وجه الآخرين من حولهم وعلى اللّه، ولكنهم يستطيعون توصيل رسالتهم بطريقة لا شعورية، «لا تقترب مني كثيراً لأنني لا استحق المحبة.»

من الصعب أن نصدق أنه يمكن للّه أن يحبنا إذا لم تلبى احتياجاتنا للمحبة.

١. **العاطفة**. قد يشعر الناس أنهم غير محبوبين عندما لا تلبى احتياجاتهم للعاطفة. مثلهم مثل كيندال، نشأ الكثير من الرجال والنساء وهم يفتقدوا المعانقات والقبلات والتربيت على الكتف والملاطفات على نحو ملائم من أهاليهم، وخصوصاً من آبائهم. عندما لا يلبى احتياج العاطفة المعين من اللّه على نحو ملائم، فإن الناس ينزعون إلى تلبية ذلك الاحتياج بأية طريقة يستطيعونها والتي ينتج عنها في كثير من الأحيان سلوكيات غير ملائمة ومؤذية.

إحدى الاستجابات هي إبقاء اللّٰه والآخرين بعيدين إلى مسافة آمنة. هذه كانت استجابة كيندال مما جعل من محاولات ألفين إقامة علاقة صداقة معه أمراً صعباً. طالما بقى كيندال بعيداً ومتحفظاً، كلما كان ذلك لن يذكره بأنه غير محبوب. لكن ببقائه بعيداً ومتحفظاً، لم يكن باستطاعة كيندال ممارسة مواهبه الروحية وخدمة احتياجات الآخرين من حوله جاعلاً ذلك منه عضو غير فعّال في جسد المسيح. لأنه وجد أنه من الصعب جداً التعبير عن العاطفة، فأنه أسقط افتقاده للمحبة على الآخرين.

أعراض أخرى لافتقاد العاطفة تظهر كالنقيض للانسحاب. يتشبث بعض الناس بعلاقاتهم، ويتطلبون بغيرة الوقت والعاطفة من زملائهم أو أفراد عائلاتهم. آخرين يطلبون ويسعون وراء العاطفة بواسطة العلاقات الجنسية المشوهة أو غير الشرعية أو بواسطة الإباحية والإشباع الذاتي. بعد عدة أشهر من الالتقاء مع ألفين، عرف كيندال بثقة أن جوعه للعاطفة نتج عنه إدمان على الإباحية وممارسة العادة السرية.

٢. **القبول**. قد يشعر الناس أنهم غير محبوبين عندما لا يتم تلبية احتياجاهم للقبول. نشأ كيندال وهو يشعر أن والده كان مهتما بالولد الذي يمكن أن يكونه إذا ما كان سلوكه أفضل، وليس بالولد الذي كان عليه. الناس الذين لا يشعرون بالقبول ينزعون للكفاح ليصبحوا أشخاصاً أو أشياءٍ ما بدلاً من الاسترخاء والتمتع بما هم عليه. لماذا؟ لأنهم يدركون حسياً أن أحداً لا يحبهم لما هم عليه. إنهم قد يتصارعون أيضاً مع الإحساس بالقبول من قبل اللّٰه. لذلك فإنهم يحاولوا جاهدين كسب قبوله بواسطة جهودهم ومحاولاتهم الدينية.

٣. **الاستحسان**. قد يشعر الناس أنهم غير محبوبين عندما لا يتم تلبية احتياجهم للاستحسان. قبل أن يقوم يسوع بكرازة إحدى مواعظه

أو القيام بعمل معجزة. كان اللّٰه الآب يعلن قائلاً: **« أَنْتَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرِرْتُ» (مرقس ١: ١١)**. نحن جميعاً نحتاج لمعرفة أن أحدهم يستحسننا بمحبة بمعزل عما ننجزه أو نساهم به. الأطفال بحاجة للإحساس باستحسان أهاليهم - سواء أحصلوا على علامة A أو أحرزوا هدفاً في لعبة كرة القدم أو في دوري البسبول للصغار أم لا. كان كيندال يلقى الاهتمام من والده فقط عندما كان يعمل شيئاً خاطئاً. عدم وجود الاستحسان هذا ترك كيندال يشعر بأنه غير محبوب.

الأشخاص الذين يشعرون بعدم الاستحسان سوف يصبحون على الأرجح ماسح للأرجل أو خاضعين بالكامل للآخرين. إنهم سوف يفعلون أي شيء ولأي شخص لاكتساب مقدار من الاستحسان. تستسلم الكثير من الفتيات المراهقات لعروض إقامة العلاقات الجنسية مع الشباب لاكتساب الاستحسان الذي يفتقدنه من أهاليهن. احتياج الاستحسان الذي لا تتم تلبيته يدفع ببعض المؤمنين إلى السلوكيات الصارمة والناموسية. إنهم يصبحون على قناعة أنه يجب عليهم حضور كل خدمة والصلاة لفترات أطول أو بصوت أعلى، وتقديم المزيد من العطاء للإرساليات، وقبول المزيد من المسؤوليات في الكنيسة لاكتساب الاستحسان الذي يسعون خلفه.

٤. **الاحترام**. قد يشعر الناس أنهم غير محبوبين عندما لا يلبى احتياجاهم للاحترام. نحن جميعاً نحتاج أن نشعر بالأهمية أو الإحساس أن شخصياتنا ومواهبنا ومساهماتنا مطلوبة. نشأ كيندال وهو يشعر أن دوره الوحيد في الحياة كان إعطاء والده العذر لينفس عن غضبه.
أحد الأعراض الرئيسية يشير إلى سبب أن احتياجنا للاحترام لم يتم تلبيته لعدم وجود الاحترام الذاتي. عندما نعتقد أن الآخرين يعتبروننا غير مهمين، فإننا نرى أنفسنا غير مهمين. البرهان على قلة الاحترام الذاتي

موجود في إغفال المظهر الخارجي والتأنق والعادات الصحية. الإحساس بعدم الأهمية الشخصية يمكن أن يقود إلى فقدان احترام القانون ووصايا الكتاب المقدس والناس الآخرين وكرامة الحياة الإنسانية وحتى كرامة المرء ذاته.

كان ألفين يقابل كيندال بصبر ومثابرة لعدة أشهر. بالنهاية استطاع القائد إقناع كيندال للانضمام إلى مجموعة من مجموعات الاهتمام في خدمة العزاب. أصبح كيندال في المجموعة هدفاً للاهتمام المحب من قبل ثمانية رجال عزاب ونساء عازبات.عندما تمّ تلبية احتياجات كيندال للعاطفة والقبول والاستحسان المُتجاهلة لمدة طويلة بواسطة أصدقائه الجدد، فإن مفهوم كيندال عن هويته تحول. لقد كان قد سمع عن محبة الله من الكتاب المقدس منذ أن كان ولداً صغيراً. وعندما بدأ باختبار تلك المحبة بواسطة الاهتمام الذي تلقاه من أصدقائه، فإن النور النامي بكثافة في روحه كشف عن أنه محبوب عند الله. أصبح كيندال خلال عامين عضو في فريق القيادة ويسعى لخدمة الآخرين بمحبة كما خدمه ألفين.

في الظلام فيما يتعلق بقيمتك عند الله

كان مقدراً لكاترينا أن تصبح عارضة أزياء وممثلة حتى قبل أن تولد. عندما كان عمر كاترينا ستة أشهر فقط، انتقلت بها جويس، والدتها غير المتزوجة، إلى لوس أنجلوس وسجلت إبنتها في وكالة عارضات أزياء لعمل الدعايات لمنتوجات الأطفال. كانت طفولة الفتاة الصغيرة مقيدة بإحكام بدروس عرض الأزياء والمنافسات، ودروس الرقص والتمثيل، وتجارب أداء الدعايات وأدوار صغيرة في عروض تلفزيونية. كانت جويس تشرف شخصياً على النظام القاسي للحمية واللياقة البدنية لكاترينا لضمان أن تشع كاترينا بالصحة والحيوية. لقد كانت مصممة على إبقاء إبنتها على الطريق السريع إلى نجومية هوليوود.

اختفت كاترينا في الليلة التي تخرجت فيها من مدرسة لوس أنجلوس الإعدادية للأناقة. ودعت والدتها بعد حفل التخرج، حيث كان من المفروض أن تذهب إلى النادي الريفي للاحتفال مع جميع زملائها وزميلاتها بالتخرج طوال الليل. لم تعد كاترينا إلى البيت في صباح اليوم التالي. وجدوها بعد عدة أشهر في ملجأ للمراهقين المشردين في بالتيمور، قذرة وخائفة من حياة الشوارع.

دفعت جويس ثمن تذكرة عودة كاترينا للبيت وصرخت في وجهها عندما قابلتها، «انظري إلى شعرك وإلى بشرتك، لقد دمرتِ حياتكِ.»

فأجابتها كاترينا بغضب قائلة، «كلا يا والدتي. لقد دمرت حياتك. لم يكن لي حياة أبداً كي أدمرها، إلى أن هربت من البيت. لقد سلبتِ طفولتي. لقد جعلتِ مني لعبة باربي تنبض بالحياة من أجل تسليتكِ ومتعتكِ الخاصة بكِ. لقد كنت إبنتكِ عندما كنت أعرض الأزياء أو أمثل فقط. حسناً، لعبتكِ الباربي قد نضجت الآن، يا والدتي، ولا يمكنكِ اللعب معي بعد الآن.»

بقيت كاترينا في لوس أنجلوس وحصلت على وظيفة خدمة الموائد. بدعوة من زميلة صف سابقة لها، بدأت كاترينا بالذهاب إلى كنيسة صغيرة. على الرغم من أن أعضاء الكنيسة لم يكونوا يعرفوا أي شيء عن ماضي كاترينا، إلا أنها واجهت صعوبة في قبول ترحيبهم الحار في البداية. كانت تنتابها نفس الهواجس عن اللّه، معتقدة أنه لا يريد شخصاً فعل مثلما ما قامت بفعله. كانت قيمتها كإنسانة مرتبطة بمظهرها وأدائها لفترة طويلة.

يصل الكثير من الناس إلى مرحلة البلوغ بإحساس ضبابي عن قيمتهم أمام الله والآخرين. كثيراً ما يقيّم الأهالي وأشخاصٌ راشدون مهمون آخرون الأطفال على أساس انجازاتهم بدلاً من قيمتهم الفطرية كأفراد دفع عنهم الله الثمن الأسمى في ابنه. ويحمل هؤلاء الأطفال معهم صورهم الذاتية غير الدقيقة عن أنفسهم إلى مرحلة البلوغ، شاعرين أنهم اكتسبوا اهتمام الله بأنشطتهم فقط. عندما لا تلبى الاحتياجات الخاصة والمحددة، فإن الناس الذين يؤمنون أنهم بدون قيمة يصبحون ملوثين بالسلوكيات الانهزامية.

١. **الاهتمام**. كثيراً ما يشعر الناس بعدم القيمة عندما لا يتم تلبية احتياجهم للاهتمام. نحن نهتم بالآخرين عندما ندخل إلى عالمهم مظهرين الاهتمام بالأشياء التي يهتمون بها. يكتسب الطفل الاهتمام حينما يجلس الوالد أو الوالدة على الأرض ليلعبوا كما يريد الطفل أن يلعب. بإجبار كاترينا على دخول عالمها الخاص بها في عرض الأزياء والتمثيل، فشلت جويس في تلبية احتياج كاترينا للاهتمام. كانت قيمة كاترينا بالنسبة لولدتها ناجمة عن نجاحها في منافسات ووظائف عرض الأزياء.

الأشخاص الذين يكافحون من أجل الاهتمام يفتقدون في بعض الأحيان ثقتهم في مهاراتهم الاجتماعية. إنهم يقعون تحت مثل هذا الضغط الكبير للأداء لدرجة أنهم لا يستطيعون التمتع بعلاقات الصداقة. إنهم يعتبرون الأصدقاء وزملاء العمل وحتى الغرباء منافسين لهم في الحصول على اهتمام الآخرين. بسبب احتياجهم ليكون الناس من حولهم للتأكيد على قيمتهم بالمقارنة، فإن هؤلاء الأشخاص كثيراً ما يشعرون بعدم الراحة والخوف عندما يكونون وحدهم.

٢. **الأمان**. قد يشعر الناس بعدم القيمة عندما لا يتم تلبية احتياجهم للأمان. كثيراً ما يعتمد الأشخاص غير الآمنين على مخزونهم الاحتياطي من الممتلكات المادية من أجل الأمان. أنهم بحاجة لمقدار مهم من السيطرة المنتظمة والخارجية في حياتهم ليشعروا بالأمان. ومع ذلك، فإنهم ينزعون ليكونوا متشائمين فيما يتعلق بالمستقبل متوقعين حصول الأسوأ.

٣. **العزاء**. كثيراً ما يشعر الناس بعدم القيمة عندما لا يتم تلبية احتياجهم للعزاء. عندما نتعرض للأذى العاطفي أو العلاقاتي، فإن وصفة الله للشفاء تتضمن العزاء المحب من الآخرين، **"طُوبَى لِلْحَزَانَى لأَنَّهُمْ يَتَعَزَّوْنَ ... بَارَكَ اللهُ أَبُو رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، أَبُو الرَّأْفَةِ وَإِلَهُ كُلِّ تَعْزِيَةٍ، الَّذِي يُعَزِّينَا فِي كُلِّ ضِيقَتِنَا، حَتَّى نَسْتَطِيعَ أَنْ نُعَزِّيَ الَّذِينَ هُمْ فِي كُلِّ ضِيقَةٍ بِالتَّعْزِيَةِ الَّتِي نَتَعَزَّى نَحْنُ بِهَا مِنَ اللهِ" (متى ٥: ٤؛ كورنثوس الثانية ١: ٣-٤)**. هؤلاء الأشخاص الذين يعانون الآم الحياة وحدهم يشعرون أن قيمتهم ليست مهمة بالنسبة للناس الذين يتجاهلون ألمهم واحتياجهم للعزاء. نتيجة لذلك، فإن الناس المتألمين كثيراً ما يقيمون عوائق أو حواجز بين أنفسهم وبين الآخرين لمنع المزيد من الأذى. حتى أنهم يعتبرون أفراد العائلة والأصدقاء يشكلون تهديداً لسلامهم في بعض الأحيان. النتيجة النهائية هي عبارة عن علاقات صداقة متوترة بدلاً من العلاقات التي تنمو وتزدهر.

استمرت كاترينا بالصراع مع إحساسها بقيمتها أمام الله والآخرين. لكن علاقتها مع بضع فتيات مسيحيات مهتمات في الكنيسة استمرت بالنمو. لقد أبدين اهتماماً بكاترينا لما هي عليه، وليس لما كانت عليه أو لما أنجزته. أخبرت كاترينا اثنتين من الفتيات عن الأذى في علاقتها مع والدتها. فقامتا بتعزيتها ومواساتها وهما يذرفان الدمع. بدأت كاترينا تشعر بقيمتها كإنسان لأول مرة في حياتها. توقعت صديقاتها الجديدات أن تفتح كاترينا قلبها ليسوع سريعاً.

في الظلام فيما يتعلق بكفاءتك أمام الله

عندما تفهم خلفية جوانا، فلن تعجب أنها شعرت بأنها مثل الحلزونة التي تسبب الفوضى (تجلب قذارة) حيثما تذهب. زوج والدة جوانا، باك، كان يعمل بجهد ليوفر ما يلزم لإبنته ووالدتها. بالكاد تتذكر جوانا والدها الحقيقي، الذي مات عندما كانت في الثانية من عمرها. لكن باك كان كمالياً لحوحاً مما كان يدفع جوانا لبذل قصارى جهدها في كل ما تفعله. طريقته الرئيسية للتحفيز كانت الإذلال. إذا كانت جوانا لا تبذل قصارى جهدها في كل ما تفعله، فإن باك كان يهينها ويهزئها. الأسماء التي كان يدللها بها كانت غبية وبليدة وخرقاء وبدينة وقصيرة وفاقدة الحس. كلما اشتد غضبه على جوانا، كلما ازدادت إخفاقاً وازدادت الأخطاء التي ترتكبها.

وصلت جوانا مرحلة البلوغ مع موقف يقول لا استطيع عمل أي شيء بطريقة صحيحة وكأن هذا الشيء مزروع في عقلها اللاشعوري. بما أنها ترتبك تحت الضغط لأجل النجاح، فإنها فشلت بالاحتفاظ بأول وظيفتين. لقد استطاعت الاحتفاظ بوظيفة فيها القليل من الضغط وقليلة الراتب لعشر سنوات، ولكن سجل أدائها كان أقل من جيد.

ضبابية عدم الكفاءة التي كانت تحوم فوق جوانا كانت نتيجة الاحتياجات الصارخة التي لم تتم تلبيتها على نحو كبير.

١. **التشجيع**. يشعر الناس بعدم الكفاءة عندما لا يتم تلبية احتياجهم للتشجيع. أية بيئة للانتقاد واللوم والإذلال تجرح الروح وتهز الثقة وتحطم الحافز. الأشخاص الذين يشعرون بعدم الكفاءة يصبحون دفاعيين في سلوكهم وحديثهم. «أنا أعلم أن ذلك لن ينجح؛ أي شيء أفعله لا ينجح،» أنهم يقولون نائحين، «لماذا يجب عليّ حتى أن أحاول

عندما كل شيء ألمسه يتحول إلى غبار؟» هؤلاء الأشخاص الذين لا يتم تشجيعهم يطورون نظرة تشاؤمية فيما يتعلق بالحياة.

٢. **الدعم**. قد يشعر الناس بعدم الكفاءة عندما لا يتم تلبية احتياجهم للدعم. الجميع يحتاج لحاملي أعباء. نحتاج لشخصٍ يأتي ويقف إلى جانبنا ويشاركنا بحمل أعباء المهام أو المحن الصعبة. بدلاً من تزويدها بالدعم المطلوب، باك ترك جوانا تناضل من أجل نفسها في محاولاتها. بما أنها كانت غير قادرة على العيش حسب المعايير المتطلبة واللحوحة لزوج والدتها، فإن جوانا تصارعت مع مشاعر البأس المستحيل الذي زاد من عرقلة محاولاتها للنجاح.

٣. **التقدير**. قد يشعر الناس بعدمٍ الكفاءة عندما لا يتم تلبية احتياجهم للتقدير. لا يوجد أي أحد كفوءاً مئة بالمئة. يصارع بعض الناس لإكمال المهام بدرجات بسيطة من النجاح. لكن يمكن التقدير الجميع على عمل شيءٍ ما، أشياء مثل الجهد أو المحاولة أو المساعدة أو موقف إيجابي أو المثابرة أثناء محنة أو الرغبة في المحاولة. الأشخاص الذين لا يتم تقديرهم مثل جوانا يجدوا أن نجاحهم يكون غير كافٍ لمحو الألقاب التي تبنوها عن أنفسهم مثل الحلزونة التي تخرب (تجلب القذارة) كل شيء حيثما تذهب.

بينما أنت تقرأ عبر الاحتياجات العشرة في هذا الفصل، هل القليل منها ينطبق عليك؟ هل يمكنك تحديد الاحتياجات التي لم تتم تلبيتها أثناء طفولتك وشبابك؟ هل يمكنك أيضاً تحديد بعض العوارض الناجمة عن عدم تلبية الاحتياجات التي من الممكن أن تعرقل مفهومك عن هويتك الحقيقية كابن الله المحبوب وذا قيمة وكفاءة؟

قال أحدهم إن المشكلة التي يتم تحديدها وحصرها تكون نصف محلولة. قد تكون الآن مدركاً لبعض المجالات والتي تكون نور الله المتعلق بهويتك الحقيقية مطلوباً فيها. هذه خطوة هامة في اتجاه تحويل صورتك الذاتية الداخلية. سوف نعالج في الفصول القادمة سؤال كيف تتحرك باتجاه التحول. لكن قبل أن نفعل ذلك، من المهم بالنسبة لك أن تفهم بضعة عوامل أخرى والتي تلعب دوراً في كيفية وصولك إلى صورتك الحالية غير الدقيقة عمن تكون.

الحصول على صورة أكثر وضوحاً عن هويتك

جزء من فهم من أنت يشمل فهم من هو الله وأن تختبر قلبه تجاهك. تأمل بعمق في الحقائق التالية عن الله. اصرف بعض الوقت لكتابة إجاباتك على هذه الأسئلة في دفتر ملاحظات أو مفكرة.

١. الله رؤوف. نقرأ في مزمور ٨٦: ١٥: « **أَمَّا أَنْتَ يَا رَبُّ فَإِلَهٌ رَحِيمٌ وَرَأُوفٌ طَوِيلُ الرُّوحِ وَكَثِيرُ الرَّحْمَةِ وَالْحَقِّ**.»

ماذا يعني بالنسبة لك أن الله رؤوف؟
كيف تلمس وتؤثر رأفة الله على حياتك؟

٢. الله آمين. نقرأ في هوشع ٢: ٢٠: « **أَخْطُبُكِ لِنَفْسِي بِالأَمَانَةِ فَتَعْرِفِينَ الرَّبَّ**.»

ماذا يعني بالنسبة لك أن الله أمينٌ معك؟
ماذا يعني بالنسبة لك أن هذا الإله الأمين جعلك خاصته؟

جزء ثانٍ من فهم من أنت يتضمن سماع ما يقوله الله عمن تكون. استمع لصوت الله يتحدث إليك:

١. يقول الله، «أنت بأمان.» نقرأ في فيلبي ٤: ١٩: **« فَيَمْلأُ إِلَهِي كُلَّ احْتِيَاجِكُمْ بِحَسَبِ غِنَاهُ فِي الْمَجْدِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ.»**

خذ هذه الآية واجعلها شخصية بالنسبة لك: «يمكنني أن أصبح في أمان لأن الله وعد بتزويدي بكل احتياجاتي.»

ماذا يعني بالنسبة لك أن الله سيوفر كل احتياجاتك؟

هل تشعر بقلب الله تجاهك في جعل كل غناه المجد متوفراً لك لتلبية احتياجاتك؟

٢. يقول الله، «أنت مفهوم.» نقرأ في لوقا ١٢: ٣٠-٣١: **« فَإِنَّ هَذِهِ كُلَّهَا تَطْلُبُهَا أُمَمُ الْعَالَمِ. وَأَمَّا أَنْتُمْ فَأَبُوكُمْ يَعْلَمُ أَنَّكُمْ تَحْتَاجُونَ إِلَى هَذِهِ. بَلِ اطْلُبُوا مَلَكُوتَ اللهِ وَهَذِهِ كُلُّهَا تُزَادُ لَكُمْ.»**

خذ هذه الآية واجعلها شخصية بالنسبة لك: «الله، والدي، يعلم كل احتياجاتي. إذا ما اخترت أن أجعله في المرتبة الأولى في حياتي، فإنه سوف يزودني بكل ما احتاجه.»

ماذا يعني بالنسبة لك أن الله يعرف ليس فقط احتياجاتك ولكنه سوف يلبي هذه الاحتياجات أيضاً؟

هل تشعر بقلب الله تجاهك وهو يضمن لك أن تلبى احتياجاتك؟

اصرف بعض الوقت لتشكر الله على ما أعلنه عن نفسه لك. استمع له وهو يتكلم بهذه الكلمات لقلبك خلال الأيام والأسابيع القادمة. دع هذه الحقائق من الكتاب المقدس تشق طريقها بعمق في قلبك وفي هويتك.

رؤية نفسك كما يراك الله

الجزء الثاني

من الذي أخبرك من تكون؟

الفصل الخامس

تأثير عائلتك

من أين جاءت صورتك الداخلية الذاتية؟ بالواقع، إنها لم تبدأ كصورة ذاتية على الإطلاق. أنت ورثت مفهومك الأولي عن هويتك من مصادر أخرى. منذ بداية ولادتك وأثناء مرحلة طفولتك ومرحلة مراهقتك المبكرة، فإن أشخاصاً آخرين أثروا على عناصر رئيسية محددة لهويتك بالطريقة التي كانوا يعاملونك بها ويكلمونك بها. إذا كانوا قد تعاملوا معك بعز ودلال كأمير أو أميرة، فمن المرجح أنك سوف تنمو معتقداً أنك من عائلة ملكية. إذا ما كنت تتعرض باستمرار للتوبيخ بسبب عدم كفاءتك، فأنت قد تتخيل نفسك حلزونة تخرب (توسخ) كل شيء حيثما تذهب. في براءة وسذاجة طفولتك، فإنك سوف تقبل الصورة التي يتم توصيلها إليك.

لكن، هل كانت تلك الصورة دقيقة؟ ليس تماماً، وحتى أنها لم تكن قريبة بالنسبة للكثيرين منا. أنت شخص غير كامل نشأت وترعرعت في رعاية أشخاص غير كاملين. حسب الدرجة التي اخترق بها نور اللّٰه بيئتك وشكّل حياتك بواسطة الناس من حولك، فإن صورتك الداخلية ستكون دقيقة. إذا ما أكدت مصادر صورتك الأولية على أنك مخلوق على صورة اللّٰه ومستحقٌّ موت ابنه، فسوف تكون مباركاً للنمو في هذا الشبه الصالح. لكن إذا كانت بيئتك تفتقد لفيض نور اللّٰه فيما يتعلق بهويتك الحقيقية، فمن المرجح أنك سوف تنمو ويرافقك إحساس مشوه عن هويتك، كما حصل مع كيندال وكاترينا وجوانا في الفصل السابق.

فقط عندما تصبح شخصاً يافعاً أو راشداً، فسوف تصبح قادراً على تحديد إذا ما كانت الصورة التي ورثتها تمثل بدقة كيف يراك اللّٰه. وفقط

عندما ترى بوضوح الصورة التي ورثتها وتفهم كيف أصبحت تمثل من أنت، فسوف تصبح قادراً على السعي لتحويل ذلك المفهوم.

أربعة مصادر عامة من المدخلات شكلت مفهومك عن الهوية أثناء طفولتك:

١. عائلتك وتتضمن الأهل وأزواج الأمهات / زوجات الآباء والأشقاء / الشقيقات الأكبر سناً والأجداد والأقرباء جداً.
٢. أشخاص بالغون وزملاء مهمون لا تربطك بهم صلة قرابة، مثل المدرسين والمدربين والأصدقاء المقربين وزملاء الدراسة.
٣. الحضارة / الثقافة التي نشأت فيها.
٤. تعليمك واختباراتك الدينية كطفل وكشاب.

إذا ما أكدت مصادر صورتك الأولية على أنك تحلوق على صورة الله ومستحقٌ موت ابنه، فسوف تكون مباركاً للنمو في هذا الشبه الصالح

حتى تستطيع أن تقيّم تأثير كل من هذه المصادر على مفاهيمك المبكرة عن الهوية، يجب عليك أن تطرح السؤال التالي: «كيف ترشح النور عبر كل مصدر بينما كان إحساسك بالهوية يتشكل؟» سوف نتكلم عن المصدر الأول - العائلة - في هذا الفصل والمصادر الثلاثة المتبقية في الفصل التالي.

والديك: من النموذج إلى الواقع

ما هي خطة اللّٰه النموذجية لتطوير إحساس سليم بالهوية عند الأطفال؟ إن ذلك لا يحدث بالصدفة. التصميم الأمثل للّٰه يبدأ بالعائلة المسيحية - رجل وامرأة ملتزمان بمحبة اللّٰه وبعضهما البعض كزوج وزوجة. يصبح هذان الزوجان بعد ذلك قناة أو أنبوب نور اللّٰه ليضيء الهوية الحقيقية لأطفالهم. في السنوات الأولى من نمو الأطفال، فأنهم سوف يراقبون المثال الورع لأهاليهم، ويتلقون محبتهم ورعايتهم، ويتشبعون بالتعليم الكتابي. كل ذلك يسمح للأطفال برؤية أنفسهم كما يراهم اللّٰه. في مثل هذه البيئة، فإنه من الطبيعي جداً أن يثق الأطفال بالمسيح شخصياً والبدء بعيش هويتهم كأبناء اللّٰه.

هذا الحوار، هو بالطبع، الحوار النموذجي. خلفية عائلتي كانت أبعد ما تكون عن هذا النموذج، ومن الممكن أن تكون عائلتك كذلك. من المرجح أن تكون قد نشأت في عائلة مكونة من أحد الوالدين فقط أو في عائلة مندمجة مكونة من أحد الوالدين متزوجاً من شخص آخر غير الأم / الآب الأصلي. قد تكون قد نشأت وترعرعت عند أجدادك أو من قبل أشقاء / شقيقات أكبر أو أقارب آخرين أو أوصياء. من الممكن أن يكون الأشخاص البالغون الذين قاموا بتربيتك غير مسيحيين؛ أو حتى أنهم كانوا قساة وكانوا يسيئون إليك. حتى ولو كانوا مؤمنين، فأنهم قد يكونوا أساءوا فهم أو أنهم تجاهلوا أهمية دورهم في تشكيل إحساسك بهويتك.

لأنك لم تختر أهلك أو الأوصياء عليك، فأنت لست مسؤولاً عن كيف أثرت عائلتك على إحساسك بهويتك. لكن يجب عليك إدراك أنه أثناء نموك، فإن كل درجة تغيير من تصميم اللّٰه النموذجي قد أثرت على كيفية تفسيرك لهويتك في الوقت الحالي.

كيف شكّل والداك صورتك الذاتية؟

بغض النظر عمن خدم كأهلٍ لك، فإن تقييمهم عمن تكون أنت كان قد انتقل إلى ذهنك - السريع التّأثر - كطفل صغير. أنت ترى نفسك على ضوء مواقفهم وتصرفاتهم السائدة والمسيطرة. يساهم الجو العلاقاتي في عائلتك بالمزيد من إحساسك الأولي بالهوية أكثر مما يفعله أي مصدر آخر. فهم ذلك الجو هو العنصر أو المقّوم الرئيسي لتحويل مفهومك عن كيف يراك الله.

يبدو أن مواقف الأهل اليومية الثابتة ومدخلاتهم لها تأثيرٌ في تشكيل هوية الطفل أكثر من أية أحداث خاصة أخرى. تلك التجارب التي تبدو صغيرة ولكنها تتكرر باستمرار، وعلى الرغم من أنك قد لا تتذكرها، تقدم الكثير من الألوان لصورتك الداخلية الأولى.

أعرف زوجين شابين كانا قد انتقلا لتوهما إلى بيت جديد، وكانا يحبان جداً تجميل المناظر الطبيعية. كانت الزوجة قد وضعت عشرين شتلة من نبات شجيرات الأزالية (نبات صحراوي) وكذلك أنواع أخرى من الشجيرات حول الحديقة حيث بدأت بعملية زراعتها. كانت أبنتهما البالغة من العمر ثلاث سنوات تلعب في الحديقة وحدها لعدة أيام بينما كانت والدتها تهيئ التربة باجتهاد وتحفر الحفر وتضع الشتلات في الحفر. كانت طفلة الثلاث سنوات تطلب بتوسل من والدتها أن تلعب معها. فكانت الوالدة تجيب بنفاذ صبر، «يجب عليّ زراعة هذه النباتات. يمكننا اللعب لاحقاً.»

راقبت ذات صباح الفتاة الصغيرة الضجرة من لهفتها والدتها وهي تبذل قصارى جهدها في رعاية جميع شتلات شجيرات الأزالية الضعيفة. لقد تمَّ تحذير الفتاة الصغيرة من عدم مضايقة والدتها فيما يتعلق باللعب معها. لكن طفلة الثلاث سنوات المُهمَلة لم تستطع أن تكتم السؤال

الذي تشكلَّ في أفكارها البريئة، فسألت والدتها، «ماما، هل تحبيني بقدر ما تحبي أزهارِكِ؟»

بانشغال والدتها بتجميل المنظر الطبيعي للحديقة، كانت هذه الفتاة الصغيرة تتلقى رسالة حول نفسها مفادها: «أنا لست محبوبة كأزهار والدتي.» من الممكن أن وجود طرق ماكرة أخرى سمحت فيها الوالدة لأنشطة حياتها اليومية بإبعاد احتياجات ابنتها للاهتمام إلى أسفل قائمة الأولويات. سوف تعارض هذه المرأة بشكل عنيف أنها تحب الاهتمام بأزهارها أو الترنيم في جوقة الترنيم أو مشاهدة برامجها التلفزيونية المفضلة أكثر مما تحب ابنتها. لكن في كل مرة تعطي هذه المرأة الأولوية بدون عمد لنشاط آخر أهم من الاهتمام باحتياجات ابنتها، فإن دماغ تلك الطفلة السريع التأثر سوف يتلقى مدخلات تتعلق بقيمتها بالنسبة لوالدتها.

ليس للأطفال صورة واضحة عمن يكونوا بمعزل عن المدخلات التي تلقونها. إنهم يرون أنفسهم بطريقة رئيسية بعيون أهاليهم أو الأوصياء عليهم. الأطفال الذين يسمعون من أهاليهم أنهم سيئون أو كسالى أو أغبياء، فإنهم سوف يقبلون بهذا التقييم وينزعون للعيش حسب ذلك.

لقد تصارع لاري مع الكآبة العميقة وعدم وجود الثقة الذاتية طوال حياته. إنه في سن السادسة والعشرين، وما زال لم يقرر بعد ماذا سوف يفعل في حياته. أنه يشعر بالإحباط وعدم الأمان وأنه غير مفيد أبداً في معظم المواقف. عندما كان لاري ولداً صغيراً، كان والده ينعته باستمرار بالغبي. حتى الآن ما يزال والد لاري يخبره أنه لا يستطيع عمل أي شيء بطريقة صحيحة. كان لاري يعيش حسب صورة والده عن ابن غير ملائم وغير كفؤ لمدة ستة وعشرين عاماً. مفهومه عمن هو يجب أن يتحول ليتماثل مع كيف يراه والده السماوي.

الأطفال الذين يحبهم أهاليهم ويشعرونهم بقيمتهم، سوف ينمون ليعيشوا حسب تلك الهوية. منذ طفولة شيريل المبكرة، كان والدها قد علمها بصبر عدد من المهام التي تناسب عمرها، من ربط سيور حذائها إلى تشغيل الحاسوب والأدوات في المرأب. أظهر دون ثقة كبيرة في ابنته. «اعلم أنه باستطاعتكِ فعل ذلك، يا حبيبتي. دعي بابا يعلمكِ مرة أخرى، ويمكنكِ بعد ذلك تجربته وحدكِ.» إنه لم يضغط عليها من أجل الأداء ولم يسلط الأضواء الكاشفة على فشلها. عندما تخرجت شيريل من مدرسة الكتاب المقدس، فإن الآية التي اختارتها لوضعها مع صورتها في الكتاب السنوي كانت آية فيلبي ٤: ١٣ : «أَسْتَطِيعُ كُلَّ شَيْءٍ فِي الْمَسِيحِ الَّذِي يُقَوِّينِي.» بما أنها تعلمت من والدها دون أن تكون قادرة وكفوءة في العديد من المجالات، فإنها لم تجد أية صعوبة في رؤية نفسها ابنة كفوءة لله. نتيجة لذلك، أصبحت شيريل تشارك في خدمة المدينة الداخلية القاسية حيث كان تصميمها وثقتها يزيدان من ربح ملكوت الله.

هل رأيت النور في هؤلاء الذين قاموا بتربيتك؟

يمثل الكتاب المقدس ثلاثة عناصر رئيسية حيوية لعملية التربية: النموذج والتعليم والارتباط. إذا كانت هذه العناصر الكتابية ظاهرة في حياة من قاموا بتربيتك، فمن المرجح أن تكون طفولتك في البيت مغمورة بنور الله، مما سمح لك برؤية هويتك الحقيقية. مدى ضعف أو فقدان هذه العناصر الكتابية في طفولتك، سوف يشوه رؤيتك لهويتك الحقيقية.

١. **النموذج**. سواء أكانوا مدركين لذلك أم لا، فإن الأهالي يخدمون كنماذج لأطفالهم. السؤال الوحيد هو إذا ما كانوا نماذج جيدة أم سيئة؟ يقول يسوع، **"يُضِئْ نُورُكُمْ هَكَذَا قُدَّامَ النَّاسِ لِكَيْ يَرَوْا أَعْمَالَكُمُ الْحَسَنَةَ وَيُمَجِّدُوا أَبَاكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ" (متى ٥: ١٦)**. يراقب الأطفال ويحاكون كل كلام وسلوكيات ومواقف أهاليهم. إنهم يتعلمون التفكير

كما يفكر به أهاليهم، والشعور كما يشعر به أهاليهم، والاختيار كما يختار أهاليهم، والتصرف كما يتصرف أهاليهم.

كيف كان شكل نموذج أهلك بالنسبة لك؟ هل كان نموذجاً إيجابياً أم سلبياً؟

٢. **التعليم**. علم الله شعبه قائلاً، **"وَقُصَّهَا عَلَى أَوْلادِكَ وَتَكَلَّمْ بِهَا حِينَ تَجْلِسُ فِي بَيْتِكَ وَحِينَ تَمْشِي فِي الطَّرِيقِ وَحِينَ تَنَامُ وَحِينَ تَقُومُ" (تثنية ٦: ٧)**. لقد حمّل الله الأهالي مسؤولية تعليم أطفالهم المبادئ الكتابية وإجراءات العيش. يجب أن يذهب التعليم في البيت إلى ما وراء تعليم الأطفال كيف يربطون سيور أحذيتهم وإكمال مهامهم المنزلية. يجب أن يتضمن تعليمهم ما يتعلق بالأمور الهامة مثل الله والإيمان والخلاص والطاعة. التعليم الكتابي لا يتضمن فقط التعليم الشفوي ولكن الانضباط الملائم الذي يجب أن يحصل في حينه.
ما الذي تعلمته من أهلك عن الله والإيمان والعلاقة مع يسوع المسيح؟
ماذا علموك عن العيش حسب تعليمات الكتاب المقدس؟

٣. **الارتباط**. يجب على الأهالي أن يحبوا أطفالهم ويرتبطوا معهم كأشخاص بطريقة رقيقة وأن يهتموا برعايتهم. وصية المسيح، **"كَمَا أَحْبَبْتُكُمْ أَنَا تُحِبُّونَ أَنْتُمْ أَيْضاً بَعْضُكُمْ بَعْضاً" (يوحنا ١٣: ٣٤)**، يجب تطبيقها في البيت أولاً. الأطفال هم أناس يجب الاهتمام بهم ورعايتهم مثل غيرهم من الناس. يقول المرنم معلقاً، **"هُوَذَا الْبَنُونَ مِيرَاثٌ مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ" (مزمور ١٢٧: ٣)**. كيف تتعاملون مع الميراث؟ أنتم تدللونهم. بدون العلاقة الدافئة والمحبة والحميمة بين الأهل والطفل، فإن العناصر الرئيسية للنموذج والتعليم لن تكون فعّالة في حياة الطفل.
كيف كان أهلك يرتبطون بك كطفل؟

هل كانوا يتعاملون معك كأنك مسؤوليتهم أو حمل ثقيل أو وسيلة إلهاء في حياتهم؟
هل كانوا يتفاعلون معك بمحبة كشخص يدللونه ويقيّمونه؟

رؤية النور بواسطة أهلك

الأطفال الذين يسطع نور الله بهم بواسطة المثال الورع والتقي لأهاليهم والعناية بهم، لديهم فرصة أعظم للنمو وهم يرون أنفسهم كما يراهم الله. فيما يلي كيف يبدو النور القادم عبر الأهالي المسيحيين المحبين.

١. يساعد الأهالي أطفالهم على فهم أنهم محبوبون من قبل الله وأنه يقيّمهم عندما يظهرون العلاقة الحميمة مع يسوع المسيح. هذا هو العنصر الرئيسي للنموذج الذي ينجح. يعكس الأهالي نور المسيح عندما يتكلمون عنه باحترام وتوقير في كلامهم اليومي، وعندما يرتبطون مع المسيح كشخص بدلاً من كونه زعيم ديني، وعندما يكون سلوكهم نموذجاً لما علمه يسوع وكيف عاش حياته على الأرض.

كيف كان الناس الذين قاموا بتربيتك يعتبرون يسوع المسيح؟ هل كانوا يعبرون عن إسمه بتوقير واحترام في بيتكم، أو كان إسمه يُستخدم للقسم أو للتعبير عن الشتيمة؟ هل كان الحب غير المشروط للمسيح واضح في سلوكيات أهاليكم أو هل كان كلامهم وتصرفاتهم تطابق عدم الأنانية والرعاية؟ هل كان أهلك يتكلمون عن شركتهم المقدسة اليومية مع المسيح؟ هل سمعت مصادفة والدك أو والدتك يتكلمان مع الله بالصلاة كما لو أنه كان موجوداً في الغرفة؟ هل سمعت أهلك يقولون أموراً مثل، «أليس رائعاً أن يسوع يحبنا ويغفر لنا؟» أو، «نحن نشكر الله من أجل طفل مثلك؟» أو، «لقد قام يسوع بحمايتنا فعلياً عندما توقفت تلك السيارة فجأة أمامنا؟»

٢. يساعد الأهالي أطفالهم على إدراك أنهم محبوبون من قبل الله وأنه يقيّمهم عندما يكون الكتاب المقدس المحور الرئيسي في الحياة العائلية. هذا هو العنصر الرئيسي للتعليم الذي ينجح. الكتاب المقدس هو كلمة الله المكتوبة التي تعلن عمن نحن فيه. عندما يكون الكتاب المقدس جزءاً من الحياة العائلية، فإن الأطفال يستوعبون الصورة الأكثر وضوحاً عن هويتهم الحقيقية.

الأهالي الذين يجعلون أطفالهم يجلسون يومياً ويفتحون الكتاب المقدس ويعظونهم منه فقط هم ليسوا بالمعلين الفعّالين. بل بالحري أن الكتاب المقدس يصبح أساساً التعليم الفعّال عندما يشير إليه الأهالي ويتكلمون عنه ويقرئونه ويقتبسون منه في سياق أنشطتهم اليومية. توجد قيمة لأنشطة التعليم الكتابي مثل الأوقات المخصصة لعبادة العائلة أو أوقات مخطط لها لمشاريع حفظ آيات كتابية. لكن الدراسة الرسمية للكتاب المقدس تكون فعّالة فقط إذا كانت العائلة تشير إلى الكتاب المقدس وتتكلم عنه بطريقة غير رسمية في أوقات أخرى من الأسبوع.

يمكن للأهالي تعليم مجلدات فيما يتعلق بأهمية الكتاب المقدس حسب طريقة ارتباطهم بالكتاب المقدس شخصياً. لدى توم وجاكي أبنان. بينما كان الولدان ينموان، كانت من عادة توم الاستيقاظ مبكراً يومياً لقراءة فصل من الكتاب المقدس على مائدة الطعام. كان بالعادة ينهي القراءة قبل استيقاظ بقية العائلة. لكن في بعض الأحيان يدخل أحد الولدين إلى غرفة الطعام ويجد توم منحنياً على المائدة وهو يقرأ الكتاب المقدس. لم يضخم توم ما كان يفعله أبداً؛ إنه لم «يرتب» عبادته كي يجده ولداه هناك.

عندما دخل كيب، أبنهما الأكبر، المدرسة الثانوية، كان عليه الاستيقاظ مبكراً للتمرين من أجل فريق السباحة. ذهب توم في أحد الأيام إلى غرفة الطعام ووجد كيب جالساً مكانه يقرأ في الكتاب المقدس. لم يمانع توم أبداً في أيجاد مكانٍ جديدٍ لوقته المخصص للعبادة بينما كان كيب في فريق السباحة.

كل من الابنين متزوجٌ الآن. إنهما يتذكران القليل جداً عن أوقات العبادة في بيت والديهما. ولكنهما شاهدا ماذا كان الكتاب المقدس يعني لوالدهما، وأصبحا اليوم من رجال الكلمة نتيجة لذلك.

كم من النور وصل إلي حياتك بواسطة الكتاب المقدس بينما كنت تنمو؟ هل كان يوجد كتاب مقدس في بيتكم، وكان أكثر من مجرد جزء من الإرث أو زخرفة على مائدة القهوة؟ هل شاهدت أحد والديك أو كليهما يقرءان الكتاب المقدس؟ هل كانا يقرءان الكتاب المقدس أو القصص الكتابية لك؟ هل شعرت أن أهلك يعتبرون الكتاب المقدس كحقيقة وأنهما يعيشان حياتهما حسب مبادئه؟ هل تتذكر الأوقات التي كانت تُقرأ فيها آيات أو مواضيع كتابية أو تتم مناقشتها بطريقة غير رسمية في سياق الأنشطة العائلية؟

٣. يساعد الأهالي أطفالهم على اكتشاف أنهم محبوبون من قبل الله وأنه يقيّمهم عندما تكون الشركة المسيحية المقدسة محوراً رئيسياً في حياتهم. هذا تعبير إضافي عن العنصر الرئيسي لارتباط الأبوة. عندما يتم تقديم الأطفال إلى بيئة يكون فيها أفراد المجموعة يهتمون ويشجعون بعضهم البعض، فإن المحبة والرعاية التي يتلقونها من أهاليهم تتضاعف. عندما يرى الأطفال أن أهاليهم يهتمون بالآخرين وأن الآخرين يهتمون بهم، فإنهم يتعلمون أن الله يحب ويقيّم الآخرين كما

يحبهم ويقيّمهم هم أيضاً. علاوة على ذلك، بينما يتفاعل الأطفال مع معلمي مدارس الأحد وقادة الشبيبة ومؤمنين بالغين آخرين في الشركة الكتابية المقدسة، فإن رسالة طريقة عيش أهاليهم تكبر وتزداد.

كم من النور وصل إلى حياتك كطفل بواسطة المشاركة بأنشطة الكنيسة؟ هل كان أهلك نشطاء في الكنيسة التي تؤمن بالكتاب المقدس والتي تعتبر المسيح هو محورها الرئيسي؟ هل كانت أنشطة الكنيسة جزءاً مهماً من حياتك العائلية؟ هل كان أهلك يشجعونك على المشاركة في مدرسة الأحد أو مدرسة الكتاب المقدس أيام العطل أو في مجموعات الشبيبة أو أية أنشطة أخرى كان بإمكانك الارتباط بها مع أشخاص من نفس عمرك؟

يوجد رجاء للبيت غير الكامل

قبل أن أتزوج، كنت أمضي الكثير من الوقت في بيت بولا. كان أهلها من أكثر الأهالي المسيحيين روعة. إنها لم تسمع أبداً والديها يتجادلان أو يصرخان على بعضهما البعض. كنت أفكر، لماذا لم يكن بالمستطاع أن يكون أهلي مثل أهلِ بولا، شخصان يحبان بعضهما البعض؟ لم يكن بيتي بيتاً مسيحياً. ولم يكن الكتاب المقدس ولا الكنيسة جزءاً من نشأتي. علاوة على ذلك، لا أتذكر أبداً أن والدي عانقني ذات يوم، ولم أشاهده أبداً يعانق والدتي أيضاً. على الرغم من أنه مرت أيام جميلة في عائلتنا، إلا أن حياتنا كان يظللها تدفق مستمر من المحن والتجارب المريرة والكثير من الحزن. الكثير من النزاعات كان سببها إدمان والدي على المشروبات الكحولية. نتيجة لذلك، فقد نشأت مع مفهوم ضعيف جداً عن مدى محبة الله وتقديره لي.

لقد اعتدت تمضية الكثير من الوقت في بيت بولا لأنني كنت أحسدها. ثمَّ أدركت بعد ذلك أن اللّٰه اختار أهلي لي كما اختار أهل بولا لها. وبدأت أرى كيف إنه حتى استخدم السمات المميزة غير المرغوب فيها في أهلي لتشكيل حياتي.

إذا كنت تشعر بعدم امتياز أو حرمان بسبب خلفيتك الخالية من النور، فلا تشعر بالإحباط. يستخدم اللّٰه كل الظروف في حياتنا، الجيدة والسيئة منها، لتجهيزنا لما سوف يفعله في داخلنا ولما سوف يفعله بواسطتنا. كل شيء يحدث لنا هو فرصة للّٰه أن يمارس عزائه ومواساته ليجهزنا لمواساة الآخرين، **" مُبَارَكٌ اللهُ أَبُو رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، أَبُو الرَّأْفَةِ وَإِلَهُ كُلِّ تَعْزِيَةٍ، الَّذِي يُعَزِّينَا فِي كُلِّ ضِيقَتِنَا، حَتَّى نَسْتَطِيعَ أَنْ نُعَزِّيَ الَّذِينَ هُمْ فِي كُلِّ ضِيقَةٍ بِالتَّعْزِيَةِ الَّتِي نَتَعَزَّى نَحْنُ بِهَا مِنَ اللهِ" (كورنثوس الثانية ١: ٣-٤).** يستخدم اللّٰه آية رومية ٨: ٢٨ التي تقول، **" وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ الأَشْيَاءِ تَعْمَلُ مَعاً لِلْخَيْرِ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَ اللهَ الَّذِينَ هُمْ مَدْعُوُّونَ حَسَبَ قَصْدِهِ"** ليساعدني على الحصول على صورة أفضل عن خلفيتي. الآن أنا بالفعل اقر بالعرفان لوالدي المدمن لأن اللّٰه استخدم بأمانة هذه الظروف لتشكيلي وتجهيزي لمساعدة الآخرين.

من الممكن أنك قد توصلت الآن لفهم بعض من فشل أهلك على نحو أفضل. إذا كان الأمر كذلك بالنسبة لك، يجب عليك أولاً الوصول إلى مرحلة أن تقول، «شكراً لك يا إلهي من أجل أهلي. أنا لا أفهم أسبابك للسماح بما مررت به من تجارب بينما كنت أنمو. ولكني أؤمن أنك سببت كل ذلك لتعمل معاً من أجل الخير.»

الحصول على صورة أكثر وضوحاً عن هويتك

جزء من فهم من أنت يشمل فهم من هو اللّٰه وأن تختبر قلبه تجاهك. تأمل بعمق في الحقائق التالية عن اللّٰه. اصرف بعض الوقت لكتابة إجاباتك على هذه الأسئلة في دفتر ملاحظات أو مفكرة.

١. اللّٰه متفهم. نقرأ في أخبار الأيام الأول ٢٨: ٩: **« اعْبُدْهُ بِقَلْبٍ كَامِلٍ وَنَفْسٍ رَاغِبَةٍ، لأَنَّ الرَّبَّ يَفْحَصُ جَمِيعَ الْقُلُوبِ وَيَفْهَمُ كُلَّ تَصَوُّرَاتِ الأَفْكَارِ. فَإِذَا طَلَبْتَهُ يُوجَدُ مِنْكَ، وَإِذَا تَرَكْتَهُ يَرْفُضُكَ إِلَى الأَبَدِ.»**

ماذا يعني بالنسبة لك أن اللّٰه متفهم؟

ماذا يعني بالنسبة لك أن اللّٰه يريد أن يفهم كل شيء عنك؟

٢. اللّٰه ثابت لا يتغير. نقرأ في ملاخي ٣: ٦: **« لأَنِّي أَنَا الرَّبُّ لاَ أَتَغَيَّرُ.»**

ماذا يعني بالنسبة لك أن اللّٰه لا يتغيّر؟

ماذا يعني بالنسبة لك أن اللّٰه ثابت ويُعتمد عليه وليس متقلباً؟

جزء ثانٍ من فهم من أنت يتضمن سماع ما يقوله اللّٰه عمن تكون. استمع لصوت اللّٰه يتحدث إليك:

١. يقول اللّٰه، «أنت كامل.» نقرأ في كولوسي ٢: ١٠: **« وَأَنْتُمْ مَمْلُوؤُونَ فِيهِ، الَّذِي هُوَ رَأْسُ كُلِّ رِيَاسَةٍ وَسُلْطَانٍ.»**

خذ هذه الآية واجعلها شخصية بالنسبة لك: «بسبب يسوع المسيح، أنا شخص كامل. أنا لست مشوهاً أو بي أية عيوب أو مرفوضاً. أنا كامل.»

ماذا يعني بالنسبة لك أن اللّٰه جعلك كاملاً بواسطة ابنه - ليس صالحاً جداً فقط، ولكن كاملاً؟

هل تشعر بقلب الله تجاهك بينما هو يمنحك الإحساس بالكمال؟

٢. يقول الله، «أنت وريثي.» نقرأ في رومية ٨: ١٧: « فَإِنْ كُنَّا أَوْلاَداً فَإِنَّنَا وَرَثَةٌ أَيْضاً وَرَثَةُ اللهِ وَوَارِثُونَ مَعَ الْمَسِيحِ.»

خذ هذه الآية واجعلها شخصية بالنسبة لك: «أنا ابن الله وكل ما يمنحه لأبنه الحبيب يسوع المسيح، سوف أكون مشاركاً فيه.»
ماذا يعني بالنسبة لك أن الله يتشارك بكل ما يمتلكه معك؟
هل تشعر بقلب الله تجاهك في جعلك وريثه وابنه الذي يغمره بالبركات؟

اصرف بعض الوقت لتشكر الله على ما أعلنه عن نفسه لك. استمع له وهو يتكلم بهذه الكلمات لقلبك أثناء الأيام والأسابيع القادمة. دع هذه الحقائق من الكتاب المقدس تشق طريقها عميقاً في قلبك وفي هويتك.

الفصل السادس

الفنان الرئيسي
لصورتك الذاتية

الأشخاص الذين كانوا الفنانين الرئيسيين لصورتك الذاتية هم أهلك. وفي معظم الحالات، فإن أحد الوالدين الأكثر سيطرة هو من يكون تأثيره أعظم في تشكيل رؤيتك عن نفسك. بالنسبة لي، كان والدي هو المسيطر، هذا على الرغم من أن علاقتي معه كانت ضعيفة أو معدومة بالأصل. قد تكون هذه هي الحالة بالنسبة لكم أيضاً. وبكل تأكيد كانت تلك هي حالة صديقي أونيل.

نشأ أونيل في مدينة صغيرة، وهو الأكبر سناً بين أخوته الثلاثة. أحب والداهم أطفالهم بأفضل طريقة ممكنة يعرفونها: عن طريق تزويدهم بكل ما يحتاجونه مادياً. أبدل والد أونيل عاطفة الأبوة بالعمل الكثير والجهد. إنه لم يعانق أونيل أبداً، ولم يخبره أبداً أنه يحبه أيضاً أو أنه فخور به. والدة أونيل، التي كانت هي الأخرى تعاني من افتقادها للحميمية، كانت تتصرف بطريقة وقائية مبالغ فيها.
عندما كان أونيل ولداً صغيراً، فإنه كان يبذل قصارى جهده ليكتسب قبول وعاطفة واستحسان والديه بمحاولة عمل ما يريدون منه أن يعمله. كان إبناً مطيعاً وناجحاً وقد كان يُضرب فيه المثل الصالح أمام شقيقه وشقيقته الأصغر سناً. لم يكن مسموحاً له العراك مع الأولاد الآخرين. عندما كانت تحدث مشكلة، كانت والدة أونيل هي من تتدخل دائماً. عندما دخل أونيل المدرسة الثانوية، كان زملاؤه يلقبونه لاسي (Lacy = لباس نسائي داخلي مخرم [من المترجم]) لأنهم اعتقدوا أنه كان مخنثاً وإنه على الأرجح يرتدي لباساً نسائياً داخلياً مخرماً.

لجعل الأمور تزداد سوءاً، كان أونيل يعاني من مرض التبول المزمن على الفراش حتى بلغ سن الخامسة عشرة. لم يستطع والده فهم مشكلة التبول على الفراش وكانت ردة فعله هي الغضب دائماً متهماً أونيل إنه يفعل ذلك متعمداً كي يغيظه. بما أنه لم يكن باستطاعته الذهاب للنوم عند أصدقائه، فإن أونيل اختبر المزيد من الوحدة والإحساس بالدونية أو النقص. حاول المشاركة في مجموعات الكشافة للأولاد، ولكن المضايقة لاحقته حتى هناك. افتقاده للعلاقة المقربة مع والده وعدم قبوله من قبل أصدقائه، جعله يمتلأ بالغضب الشديد ولكنه لم يجد أية طريقة للتعبير عنه.

اكتشف أونيل بعد ذلك كرة القدم الأمريكية. كان حجمه مناسباً وقوياً وموهوباً، فوجد أونيل رضاه وشبعه بأن يصب جام غضبه في الملعب. مشكلة تبوله على الفراش اختفت أثناء وجوده في المدرسة الثانوية ودخل في الفريق الأول للمدرسة. بدأ أونيل أخيراً بتلقي بعض الاحترام من زملائه في الصف. بسبب مساهمات وجهود أونيل القوية، وصل فريق مدرسته إلى نهائيات بطولة الولاية. لكن، ولأن الشخص المسؤول عن مكافأة الرياضيين في المنطقة لم يكن يحب والد أونيل، فإنه تغاضى عنه عندما تمَّ الإعلان عن توزيع جوائز التكريم. هذه الضربة القاضية دقت إسفيناً آخر في العلاقة بين أونيل ووالده.
وفي نفس الوقت تقريباً، شارك أونيل في مجموعة شبيبة الكنيسة حيث أصبح هو القائد دون أي وقت يذكر. على الرغم من كونه مسيحياً بالإسم فقط، إلا أنه أصبح قائد مجموعة المدرسة الثانوية مكتسباً التهليل والتشجيع من المسؤولين البالغين. ذات صيف وأثناء مخيم للكنيسة سلَّم أونيل حياته للخدمة المسيحية بدوام كامل لأنه شعر أن القادة البالغين توقعوا منه ذلك.

بدأت حياة أونيل في الجامعة بخيبة أمل أخرى. فقد تمّ إلغاء بعثة دراسية رياضية في لعبة كرة القدم الأمريكية كان موعوداً بها في جامعة رئيسية في أخر لحظة. ممتلئاً غضباً بسبب الرفض، قرر أونيل إثبات أنه يستطيع اللعب في المستوى الرئيسي لبطولة الجامعات. سجل في الجامعة ونجح في اختبارات الفريق وتمّ قبوله كأحد البدلاء. لكن المدرب الرئيسي، الذي لم يحب هذا «الولد المسيحي اللطيف» كان يضايقه داخل وخارج الملعب ويتهمه اتهامات باطلة ويجلسه على مقاعد الاحتياط دائماً. عندما واجهه أونيل بغضب، قال له المدرب إنه لن يسمح له بلعب كرة القدم الأمريكية في هذه الجامعة أبداً. ألم الرفض من نموذج أبوي آخر كان أقوى مما يستطيع أونيل تحمله تقريباً.

كانت عطل أونيل الأسبوعية في الجامعة هي أوقات للوحدة والغضب والكآبة. كان يقود سيارته على الطريق السريع لساعات طويلة في كل ليلة باحثاً عن فتاة ليمضي معها ليلته أو عراك يشارك فيه. لم يكن لديه أصدقاء مقربين. كان خائفاً من السماح لأي أحد من أن يقترب منه كثيراً كي لا يرى الولد الصغير الخائف الذي في داخله. كان متأكداً أن أحداً لن يحبه لأنه هو لا يحب نفسه. أثناء كل هذا الوقت، كان أونيل مستمراً بتجهيز نفسه للخدمة على الرغم من معرفته بعدم وجود الجوهر الأساسي لإيمانه المسيحي.

في صيف عامه قبل الأخير في الجامعة، سمع أونيل بشارة المسيح بوضوح لأول مرة في حياته. قبل المسيح وتوقع أن تتحول حياته بالكامل. ومع ذلك لم يبدو أنه قد تغير أي شيء في حياته. وحدته وإحساسه بالدونية والنقص وغضبه الشديد لم يتغير فيها شيء. أصبح الآن أكثر بؤساً من ذي قبل. كان أونيل يعرف أن المسيح موجود في حياته، لكنه كان محبطاً لأن مشاكله لم تختفِ كما كان متأملاً.

في عامه الأخير في الجامعة، التقي أونيل بفتاة رائعة وتزوجها. لكن يبدو أن الزواج أثار عنده مشاعر أعظم بالدونية والنقص. لم يكن قادراً على التواصل مع زوجته على المستوى الشخصي لأنه كان خائفاً من أن يجعلها تعرف من هو. وهكذا، فإن الأشهر الأولى من زواجهما لم تجري كما يجب.

بعد الجامعة، تمّ توظيف أونيل وزوجته للعمل في مخيم مسيحي. كان ذلك هو نقطة التحول في حياة أونيل. قابل في المخيم مشيراً مسيحياً الذي ساعده على فهم أن والده الذي كان بعيداً عنه والذي كان من الواضح أنه ليس مهتماً به غرز فيه الإحساس بالهوية الخطأ. الظلال العميقة التي كانت تظلل حياته أبقته بعيداً عن التمتع بالحياة المنتجة كإبن الله المحبوب والمُقّدر. قدم المشير لأونيل الحقائق الكتابية التي تسلط الضوء على هويته الحقيقية في المسيح. بواسطة قبول وعاطفة واستحسان المشير لأونيل، بدأ أونيل يؤمن أنه يمكن لله أن يحبه ويقدره ويجده كفؤاً بالفعل.

بدأ أونيل في ذلك الصيف برؤية نفسه كما يراه الله. بالسعي من أجل المزيد من العلاقة الحميمة مع المسيح وبدراسة الكتاب المقدس والسعي وراء الشركة المقدسة مع مؤمنين محبين، فإنه أدرك أن صورته الداخلية التي ورثها عن والده ومن الآخرين لم تكن صحيحة ودقيقة. أمضى أونيل وزوجته الكثير من الساعات معاً عند مشير مسيحي مكتشفين روائع هويتهما في المسيح. لم يكن التحول سهلاً، ولكن أونيل تمتع بصورة الشخص الذي خلقه الله كي يكونه.

لا يحمل أونيل حالياً أية مرارة أو أسى تجاه والده على الرغم من أن ذكريات طفولته المريرة والصعبة ما تزال تهزه عاطفياً. لقد نما بواسطة ألمه

وأصبح يخدم مئات الأشخاص الآخرين المتألمين مع مرور الوقت. عرفانه بالجميل يتلخص في كلمات بولس: "**مُبَارَكٌ اللهُ أَبُو رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، أَبُو الرَّأْفَةِ وَإِلَهُ كُلِّ تَعْزِيَةٍ، الَّذِي يُعَزِّينَا فِي كُلِّ ضِيقَتِنَا، حَتَّى نَسْتَطِيعَ أَنْ نُعَزِّيَ الَّذِينَ هُمْ فِي كُلِّ ضِيقَةٍ بِالتَّعْزِيَةِ الَّتِي نَتَعَزَّى نَحْنُ بِهَا مِنَ اللهِ" (كورنثوس الثانية ١: ٣-٤).**

النمو مع والد مدمن على المشروبات الكحولية

تتماثل تجربة أونيل مع تجربتي في كثير من أوجه التشابه. عرقلت علاقتي الأولى مع والدي تطور إحساسي بهويتي كإبن حبيب ومُقّدر وكفؤ لله على نحو خطير. كان والدي مدمناً على المشروبات الكحولية. كان زملائي في المدرسة يبتكرون النكات حول كون والدي سكير البلدة. لم يعرفوا أبداً كم كانت نكاتهم تزعجني. كنت أضحك ظاهرياً ولكني كنت أبكي داخل نفسي.

كنت أذهب في بعض الأحيان إلى الحظيرة لأجد والدتي ملقاة على السماد خلف البقر وقد تعرضت للضرب المبرح من قبل والدي لدرجة أنها لم تكن تستطيع النهوض. لقد هجرت البيت مرتين بسبب الإساءة الجسدية التي كانت تتعرض لها على يديه.

عندما كان يأتي أصدقاؤنا لزيارتي أنا وأشقائي في البيت، كنت أريد التأكد أن والدي لن يحرجنا بسكره. كنت أخذه إلى الحظيرة وأقيده - بكل ما في الكلمة من معنى - هناك. ثمَّ أخذ السيارة بعد ذلك إلى الجانب البعيد من مخزن الحبوب. كنا نخبر أصدقائنا أن والدنا ذهب إلى مكانٍ ما. لا اعتقد أن أي شخص كره شخصاً آخر أكثر مما كرهت والدي. قمت بضربه عدة مرات ضرباً مبرحاً حتى كدت أقتله تقريباً أثناء ثورات غضبي العارم عليه.

إذا ما أردنا التكلم عن أزمة الهوية - فقد كنت عديم الحيلة. لأن والدي لم يحترم والدتي ولم يكن يحترمني أنا أيضاً، فقد كنت غير مدرك تماما أنه يمكن لله أو أي شخص آخر أن يراني كشخص محبوب وله قيمة وكفؤ. لتعويض الصورة الداخلية القبيحة التي تركها والدي في داخلي، فقد تحولت إلى شخص يحاول إرضاء الجميع. كنت أبذل قصارى جهدي أكثر من الجميع في الأعمال النظامية والدراسة والرياضة. نتيجة لذلك، فقد تفوقت في الدراسة والرياضة، وكنت أتوقع في نفس الوقت أن أفشل في كليهما.

عندما دخلت الجامعة، أخبرني البروفسور أنني أمتلك ميزتين هامتين: المقدرة على جمع الجدال والحقائق معاً لإثبات فكرة ما، والتصميم والاندفاع الهائلين. اقترح عليّ دخول كلية الحقوق. وأخيراً رأيت شعاعاً من أمل لاكتساب بعض الاحترام الذي افتقدته في طفولتي وذهب بي تفكيري إلى ما هو أبعد من مهنة المحاماة. سوف أثبت لوالدي ولكل شخص آخر أنني أمثل قوة لا يستهان بها. قمت بتخطيط الإستراتيجية التي سوف تجعلني أصبح حاكم ميتشغان في عمر الخامسة والعشرين. الخطوة الأولى كانت أن أنتخب رئيساً لصفي في السنة الأولى في الجامعة، والتي سرعان ما شطبتها من قائمة انجازاتي.

إحساسي بالغرور لاكتشاف قوة المنطق الجديدة التي امتلكها، جعلتني أقرر دحض المسيحية كمشروع للفصل الدراسي. وتجاوباً مع ذلك قررت الانضمام إلى مجموعة تبشيرية. وبعد أن بدأت مشروعي بفترة وجيزة قابلت مجموعة من الطلاب المسيحيين. لقد تجادلت معهم حول المسيحية لأكثر من عام. بعد تفحص وتمحيص البرهان بكل شمولية، فإني أدركت عدم قدرتي على دحضه رغم كل شيء.

لكني كنت ما زلت مصمماً. حتى ولو أن يسوع قام عمل معجزات وقام من بين الأموات، إلا أنه كان بالنسبة لي مفسداً للبهجة والمتعة. لم أكن أريد التعامل مع أي شخص كان سوف يفسد أوقات متعتي. بعد مرور أكثر من سنة منذ ذلك الحين، وبعدما لم أعد أستطع النوم طوال الليل وأنا أفكر بالموضوع، أعلنت استسلامي. قلت لله، «اعتقد أنني أومن أنك موجود رغماً عني.» لقد اعترفت لله أنني كنت مخطئاً - خاطئ - وطلبت منه أن يغفر لي. طلبت منه أن يستلم حياتي ويحولني مثل أصدقائي المسيحيين.

لم أشعر بأي ارتياح في البداية. بل بالحقيقة، شعرت بالسوء أكثر متسائلاً ما الذي تورطت فيه. ما زلت أكره والدي وما زلت أتصارع مع إحساسي بالدونية والنقص والمواقف الدفاعية التي كنت أشعر بها بينما كنت أنمو. لكن بعد عدة أشهر وجدت أن حياتي كانت تتغير. أخذ نوع من السلام يحل محل قلقي المتواصل. مزاجي السيئ المتفجر غضباً اختفى. وتدريجياً أخذ الله بتحويل كراهيتي لوالدي إلى حنان وقد استخدمني الله لأجلب والدي للمسيح قبل وفاته.

إحساسي الأولي بالهوية كان مشوهاً ومنحرفاً في جزئه الأكبر بسبب العلاقة المزعجة مع والدي المدمن. الصورة القاتمة كانت عقبة رئيسية في حياتي حتى وثقت في المسيح وبدأت بتحويل مفهومي عمن أكون.

تأثير الأهل

عدم قدرة والدي على حبي والاهتمام بي عرقلت على نحو هام قدرتي على تطوير صورة ذاتية سليمة. جعلتني التجارب أومن أن لا أحداً يمكنه أن يشارك بحميمية في خلق صورتك الداخلية الأولية أكثر من أحد الوالدين الأكثر سيطرة؛ وفي حالتي، كان ذلك الشخص هو والدي.

عندما يفشل أحد الوالدين في تلبية احتياجات أطفاله للاهتمام والقبول والتقدير والدعم والتشجيع والعاطفة والاحترام والأمان والعزاء والاستحسان - فإن هؤلاء الأطفال سوف يُعرقلون ولن يستطيعوا رؤية أنفسهم كما يراهم اللّٰه المحب. من غير الواقع التفكير بأن الأطفال من كلا الجنسين يمكنهم اكتساب رؤية أولية دقيقة عن كيف خلقهم اللّٰه كي يكونوا عندما لا يقوم الأهل بدورهم المعين لهم من قبل اللّٰه.

وأنت لست بحاجة للتذكير بانحلال العائلة الأمريكية واختفاء الأهل المحبين والداعمين - وخصوصاً الآباء - في حضارتنا / ثقافتنا. ينمو عدد ضئيل جداً من الأطفال في بيوت يكون فيها الأب موجوداً ويشارك بفعَّالية في تربية الأطفال. وعندما يتنازل الوالد عن دوره ويهجره، سواء بالانسحاب جسدياً بواسطة الطلاق أو الانفصال أو الانسحاب عاطفياً بتفضيل مهنته أو هواياته على عائلته، فإن الأطفال كثيراً ما يُسلبون من إحساسهم عمن يكونوا.

على ما يبدو أن المشكلة بدأت مع الثورة الصناعية وتمدن المجتمع. عندما كانت حضارتنا / ثقافتنا زراعية وريفية، فإن شخص الوالد كان المحور المركزي والديناميكي في البيت الأمريكي وتربية الأطفال. بما أن «مهنته» كانت الاعتناء بمزرعة العائلة، فإن الوالد كان على تواصل أعمق مع أطفاله، حيث أن الأطفال كانوا كثيراً ما يعملون معه في المزرعة عندما يصبحون قادرين على ذلك. علاوة على ذلك، عدم وجود الأشياء الملهية الخارجية مثل التلفاز وألعاب الفيديو البيتية والإنترنت فتح المجال للتسلية العائلية في الأمسيات. كان الوالد والوالدة والأطفال يعملون معاً ويلعبون معاً.

عدم قدرة والدي على حبي والاهتمام بي عرقلت على نحو هام قدرتي على تطوير صورة ذاتية سليمة

بما أن الأجيال السابقة كانت ملتزمة بالقيم الكتابية بعمق أكثر، فإن أفراد العائلة الريفية كثيراً ما كانوا يصلون معاً ويقرءون الكتاب المقدس معاً ويذهبون إلى الكنيسة معاً. الشكر لهذه العلاقة المتقاربة للعمل واللعب والعبادة مع كل من الوالد والدة التي جعلت الأطفال يحصلون على صورة أكثر وضوحاً عن هويتهم عند اللّٰه.

أما في الوقت الحالي فإن الكثير من الأمهات يعملن خارج البيوت، ونادراً ما يحصل الأطفال على فرصة لرؤية أماكن عمل أهاليهم. حتى أن بعض الأطفال لا يعرفون ما هي طبيعة عمل أبائهم، هذا ناهيك عن الحصول على فرصة للعمل معهم. قد يستطيع الوالد رؤية أطفاله في وقت الإفطار أو العشاء فقط، ولكن في الكثير من البيوت يغادر الوالد حتى قبل أن يستيقظ الأطفال من النوم ولا يعود إلا في وقت متأخر من المساء. يسافر بعض الآباء الأسبوع بأكمله ويريد أن يُترك وشأنه في أيام العطل الأسبوعية. وبدلاً من أن تقربهم مهنهم وهواياتهم من أطفالهم، كما كان عليه الحال في الحضارة / الثقافة الزراعية، فإنهم يستخدمونها لإبعاد أطفالهم عنهم.

تأثرت الغالبية الكبرى من الأمريكيين في الوقت الحالي وعانت من مشكلة علاقة الوالد غير الفعَّالة. هذه المشكلة هي وباء منتشر لها أسبابها الكثيرة ونتائج بعيدة المدى. لو كنت امتلك القوة لتغيير ظاهرة حضارية / ثقافية واحدة، فسوف تكون تصحيح مشكلة الأهالي الغائبين أو المتغيبين والسلبيين وغير المشاركين في البيت الأمريكي - وخصوصاً الآباء.

تقليدياً، تحصل الفتيات على علاقة تربية مقربة من أمهاتهن أكثر مما يحصل عليها الأولاد الذكور سواء من أبائهم أو أمهاتهم. على أنّ كلاً من الفتيات والأولاد بحاجة للمدخلات من كلا الوالدين، إلا أنه على ما يبدو أن الأولاد هم الذين يعاونون من الخسارة الكبرى عندما يكون أباؤهم غير موجودين أو غير مشاركين. نتيجة لذلك، فإن الفتيات تنزع للحصول على إحساس أفضل بالهوية أكثر من الأولاد.

أدرك أحد أصدقائي هذا التناقض عندما كان مديراً لأفراد الطاقم الوظيفي في خدمة حياة المحبة. قابل في منصبه خريجي جامعات تقدموا بطلبات توظيف في خدمة حياة المحبة. لاحظ أن الفتيات المتقدمات للوظائف أظهرن إحساساً سليماً وأكثر ثقة بهويتهن من الشباب المتقدمين لنفس المناصب. كمجموعة، كان إحساس الذكور بهوية من يكونون أقل تأكيداً وثقةً. كان جميع المتقدمين يعتبرون من الصفوة: مسؤولين وقادة في الأنشطة الطلابية ورياضيين بارزين وطلاب متميزين. ومع ذلك، اكتشف زميلي أن الذكور كانوا باستمرار أقل ثقة من الإناث.

الرجال المحرومون من تربية الآباء

إذا كنت رجلاً، فإن مفهومك عن هويتك لا بد أنه قد تأثر على نحوٍ هام بعلاقتك مع والدك، وخصوصاً علاقتك معه عندما كنت ولداً صغيراً. هل نشأت مع وجود والد في بيتك؟ إذا كان الأمر كذلك، هل كان والدك يشارك بفعَّالية في حياتك كمربٍ ومؤدبٍ ومعلم وصديق؟ إذا كنت، مثل أونيل ومثلي، ضحية والد غير محب أو بذيء أو مدمن مما قادك للإحساس بأنك شخص غير محبوب وبدون قيمة ولست كفؤاً؟ سواء أكنت محروماً من والدك لأنه غائب جسدياً أو غائب عاطفياً فقط، فعلى الأرجح أن هويتك قد تشكلت بسبب عدم مشاركته في حياتك.

١. ينمو الرجال المحرومون من الآباء بإحساس ضعيف بالرجولة.

لعدم وجود علاقة التربية مع أبائهم، فإن الرجال يُتركون ليكتشفوا بأنفسهم ما معنى أن يكونوا رجالاً. يحاول معظم الرجال التعويض عن عدم الملائمة هذه. إنهم يقومون بعمل ذلك بعدة طرق متنوعة.

يحاول بعض الرجال إثبات رجولتهم من خلال الانجازات. إذا كان باستطاعة الرجل جني الكثير من المال أو تسلق سلم الترقيات في الشركة أسرع من الشخص الذي يليه، فإنه يعتقد أن ذلك يظهر رجولته.

يحاول رجال آخرون إثبات رجولتهم بواسطة المنافسات. الشخص الذي يفوز، سواء في لعبة الداما أو الشطرنج أو الغولف أو كرة البسبول، فإنه «الرجل الأفضل» بكل وضوح. هذه كانت قضية كبيرة الشأن بالنسبة لي بينما كنت أنمو، لقد كنت منافساً شرساً وعنيفاً، وكنت أكره الخسارة. كانت تلك هي طريقتي لإثبات أنني رجل.

الرجال الذين يحتاجون للتفوق بيأس وشدة كثيراً ما يورثون إحساسهم المنحرف والمشوه عن الرجولة لأطفالهم. عندما يلعب جويل البالغ من العمر تسع سنوات ألعاب الفيديو مع والده، كانت اللعبة تنتهي دائماً بذهاب جويل إلى غرفته راكضاً وهو يبكي. لا يستطيع والد جويل اللعب من أجل المتعة سامحاً لإبنه الصغير بالتفوق عليه. يجب عليه أن يفوز. وسوف ينمو جويل وهو يمتلك نفس الإحساس المُلزم هذا نتيجة لذلك.

يوجد الكثير من الأمور التي تهم هويتك كإبن لله أكثر من كونك «رجلاً.» إذا ما وجدت نفسك انك دوماً تكافح لإثبات ذاتك، فقد تكون تعاني من افتقادك للتربية من قبل والدك. سوف يساعدك الفصل التالي على اختبار تحول رؤية نفسك كما يراك الله.

٢. ينمو الرجال المحرومون من الآباء وهم يشعرون بالعداء تجاه النساء.

قد يحدث ذلك لأن الوالدة أو شخصية الوالدة تحاول تعويض غياب أو سلبية الوالد. عندما يقترب الولد الصغير من عمر العاشرة أو الحادية عشرة، رغم كل شيء، فإنه يبدأ بمقاومة الوالدة المسيطرة التي تضيق عليه الخناق. قد يكون يحب والدته، لكن سيطرتها قد تتسبب بانسحابه عنها جسدياً وعاطفياً للفرار من اهتمامها الخانق. أثناء مرحلة البلوغ، فإن غضب الرجل تجاه والدته قد يتحول تجاه نساء أخريات.

النتيجة الطبيعية للعدائية تجاه الوالدة هي الخوف من أن تسيطر عليه أية إمرأة أخرى. كإنسان بالغ، فقد يتعهد الرجل أن لا يسمح لأية إمرأة أخرى بالسيطرة عليه. إنه قد يتجنب بطريقة لا شعورية العاطفة الحميمة على الرغم من سعيه وراء الحميمية الجسدية. كزوج، فإنه قد يتحول إلى رجل متذمر وصامت أو غاضب ومنزوي. أياً من السلوكيات المذكورة آنفاً سوف تسبب مشاكل جدية وخطيرة في الزواج.

٣. كثيراً ما يخاف الرجال المحرومون من الآباء من العلاقات العميقة مع رجال آخرين.

تظهر الدراسات أن نسبة عالية من الرجال في الوقت الحالي ليس لديهم أصدقاء من نفس الجنس يمكنهم أن يتشاركوا ويتفاعلوا معهم على مستوى الحميمية. بعدما يتناقشون حول الطقس وأنواع الرياضة والأسواق المالية ونسبة الفوائد والسيارات، فالكثير من الرجال ليس لديهم المزيد ليتكلموا عنه. العلاقة السليمة بين الوالد والإبن هي الخلفية التدريبية والنموذج للعلاقات الحميمة بين الرجال في مرحلة البلوغ. الرجال الذين لا يختبرون علاقة حميمة مع آبائهم، فأن تجهيزهم لفعل ذلك مع رجال آخرين سيكون ضعيفاً. إنهم أيضاً يخافون أن تقترب العلاقة مع رجال

آخرين من حدود الشذوذ الجنسي. من ناحية أخرى، غياب الوالد الذي يقوم بعملية التربية يحول بعض الرجال إلى الشذوذ الجنسي. على ما يبدو أن الاحتياج للعلاقة مع والد بديل هذا بجانب خوفهم من أو عدائهم للمرأة، يترك بعض الرجال معرضين للعلاقات الشاذة جنسياً.

إذا كنت رجلاً وإذا ما كانت بعض من المشاكل المذكورة هنا قد أصابتك بكارثة، فإن ذلك قد يشير إلى أن صورتك الداخلية ما زالت تعاني من عدم وجود علاقة مقربة مع والدك. إذا ما كنتِ إمرأة، فمن الممكن أن تكوني قد لاحظتِ أو تعرفتِ على بعض من هذه المشاكل عند زوجكِ أو خطيبكِ. في كلتا الحالتين، إني أشجعك على الاستمرار بالقراءة لاكتساب البصيرة حول كيفية تحول تلك الصورة الخاطئة إلى صورة حقيقية تمثل من أنت بالفعل.

النساء المحرومات من تربية الآباء

النساء اللواتي ينشئن في بيوت يكون فيها الوالد غائباً إما جسدياً أو عاطفياً كثيراً ما يكنَّ معرضات لنفس مجموعة المشاكل.

١. قد لا تثق المرأة المحرومة من الوالد بالرجال. عندما لا تتمتع الأنثى بعلاقة دافئة ومحبة وعاطفية مع والدها، فإنها قد تدخل مرحلة البلوغ وهي لا تثق بالرجال بطريقةٍ ما بشكل عام. بما أن والدها فشل في تلبية احتياجاتها العاطفية والعلاقاتية العميقة، فإنها قد تتوقع بطريقة لا شعورية أن يفشل الرجال الآخرون في تلبية احتياجاتها، فلذلك تبقي نفسها على مسافة آمنة.

كلوديا عمرها واحد وثلاثون عاماً وتعمل كوكيلة تأمين وناجحة في كل شيء في حياتها. بالإضافة إلى مظهرها الجذاب، فهي أيضاً ناجحة في

عملها وفي بيتها وتمتلك سيارة جميلة والكثير من الأصدقاء. كلوديا فعَّالة في كنيستها وتشارك إيمانها بواسطة مثالها وشهادتها. الجميع يقول عن كلوديا، «إنها إمرأة رائعة. الشيء الوحيد الذي تحتاجه هو زوج.»

تقول كلوديا أنها تحب أن تتزوج ويصبح لديها أطفالاً. إنها تجذب الكثير من الرجال المؤهلين من عمرها في العمل والكنيسة. إنها تتواعد باستمرار، ومعظم الرجال الذين تخرج معهم يعاودون الاتصال بها مرة أخرى. لكن بعد موعدين أو ثلاثة مواعيد مع نفس الرجل، وفي اللحظة التي يعتقد أن العلاقة ستأخذ منعطفاً جدياً، تبدأ كلوديا بالانسحاب. على الرغم من إنها تحب الرجل، إلا إنها تجد نفسها تقوم بعمل أشياء تحبط من تقدمه نحوها. إنها تتجنب عمداً عدم الرد على مكالماته الهاتفية. وتتأخر عمداً عن الموعد أو أنها لا تذهب أبداً. إنها تصبح مزاجية وانتقادية عندما تكون معه. ما أن تمضي فترة قصيرة، يصاب الرجل بالإحباط ويتوقف عن الاتصال بها. وترتاح كلوديا في سرها. ثمَّ تقول لصديقاتها، «إننا لم ننسجم مع بعضنا البعض.» سرعان ما تبدأ الدورة من جديد مع شخص آخر متلهف، وينتهي الموضوع بنفس الطريقة.

لاحظت إيفلين، زوجة الراعي، كلوديا وهي تقوم بالعمل ذاته عدة مرات. قامت بدعوة كلوديا إلى الغداء ذات يوم وأخذت تسألها عن عائلتها وعن والدها على وجه الخصوص. اعترفت كلوديا أنها لم تكن أبداً في علاقة مقربة مع والدها، الذي وبكل وضوح كان يفضل عليها شقيقيها الأكبر سناً. بعد مرور عدة أشهر، ساعدت مشورة إيفلين الحكيمة والمحبة كلوديا على فهم أن تجربتها في البيت كانت تكررها مع كل رجل تواعده. أبقت كلوديا والدها بعيداً عنها لتجنب ألم رفضه. كانت تفعل نفس الشيء مع الرجال الذين كانوا يدخلون إلى حياتها على الرغم من توقها للأمان بالعلاقة الزوجية.

تجلب نساء مثل كلوديا عدم ثقتهن معهن إلى علاقاتهن الزوجية. أثناء قيامهن بالحركات الحميمة، فإنهن قد لا يكنّ قادرات على الوثوق بأزواجهن في تلبية أعمق احتياجاتهن. طالما بقين بعيدات ومتحفظات وعديمات الثقة، فإن ذلك التوتر في العلاقات الزوجية قد يقود إلى الانفصال أو الطلاق.

تقود عدم الثقة العامة بالرجل إلى العداء الكامل للرجال في بعض الأحيان. عادة ما تكون المشكلة متجذرة في المرارة طويلة المدى تجاه الوالد المبتعد والسلبي، المرارة التي تستبدلها وتلقيها على رجال آخرين في حياتها.

٢. قد تستجدي النساء المحرومات من الوالد العاطفة والاهتمام غير المناسبين من الرجال. إذا لم يتم تلبية احتياجات المرأة للعاطفة والاهتمام من قبل والدها عندما كانت فتاة صغيرة، فإنها قد تحاول تعويض ذلك بمحاولة الحصول على العاطفة والاهتمام من رجالٍ آخرين، وكثيراً ما تكون بطرق غير مناسبة. بعض النساء المشوشات جداً واللواتي يقمن الكثير من العلاقات الجنسية غير الشرعية يعترفن أن العلاقة الجنسية بحد ذاتها لا تجذبهن ولا تغريهن. بل بالحري، فإنهن يقدمن أجسادهن مقابل العاطفة التي يتقن ويتلهفن إليها. الفتيات اللواتي يختبرن الإيجابية والدفء مع والدهن في البيت، فإنهن بالعادة يكنَّ مجهزات عاطفياً على نحو أفضل ليقلن كلا للإغراء الجنسي.

كم من النور وصل إليك بواسطة والدك أو والدتك ليضيء هويتك الحقيقية؟ إذا كنت مثل الكثير من الناس، فإن مفهومك عمن أنت يكون مختلفاً عن رؤية اللّٰه عمن تكون لأن والدك أو والدتك لم يزودانك بكمية كافية من النور. أنا لا أقول ذلك لأحط من قدر والديك ولكن لمساعدتك

على فهم أن أي إحساس بالهوية كنت قد افتقدته من والدك أو والدتك يمكنك إرجاعه إلى الطريق الصحيح. بغض النظر عن كم كانت حياتك البيتية سيئة، فانك تمتلك الفرصة لرؤية نفسك كما يراك اللّٰه. وما يراه هو ما تريده أنت.

الحصول على صورة أكثر وضوحاً عن هويتك

جزء من فهم من أنت يشمل فهم من هو اللّٰه وأن تختبر قلبه تجاهك. تأمل بعمق في الحقائق التالية عن اللّٰه. اصرف بعض الوقت لكتابة إجاباتك على هذه الأسئلة في دفتر ملاحظات أو مفكرة.

١. اللّٰه هو أبوك. نقرأ في مزمور ١٠٣: ١٣: « **مِثْلَمَا يَعْطِفُ الأَبُ عَلَى بَنِيهِ.**»

ماذا يعني بالنسبة لك أن اللّٰه هو بمثابة الآب لأبنائه؟

ماذا يعني بالنسبة لك أن اللّٰه - أب ربنا يسوع المسيح هو أبوك؟

٢. اللّٰه عطوف. نقرأ في مزمور ١٠٣: ١٣: « **مِثْلَمَا يَعْطِفُ الأَبُ عَلَى بَنِيهِ يَعْطِفُ الرَّبُّ عَلَى أَتْقِيَائِهِ.**»

ماذا يعني بالنسبة لك أن اللّٰه عطوف؟

ماذا يعني بالنسبة لك أن اللّٰه العطوف يدعوك إبنه ويرحب بك بين ذراعيه؟

جزء ثانٍ من فهم من أنت يتضمن سماع ما يقوله اللّٰه عمن تكون. استمع لصوت اللّٰه يتحدث إليك:

١. يقول الله، «أنت ذو قيمة.» نقرأ في لوقا ١٢: ٢٤: **" تَأَمَّلُوا الْغِرْبَانَ: أَنَّهَا لاَ تَزْرَعُ وَلاَ تَحْصُدُ وَلَيْسَ لَهَا مَخْدَعٌ وَلاَ مَخْزَنٌ وَاللهُ يُقِيتُهَا. كَمْ أَنْتُمْ بِالْحَرِيِّ أَفْضَلُ مِنَ الطُّيُورِ."**

خذ هذه الآية واجعلها شخصية بالنسبة لك: «يقدر الله الطيور كثيراً لدرجة أنه يطعمها ويعتني ويلبي احتياجاتها. اعتقد أنه يمكنني الوثوق به ليلبي احتياجاتي أنا أيضاً.»

ماذا يعني بالنسبة لك أن الله يقدرك ويقيّمك؟

هل تشعر بقلب الله تجاهك وهو يؤكد لك على رغبته بالاعتناء بك؟

٢. يقول الله، «أنت إبني.» نقرأ في غلاطية ٤: ٧: **" إِذاً لَسْتَ بَعْدُ عَبْداً بَلِ ابْناً، وَإِنْ كُنْتَ ابْناً فَوَارِثٌ لِلَّهِ بِالْمَسِيحِ."**

خذ هذه الآية واجعلها شخصية بالنسبة لك: «أنا إبن الله. حتى لو أن والدي قد تخلي عني، فأنا انتمي لله.»

ماذا يعني بالنسبة لك أن الله جعلك إبنه الخاص والخاص جداً؟

هل تشعر بقلب الله تجاهك وهو يضمك إلى عائلته وباختياره أن تكون إبناً له؟

اصرف بعض الوقت لتشكر الله على ما أعلنه عن نفسه لك. استمع له وهو يتكلم بهذه الكلمات لقلبك خلال الأيام والأسابيع القادمة. دع هذه الحقائق من الكتاب المقدس تشق طريقها بعمق في قلبك وفي هويتك.

الفصل السابع

التأثير من خارج بيتك

جميعنا ننمو في عالم كان في بعض الأحيان لا أبالياً وقاسياً تجاهنا. يحب اللّٰه كل واحد منا تماماً ودون أية شروط. لكن الناس يجعلونا في بعض الأحيان نشعر بأننا غير محبوبين. يحبنا اللّٰه ويقدرنا جميعاً جداً لدرجة أنه أرسل إبنه ليموت عنا. كلمات وتصرفات الآخرين تجعلنا نشعر في بعض الأحيان ونرى أنفسنا دون أية قيمة. ونتيجة لذلك فإن صورتنا الداخلية تتأثر وتعاني وتهتز.

بينما كنت أنمو، فإن مفهومي عن هويتي تشكل ليس بسبب والدي فقط ولكن بسبب عدة عوامل مهمة أخرى: الناس في المدرسة، والحضارة / الثقافة، والديانة. أيضاً، هذه العناصر الرئيسية الثلاثة أثرت على صورتي الذاتية الداخلية، وفي بعض الحالات - وكما اكتشفت - التأثير كان سلبياً أكثر منه إيجابياً.

تأثير الناس في المدرسة

لقد خلقت أعسراً. لكن في الصف الثاني، حاولت معلمتي أن تجعلني استخدم يدي اليمنى. كانت تجعلني أجلس أمام طاولة مليئة بالقوالب الصغيرة المستخدمة للتعليم وتطلب مني أن «أبني بيتاً من هذه القوالب.» ثمَّ كانت تقف فوق رأسي بينما كنت أباشر عملي. إذا ما حاولت أخذ أحد هذه القوالب بيدي اليسرى، فإنها كانت تصفعها بمسطرة قائلة، «توقف وفكر بالأمر. أفعل ذلك بيدك اليمنى.» لقد كنت مرتعباً ومشوشاً ومرتبكاً. قد كنت أفعل ما أفعله بطريقة طبيعية، ولكنني كنت أُعاقب بشدة لعملي هذا. هل لكم أن تتخيلوا كيف لوَّن هذا التصرف صورتي الذاتية؟ لقد بدأت بالاعتقاد أني ناقص ومعاق.

جعلتني هذه التجربة الجرحية أعاني إعاقة كلامية. كلما كنت أبدو خائفاً أو متوتراً أو متعباً - عادة في المدرسة - فإني كنت أتلعثم بالكلام. كان تلعثمي بالكلام يسبب لي إحراجاً هائلاً. طلب مني في الصف الخامس حفظ وإلقاء خطاب غيتيسبيرغ (Gettysburg Address). لقد كنت متوتراً جداً عندما وقفت لدرجة أني بدأت أتلعثم بالكلام. وكان المعلم يأمرني أمام جميع الطلاب، «الق الخطاب، الق الخطاب، توقف عن التلعثم والق الخطاب!» شاعراً بالخزي أمام أصدقائي، فقد هربت من غرفة الصف باكياً.

لأن تعليم والداي لم يتعدَ الصف الثاني، فإنهما لم يتعلما قواعد اللغة أبداً. نتيجة لذلك، لم أتعلم القواعد الصحيحة في البيت أبداً. إذا ما ركز معلمي اللغة الإنجليزية على القواعد، فإنني لم أكن أفهم ذلك أبداً. لكني نجحت وتخرجت من المدرسة الثانوية بطريقةٍ ما. لكني عندما سجلت في الجامعة، فإن جهلي وفشلي في قواعد اللغة تبعني إلى هناك، وأصبحت مرة أخرى موضع سخرية واستهزاء المعلمين. لقد كنت أخجل من أن أتكلم في الصف. ذات يوم وفي حصة اللغة الإنكليزية في السنة الأولى، سألتني البروفسورة قائلة، «أين بوب؟» فأجبتها قائلاً، «إنه ليس على ما يرام.» وأمام الجميع، صححت البروفسورة عبارتي قائلةٍ، «أنت تعني يا سيد ماكدويل ' بوب مريض.'» نظرت إليها بحيرة وارتباك متسائلاً في قرارة نفسي ما هو ذلك الفرق أو المشكلة الكبيرة. بدت العبارتان بالنسبة لي وكأنهما نفس الشيء! تجارب مثل هذه زادت من قسوة مفهومي بأنني كنت كائناً بشرياً دونياً وناقصاً.

كان بريان يعاني من تجربة مشابهة في المدرسة، ولكن إحدى معلماته ساعدته على عكس هذه العملية في حياته والتغلب عليها. نشأ بريان في بيت غير سعيد. هجرت والدته العائلة وهو صغير جداً. كان والده في

سفر دائم بسبب خدمته في الجيش، لذلك أمضى بريان معظم حياته كشاب مع جديه. حيث أن كلاً من والديه هجراه، فإنه شعر بأنه غير محبوب وغير مرغوب فيه.

سنوات بريان الأولى في المدرسة كانت تعيسة. كان يسيئ التصرف لمجرد لفت الانتباه، وصفته ssالمميزة ولقبه كان الطفل المشكلة وقد عاش حياته حسب ذلك اللقب. عندما انتقل إلى الصف التالي، قابلته عند باب الصف ورحبت به معلمة حكيمة جداً. نظرت إلى عينيه مباشرة وقالت،» لقد سمعت كل شيء عنك يا بريان، ولكني لم أصدق أية كلمة من ذلك الكلام!» كان ذلك اليوم هو نقطة التحول في حياته الشابة كما يتذكر بريان. شخص ما رأى قيمة ووعداً ورجاءً فيه. شخص ما آمن به. إذا كان يوجد معلمون أو مدربون أو أجداد أو أي أشخاص بالغين مهمين في حياتك مثل معلمة بريان، فأنت مبارك وإحساسك بالهوية يستفيد كثيراً ويتطور إيجابياً.

كثيراً ما يعمل التأثير السلبي للمعلمين وزملاء الصف ضد التأثير الإيجابي الذي يتلقاه الطفل في البيت. تأملوا في حالة الفتاة ذات الشعر الأحمر التي كان أهلها في البيت يخبرونها كم هي جميلة. في أول يوم لها في المدرسة أخذ زملاء صفها يسخرون منها وأطلقوا عليها لقب رأس الجزرة. لقب آخر أطلقوه عليها وهو ذات الوجه المنمش. لقد سُحقت من الطريقة التي حول زملاؤها فيه ما كانت تعتبره سمات مميزة جميلة إلى موضوع للسخرية والاستهزاء به. أو تأملوا بحالة الولد الذي كان أهله المحبون يؤكدون على أنه كفؤ، ليتعرض للسخرية والاستهزاء به في المدرسة كونه أخرق وبطيء لأن تناسق وترابط تفكيره لم يكن متطوراً كما هو متطور عند زملائه.

يمكن للأطفال أن يكونوا قساة وعديمي الرحمة على بعضهم البعض. لديهم طرقهم الخاصة بهم لتضخيم حتى أدق وأصغر نقيصة أو تشوه ليصبح موضوعاً كبيراً. يمكن لقدرتهم على إطلاق الألقاب الساخرة والاستهزاء بالآخرين تشويه الصورة الداخلية التي يكون الأهل قد حافظوا عليها بكل حرص وعناية. مما لا ريب فيه أنك وأنت طفل كنت موضع لنكات والتعليقات الساخرة من بعض من يدعون أنهم زملاؤك. كانت كل ملاحظة ساخرة وغير لطيفة تزيد خربشة أو تشوش غير مرئي على ألوان صورتك الداخلية، وتجعلك تشك بقيمتك الجوهرية. يصبح مفهومك بحاجة للتحول إلى كيف يراك الله.

أنا برهان حي على أن الله يستطيع تحويل الصورة الداخلية التي تشوهت بسبب إساءة وإهمال المعلمين والزملاء. بعدما أصبحت مسيحياً، انتقلت إلى جامعة ويتون (Wheaton College)، والتي هي جامعة مسيحية. كلما كنت أنمو بالإيمان، كلما زاد صراعي مع التحدي لإخضاع نفسي بالكامل للرب. قاومت التحدي لأني اعتقدت أنه يريد مني الدخول في الخدمة المسيحية مما يعني شيئاً واحداً بالنسبة لي: التحدث أمام العموم. في ذلك الوقت، كانت مشكلة ضعفي بقواعد اللغة وتلعثمي ما زالت قائمة بكل وضوح. نتيجة لذلك، بدا لي أن إعطاء «كل شيء» لله يعني إعطاؤه الشيء القليل جداً ليستخدمه.

قلت أخيرا، «يا إلهي، لا اعتقد أنني أمتلك أية مواهب كلامية أو أية مواهب أخرى يمكنك استخدامها في الخدمة. إني أتلعثم بالكلام عندما أشعر بالخوف ولغتي الإنكليزية رديئة جداً. أنا أمتلك كل هذه القيود، فأنت بكل تأكيد لا تريدني في أية خدمة. لكن إذا كان باستطاعتك تخليصي من هذه القيود وعمل شيء منها، فإني سوف أخدمك بقية حياتي.»

بين يدي اللّٰه التي لا تعرف أية قيود. ضعفاتي أصبحت مصدر قوتي. لقد نلت امتياز التكلم عن المسيح لملايين البشر في أكثر من نصف دول العالم. عندما بدأت برؤية نفسي كما يراني اللّٰه بدلاً من التشبث بالصورة التي ورثتها عن والديّ ومعلميّ وزملائي، فإني أصبحت قادراً على العيش ما وراء قيودي.

بعد كل هذه السنوات، ما زلت أتصارع مع القليل من قواعد اللغة غير السليمة عندما أتكلم أو اكتب. في كل وقت ابدأ بمخاطبة جمهور أو البدء بتأليف كتاب جديد، فإني أكون مدركاً لكل من ضعفاتي ونعمة اللّٰه بنفس الوقت. لكن لم تعد هذه العراقيل تزعجني والتي كانت تبدو ضخمة جداً في حياتي المسيحية المبكرة بعد الآن. إحساسي بهويتي تحول. لم أعد ذلك المعاق أو السلعة المشوهة الخارجة من المصنع. لم أعد متلعثماً بائساً. أنا إبن اللّٰه الحبيب الذي افتداني بدم المسيح وجهزني بالروح القدس من أجل خدمته. يمكنني القول الآن بكل صدق وصراحة، «شكراً لك يا إلهي من اجل والديّ ومن أجل التجارب التي مررت بها في طفولتي.» حتى الصعوبات التي واجهتها وأنا أنمو ساعدت في تشكيل من أنا عليه اليوم. يمكنني القول وترديد كلمات بولس المشجعة في فيلبي ١: ٦: "**وَاثِقاً بِهَذَا عَيْنِهِ أَنَّ الَّذِي ابْتَدَأَ فِيكُمْ عَمَلاً صَالِحاً يُكَمِّلُ إِلَى يَوْمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ.**"

تأثير الحضارة / الثقافة غير الشخصية

تخيلوا المشهد التالي. تصل دارلين إلى البيت في الساعة ٥: ٤٥. تدخل إلى البيت وتنادي، «مرحباً أيها الأطفال، لقد عدت.» تنطلق إجابة كالغمغمة من غرفة كيسي البالغ من العمر أربعة عشر عاماً، حيث انه منهمك في لعبة ما على حاسوبه. عرفت دارلين أن إيدي البالغة من العمر أحد عشر عاماً موجودة في البيت لأنها تستطيع سماع صوت فيديو إبنتها

المفضلة يهدر من غرفتها. تغير دارلين ملابسها الرسمية وترتدي الجينز وبلوزة ومن ثمَّ تفتح حاسوبها المحمول لإنهاء بعضاً من عملها في غرفة العائلة وهي تستمع للموسيقى المنبعثة من مركز التسلية.

إحساسي بهويتي تحول. لم أعد ذلك المعاق أو السلعة المشوهة الخارجة من المصنع. لم أعد متلعثماً بائساً. أنا إبن الله الحبيب الذي افتداني بدم المسيح وجهزني بالروح القدس من أجل خدمته

يصل جويل، زوج دارلين من العمل بعدها بحوالي ثلاثين دقيقة. كان الدور عليه لإحضار العشاء، واختار اليوم الطعام الصيني. إنه يضع الصناديق الساخنة على منضدة المطبخ ويجهز أربعة صحون وشوك. عندما عاد إلى المطبخ بعد تغيير ملابسه، كانت ثلاثة أطباق قد اختفت ونصف الصناديق فارغة. يضع جويل الطعام في طبقه وينضم إلى دارلين في غرفة العائلة. يقوم بتوقيف الموسيقى ويقلب في قنوات التلفاز ويستقر على محطة أخبار ويرفع من صوت التلفاز للتخفيف من ضجة لعبة الحاسوب والفيديو من غرف الأطفال الذين عادوا إليها بأطباق مليئة بالطعام الصيني. تلقي دارلين نظرات خاطفة على الحاسوب خلال قضمها الطعام ثمَّ تنظر للأخبار للحظات وتتبادل بعض الكلمات مع جويل.

يخرج كيسي من غرفته لفترة كافية لتشغيل غسالة الصحون ويتخلص من الطعام المتبقي - هذا عمله لهذا الأسبوع. يعود بعد ذلك إلى غرفته ليشتغل في بعض الوظائف الدراسية البيتية ليعاود بعد ذلك لعبه على الحاسوب. تندفع إيدي إلى حاسوبها لاستخراج بعض المعلومات

عن بيتسي روز من الإنترنت. لكنها سرعان ما تلتهي بغرفة المحادثة على الإنترنت مع أصدقائها وصديقاتها الذين لم تعرفهم شخصياً أبداً حيث أنهم يتحدثون كل ليلة.

ما أن تنتهي دارلين من الحاسوب المحمول، يدخل جويل على خط الإنترنت ليقرأ بريده الإلكتروني ويتفحص سندات السوق المالي. تتنقل دارلين بين غرفتي الطفلين في زيارات خاطفة، ثمَّ تجلس لمشاهدة برنامجها التلفزيوني المفضل. يسلي جويل نفسه بلعبة غولف على الحاسوب. في وقتٍ ما بين الساعة ١٠ و١١: ٣٠ مساءً، كل ما في البيت من أجهزة كهربائية تطفئ ويخلد جميع أفراد العائلة للنوم. سوف نشاهد في مساء اليوم التالي نفس المشهد - ما عدا أنه دور دارلين في إحضار العشاء للعائلة.

قد لا يكون هذا المشهد هو نفسه تماماً في البيت الذي نشأت فيه، ولكنه يشبه المشاهد في أعداد كبيرة من بيوت هذا البلد في الوقت الحالي. قبل جيل أو جيلين، كانت الحضارة / الثقافة هي حلقة التأثير التي بقيت بعيدة عن العائلة ومن الممكن عن الكنيسة أيضاً إلى حدٍ بعيد. نشأ الكثير من الأطفال محميين بطريقة ما من الفجور والأعمال غير الأخلاقية والإباحية والعنف والأمور الدنيوية لأنه كان يتوجب عليهم بالعادة الخروج من البيت ليواجهوا مثل هذه الأمور. أما اليوم فإن العالم انتقل إلى غرف معيشتنا وغرف عائلتنا وغرف نومنا بواسطة الاشتراكات بمحطات الكوابل والأطباق اللاقطة للتلفاز وعبر الإنترنت. يمكنك وأطفالك مشاهدة وسماع كل شيء عن حضارتنا / ثقافتنا - بما فيها الممالك المظلمة للإباحية وأمور السحر والتنجيم - المتوفرة من خلال كبسة على جهاز التحكم عن بعد أو بضع نقرات على فأرة الحاسوب.

حتى في البيوت المسيحية حيث تتم المراقبة والإشراف على البرامج التلفزيونية وعلى حرية الوصول إلى الإنترنت من قبل الأهالي، فإن الأطفال يتأثرون بقوة بالحضارة / الثقافة. حتى المشاهد والمسلسلات والأفلام والبرنامج الوثائقية المصنفة والتي يجب مشاهدتها عليه تحت إشراف الأهالي تجلب الفكرة العالمية الدنيوية إلى بيوتنا. غرف المحادثات وخطوط الإنترنت تربطنا وتربط أطفالنا مع أناس تكون قيمهم متناقضة مع قيمنا. الحضارة / الثقافة التي في وقتٍ ما استطعنا إبقائها بعيدة عنا أصبحت الآن تشارك العائلة الأمريكية المتوسطة في سكنها. من المرجح أنك نشأت أثناء هذا التحول السريع المتسلل بمكر وغدر.

بغض النظر عما تعرضت له وأنت تنمو، فإن الحضارة / الثقافة غير المسيحية قد أثرت على مفهومك فيما يتعلق بهويتك. بجانب أهلك وأشخاص بالغين آخرين مهمين في حياتك، فإن الحضارة / الثقافة توصل إليك من أنت. لكن الطريقة التي تراك فيها الحضارة / الثقافة والطريقة التي يراك فيها الله مختلفتان كاختلاف الليل والنهار. لا تستطيع الحضارة / الثقافة غير المسيحية إلا أن توصل القيم غير المسيحية. في حضارتنا / ثقافتنا، فإن الناس كثيراً ما تكون محبتهم وتقييمهم للآخرين مشروطة بدلاً من أن تكون غير مشروطة. يتوافق العالم وينسجم مع الأشخاص الجميلين والمثقفين ثقافة جيدة واللائقين جسدياً والناجحين في حين أنه يقلل من شأن أو يتجاهل هؤلاء الأشخاص الذين لا يذهبون إلى أندية اللياقة البدنية أو ليسوا بأصحاب المهن من ذوي الرواتب أو أشخاص لهم حسابات بنكية ضخمة.
على سبيل المثال، دعوني أقول أن سيليستي، المحاسبة المحترفة البالغة من العمر ثمانية وعشرون عاماً، نشأت مع بضعة قيود على مشاهدتها للتلفاز. كانت تشاهد أفلام الكرتون لساعات طويلة وهي طفلة صغيرة، والبرامج المعادة والمسلسلات الدرامية وهي مراهقة وأشرطة الفيديو

والمسلسلات الدرامية اليومية الخاصة «بالبالغين» كشابة بالغة. بجانب البرامج التلفزيونية التي كانت تشاهدها، فإن سيليستي استوعبت - بكل ما في الكلمة من معنى - ساعات وساعات من الرسائل الدعائية سنوياً. كانت تذهب إلى الكنيسة وكانت قد اعترفت بإيمانها المسيحي، لكن لم يكن لديها الوقت الكافي لتحصد ثمار حياة تعبدية لهوسها بالبرامج التلفزيونية.

ما الذي أوصلته وسائل الإعلام لسيليستي فيما يتعلق بهويتها؟ أدركت سيليستي بكل جدية منذ سنوات مراهقتها الأولى أنها من الممكن أن لا يكون لها صديق جدي أبداً، هذا ناهيك عن زوج محب ومخلص. كونها ضخمة العظام ووزنها دائماً زائد عن حدّه كثيراً، فقد عرفت إنها لا تستطيع التنافس مع نماذج النساء اللواتي يشبهن عارضات الأزياء السوبر واللواتي ينلن دائماً أجمل الرجال في الأفلام والتلفاز والدعايات. «الفتيات الضخمات» موجودات للضحك عليهن وليس من أجل الرومانسية والحب. فلا عجب أن سيليستي كانت ترى نفسها كما تراها وسائل الإعلام: غير جذابة وغير محبوبة. لهذا السبب، فإنها صارعت لتؤمن أن الله يمكن أن يحبها وأن يعادل أو يحيد نموها وشهادتها المسيحيتين. يأس وافتقاد سيليستي للعاطفة قادها لإقامة علاقات جنسية غير شرعية مع شخص آخر «غير ملائم،» رجل لا تفكر أبداً أن تتزوجه.

مثلها مثل أشعة الشمس فوق البنفسجية التي تؤثر على البشرة المكشوفة، فإن الحضارة / الثقافة خلقت نوعاً من الانطباع عن كيفية رؤية نفسك. من الممكن أنك «احترقت» من التعرض الزائد عن الحد، كما هو الحال مع سيليستي. من الممكن أن يكون بيتك بيت غير مسيحي من حيث الإشراف والرقابة على القيم الدنيوية والممارسات غير الورعة، جاعلاً منك شخصاً إحساسه مشوهاً ومنحرفاً وجاهلاً لقيمتك أمام

اللّه. أو حالة تعرض أكثر اعتدالاً للحضارة / الثقافة في بيئة مسيحية لطخت ألوان صورتك الداخلية قليلاً. إذا كان مفهومك الذاتي يعكس كيف يراك العالم، فأنت مرشح للتحول.

تأثير الاختبارات الدينية

قد يبدو من التناقض القول أن اختبارات ديانتك المسيحية السابقة ساهمت في التشكيل غير الدقيق لإحساسك بالهوية. رغم كل شيء، أين هو المكان لاكتشاف كيف يراك اللّه أفضل من المكان الذي تُدرس فيه كلمته والمكان الذي يجتمع فيه شعبه من أجل الشركة المقدسة؟ لكن لسوء الحظ أنه ليس كل القادة والمعلمين الروحيين يمثلون على نحو صحيح رؤية اللّه لقيمتنا بالنسبة له.

بدأ توم بحضور اجتماعات شبيبة الكنيسة مع أصدقائه عندما كان في المدرسة الثانوية المتوسطة. كانت هذه الكنيسة على وجه الخصوص تتخذ موقفاً متحرراً عن الكتاب المقدس وعن ألوهية المسيح، وهكذا كان الانطباع الأولي لتوم عن المسيحية قد تلون وتشكل بهذه الفكرة والرؤية. تعلم توم أنه كان نتاج عملية تطورية، وأن «اللّه» كان قوة أكثر منه شخصاً، وأن اللّه يحبه ويعتبره ذا قيمة بقدر ما يحب ويقيم نفسه فقط. وكل ما عرفه توم حسب ما سمعه هو أن هذه هي الأخبار السارة. فقط، وعندما قابل مجموعة مبشرين مسيحيين نابضين بالحياة، أدرك توم كشخص بالغ أن تجربته الدينية المبكرة لم تكن مسيحية على الإطلاق. إنه لم يرَ نفسه أبداً كما يراه اللّه. احتاج تقييم توم لإحساسه بهويته إلى تحول شديد التطرف.

درست جانيت في مدرسة مسيحية حيث كان الكتاب المقدس محورها الرئيسي وكانت هذه المدرسة فخورة بذلك جداً. لقد تعلمت الوصايا

العشر كلمة بكلمة منذ الصف الأول. شدد المعلم كثيراً على الأطفال أنه يجب عليهم إطاعة وصايا اللّٰه وإلا فإنه سوف يعاقبهم. تخللت الفكرة الرئيسية للناموسية المتشددة والأداء المبني على البرّ المنهاج الدراسي للكتاب المقدس في المدرسة. بلغت جانيت مرحلة البلوغ ونشأت معها رؤية مشوهة ومنحرفة عن اللّٰه وعن ذاتها. طالما بقيت ثابتة على الطريق وأدت مهامها المسيحية، فإن اللّٰه يحبها ويعتني بها. لكن إذا تباطأ أدائها، فإن اللّٰه سوف يطاردها بتحول وعقاب سماوي. يحبها اللّٰه عندما تطيع فقط. يقدرها اللّٰه عندما تعمل وتؤدي مهامها فقط. لقد أخبروها أن هذه الرسالة قادمة من الكتاب المقدس مباشرة، فمن يستطيع إذن التشكيك بشرعيتها؟ نال الضغط للتكيف مع كل ذلك من جانيت بالنهاية. عندما أصبحت مراهقة، تمردت ضد كنيستها وضد عائلتها المسيحية وضد اللّٰه التي افترضت أنه لديه استخدام قليل لخادمة غير كاملة مثلها.

يكشف الكتاب المقدس عن كيف يرانا اللّٰه. إنه يحبنا كأشخاص خلقنا على صورته. إنه يقيّمنا ويقدرنا لدرجة أنه ضحى بإبنه ليفتدينا. لكن وبكل حزن، وعلى الرغم من ذلك، تسيئ بعض الكنائس والقادة المسيحيين رؤية اللّٰه هذه بالتشديد المبالغ فيه و / أو التشديد القليل جداً على أجزاء صغيرة جداً من سماته المميزة. في حالة جانيت، فإن قسوة التركيز على الطاعة والبرّ المسيحي أزال حنان ومغفرة ومحبة اللّٰه غير المشروطة. لقد كانت ترى نفسها كإنسانة خاطئة بين يدي إله غاضب تحاول بيأس ولكنها تفشل باستمرار في العيش حسب معاييره.

قصدي هنا هو ليس لأجعلك تشك بكنيستك أو راعيك أو قائدك في دراسة الكتاب المقدس. معظم الكناس والقادة التبشيريين يسعون مدعومين بالصلوات إلى أن **يخْبِرَوا بِكُلِّ مَشُورَةِ اللّٰهِ» (أعمال ٢٠ : ٢٧)**.

لكن لا توجد كنيسة كاملة ولا قائد كامل. قد تكون رؤيتك عمن أنت قد تظللت بالضباب بطريقة ما نتيجة سهو في التعليم والعقيدة بين هؤلاء الذين خدموك كمعلمين روحيين. قد تكون قد ورثت من تجربتك الدينية صورة بحاجة للتحول.
عبر كل تاريخك الشخصي، كان الناس والظروف يخبرونك من أنت. قد يكون إحساسك بهويتك الحقيقة على بعد كيلومترات كثيرة أو بضع خطوات فقط عن كيف يراك اللّه، بالاعتماد على شرعية المصدر والشرعية الكتابية لهذه الرسائل. حتى تحول صورتك الداخلية إلى الصورة التي يريد اللّه أن يراها، يجب عليك البدء بالنظر بواسطة عينيه.

الحصول على صورة أكثر وضوحاً عن هويتك

جزء من فهم من أنت يشمل فهم من هو اللّه وأن تختبر قلبه تجاهك. تأمل بعمق في الحقائق التالية عن اللّه. اصرف بعض الوقت لكتابة إجاباتك على هذه الأسئلة في دفتر ملاحظات أو مفكرة.

١. اللّه حق. نقرأ في مزمور ٣١: ٥: " **فَدَيْتَنِي يَا رَبُّ إِلَهَ الْحَقِّ**."
ماذا يعني بالنسبة لك أن اللّه حق؟
ماذا يعني بالنسبة لك أن اللّه الذي هو حق - الإله الذي لا يستطيع أن يكذب عليك - يقول إنك محبوب وذا قيمة وكفاءة؟

٢. اللّه حكيم. نقرأ في رومية ١٦: ٢٧: " **لِلّهِ الْحَكِيمِ وَحْدَهُ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ لَهُ الْمَجْدُ إِلَى الأَبَدِ**."
ماذا يعني بالنسبة لك أن اللّه حكيم؟
ماذا يعني بالنسبة لك أن اللّه - الذي هو الحكيم الوحيد - يحبك كما أنت تماماً ويجدك ذا قيمة كما أنت تماماً، ويجعلك كفؤاً لمجرد أنك إبنه؟

جزء ثانٍ من فهم من أنت يتضمن سماع ما يقوله اللّٰه عمن تكون. استمع لصوت اللّٰه يتحدث إليك:

١. يقول اللّٰه، أنا لن أدينك.» نقرأ في رومية ٨: ١: "**إِذاً لاَ شَيْءَ مِنَ الدَّيْنُونَةِ الآنَ عَلَى الَّذِينَ هُمْ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ.**"

خذ هذه الآية واجعلها شخصية بالنسبة لك: «أنا أنتمي للمسيح يسوع، ونتيجة لذلك، أنا لن أُدان.»

ماذا يعني بالنسبة لك أن اللّٰه جعلك من خاصته ولأنك تنتمي إليه، فأنت قد تحررت من الدينونة نهائياً؟

هل تشعر بقلب اللّٰه تجاهك وهو يعدك أنه لن يدينك؟

٢. يقول اللّٰه، «أنت حبيبي.» نقرأ في يوحنا ١٥: ١٥: "**لاَ أَعُودُ أُسَمِّيكُمْ عَبِيداً لأَنَّ الْعَبْدَ لاَ يَعْلَمُ مَا يَعْمَلُ سَيِّدُهُ لَكِنِّي قَدْ سَمَّيْتُكُمْ أَحِبَّاءَ لأَنِّي أَعْلَمْتُكُمْ بِكُلِّ مَا سَمِعْتُهُ مِنْ أَبِي.**"

خذ هذه الآية واجعلها شخصية بالنسبة لك: «أنا حبيب يسوع المسيح (تصحيح من المترجم لأن الكلمة في اللغة الإنكليزية كانت اللّٰه). أنه يخبرني كل شيء يخبره إياه أبوه.»

ماذا يعني بالنسبة لك أنك حبيب اللّٰه - ليس خليقته فقط، ولكن حبيبه؟

هل تشعر بقلب اللّٰه تجاهك بينما هو يقربك إليه في علاقة صداقة؟

اصرف بعض الوقت لتشكر اللّٰه على ما أعلنه عن نفسه لك. استمع له وهو يتكلم بهذه الكلمات لقلبك خلال الأيام والأسابيع القادمة. دع هذه الحقائق من الكتاب المقدس تشق طريقها بعمق في قلبك وفي هويتك.

رؤية نفسك كما يراك الله

الجزء الثالث

الأساس لهويتك الحقيقية

الفصل الثامن

أساس الهوية الحقيقة

سوزان، المشاركة بدوام كامل في الخدمة المسيحية، وجدت أنه من المستحيل تقريباً الاستمرار بعملها. لقد صُعقت بالإحساس العميق بعدم الجدوى لفكرة تولي أدوار قيادية كانت مطلوبة منها بسبب منصبها. شعرت أنها لم تكن تنتمي لهذه المؤسسة المسيحية كما لو أنها غير مؤهلة كي تكون بين زملاء العمل الذين يمتلكون معايير أخلاقية عالية. لقد كانت مقتنعة أن مرتبتها ستُخفض أو تُطرد إذا اكتشف شخصٍ ما أي شيء عن ماضيها.

بعد عدة جلسات مع مشير مسيحي، استطاعت سوزان أخيراً التحدث عن الأنشطة الكريهة والمثيرة للاشمئزاز التي كانت متورطة فيها قبل أن تصبح مسيحية. ثمَّ بعد ذلك تدفق كل شيء إلى الخارج - الأذى والخوف والكرب العميق الذين دفنته أو تناسته بعد علاقات غير مشروعة لا تعد ولا تحصى وعملية إجهاض وعلاقات سحاقية وجنسية شاذة. تغيّر سلوك سوزان على نحو مثير ودرامي منذ أن أصبحت مسيحية. لكن صورتها الداخلية لم تتغير. لقد افتداها اللّٰه وغفر لها خطاياها، لكنها لا تزال ترى نفسها كالمفلسة أخلاقياً، وأن إحساسها الضعيف بالهوية يعرقل بجدية نموها وخدمتها.

تمثل سوزان الكثير من الناس الذين ألتقي بهم. لقد اخضعوا حياتهم للمسيح، ولكنه يبدو وكأنهم لا يستطيعون التقدم أية خطوة إلى الأمام في الحياة المسيحية. كونهم مهزومين ومحبطين، فإنهم يحاول عمل كل شيء على ما يبدو. إنهم يصلون بجهد أكثر ولفترات طويلة. كما أنهم يشاركون في الأنشطة المسيحية. إنهم يقومون بعمل

تعهدات والتزامات أعظم ويحاولون بذل قصارى جهدهم. ومع ذلك فإنهم يستمرون بالوقوف في أماكنهم. وإنهم لا يعرفون السبب وراء ذلك.

اعتقد أن أشخاص مثل سوزان يعيشون بإحباط لأنهم يتعاملون مع مشاكلهم وفقاً للأعراض بدلاً من التعامل مع المسبب الجذري والرئيسي. يشبه الوضع إعادة تجديد بيت قديم آيل للسقوط لوجود التصدعات والشقوق في الأساسات. يمكن أن تحاول إعادة أحياء البيت بإضافة دهان جديد ووضع سجاد جديد وشراء أثاث جميل. لكن الأرضيات والأسقف سوف تستمر بالضعف والتصدع وسوف تنهار الجدران بالنهاية إذا ما فشلت في إبدال الأساس المدمر.

بطريقة مماثلة، دراسة الكتاب المقدس والصلاة بكفاح شديد هما أمران هامان للنضج المسيحي، والمشاركة في الخدمة المسيحية ومشاركة إيمانك مع الآخرين هما أيضاً أمران هامان. لكن إذا فشلت في رؤية نفسك كما يراك الله، فإن أساسك المهتز سوف يضعف الكثير من محاولاتك غير المجدية وغير الفعّالة للنمو. من تكون أنت هو ليس نتيجة ما تفعله، فلذلك لا يمكنك شق طريقك نحو إحساس أكثر دقةٍ بهويتك. ما تقوم بعمله ينشأ عمن تكون أنت. إذا ما أردت أن يكون نشاطك وعملك كتلميذ للمسيح هادفاً، يجب عليك اكتساب صورة أكثر وضوحاً عن هويتك الحقيقية.

ثلاثة أعمدة للأساس

ما الذي يصنع أساس هويتك الحقيقية؟ لقد قدمت ثلاثة أعمدة - أنت محبوب وذو قيمة وكفؤ - في الفصل الثالث. أريد أن أساعدك في الفصول المتبقية على الثبات على هذه الأعمدة الثلاثة الرئيسية لدرجة أنك تتحول - بكل ما في الكلمة من معنى - بواسطتها. فقط، عندما

ترى نفسك كما يراك اللّٰه، سوف يصبح بمقدورك اختبار الانجاز والسلام الذي خُلقت كي تتمتع به.

العمود الأول: أنت محبوب. قد تكون نشأت مع الإحساس بأنه قد تمّ تجاهلك وأنك شخص غير مرغوب فيه ومحتقر أو حتى مكروه. الأشخاص الذين أوصلوا هذه الصورة لك هم المخطئون. خلقك اللّٰه على صورته وهو يحبك كابن له. اللّٰه لا يرتكب أية أخطاء. إذا كان اللّٰه يحبك - وهو يحبك بالفعل - فأنت محبوب للأبد. إنه لأمر هام وجوهري أن ترى نفسك محبوباً لأنه هكذا يراك اللّٰه.

العمود الثاني: أنت ذو قيمة. أي شخص أوصل لك فكرة انك عديم القيمة أو أنك غير مهم يكون قد خدعك وضللك. ضحى اللّٰه بإبنه الحبيب ليصالحك مع ذاته. إذا كان اللّٰه قد دفع مثل هذه الفدية النفيسة، فأنت ذو قيمة مطلقة بكل تأكيد. إنه لأمر هام وجوهري أن ترى نفسك ذا قيمة لأنه هكذا يراك اللّٰه.

العمود الثالث: أنت كفؤ. من الممكن أن تكون دائماً أخر شخص ينهي مهمة هامة أو يتم اختيارك لدخول فريق كرة البسبول. نتيجة لذلك، فأنت ترى نفسك غير كفؤ أو لا يمكن الاعتماد عليك أو أنك غير جدير بالثقة. قد لا تكون الأكثر ذكاءٍ وموهبةٍ، ولكن اللّٰه منحك الموهبة وعهد إليك بالخدمة الأسمى كي تكون نوره في العالم. إذا كان اللّٰه مستعداً للوثوق بك في مهمة ذات أبعاد أبدية، فأنت كفؤ بالكامل. إنه لأمر هام وجوهري أن ترى نفسك كفؤاً لأنه هكذا يراك اللّٰه.

تحويل إحساسك بالهوية هو موضوع القبول والتصرف حسب ما هو حقيقي مسبقاً

كلما رأيت نفسك بوضوح أكثر على أنك شخص محبوب وذو قيمة وكفؤ، كلما كنت أكثر تجهيزاً للتعامل مع الحياة وكلّ ما يتخللها من تعقيدات. هذا الموضوع لا يتعلق بالتفكير الإيجابي. أنا لا اقترح أنك «تتخيل أو تتصور» هذه الميزات الثلاث الحيوية إذا لم تصبح حقيقة واقعية بالنسبة لك. أنت محبوب وذو قيمة وكفؤ مسبقاً. هكذا خلقك الله.

تحويل إحساسك بالهوية هو موضوع القبول والتصرف حسب ما هو حقيقي مسبقاً. في حين أن تتثبت وتتركز هذه الأعمدة في ذهنك الشعوري والواعي، فأنك سوف تصبح أكثر استعداداً لمقاومة المشاكل والجروح والمآسي التي هي جزءٌ من الحياة البشرية.

أنت محبوب: الإحساس بالانتماء

كانت ليندا قد تُركت مهجورة ومنبوذة عند باب أحد الأشخاص الغرباء وهي ما زلت طفلة بالكاد تستطيع الحبو وقام هؤلاء الأهل البدلاء بتربيتها. بلغت ليندا مرحلة البلوغ مفترضة أنها لا تستحق المحبة. كانت والدتها الأصلية التي ولدتها قد تخلت عنها ما جعل ليندا تشعر أنها غير مرغوب فيها وأنها غير محبوبة. إحساسها بالهوية ضعف كثيراً بسبب عدم وجود الانتماء.

نحن جميعنا بحاجة للإحساس بأننا ننتمي لشخص ما. نحن نشعر بذلك الانتماء عندما يلبي الآخرون عن طيب خاطر احتِياجاتنا للعاطفة والقبول والاحترام والاستحسان. الانتماء هو ما نشعر به عندما نعرف

أن شخص ما يحبنا كما نحن دون أية شروط. يوافق الكثير من علماء النفس أنَّ العامل الوحيد والأكثر أهمية لتطوير الشخصية السليمة هو معرفة أن الآخرين يحبونا.

العالم مليئ بأشخاص مثل ليندا، أشخاص كانوا قد عانوا كثيراً بسبب افتقادهم للحب غير المشروط. لكن كل شخص في هذا العالم أحس بافتقاده للانتماء في بعض الأحيان. فأن الحب الذي نلقاه من الآخرين يكون غير كامل لأن الناس الذين يحبونا يكونوا غير كاملين. لكن بالنهاية الحتمية والمطلقة، فأننا نختبر الحب والقبول المشروطين اللذين يوصلان، «أنا أحبك لأنك ... » أو «سوف أحبك إذا ما فعلت ... » تركز مثل هذه الرسائل على جعل الانتماء يتأقلم حسب أسس الأداء. التهديد المتواصل إنه إذا قمنا بإعمالنا حسب معايير محددة، فإننا سوف لن نكون محبوبين. لا يتم تلبية احتياجنا الأساسي للانتماء بالحب المشروط.

كيف يمكن للمفهوم الخاطئ عن كوننا غير محبوبين أن يتحول إلى الصورة التي لدى اللّٰه عنا؟ بعكس العملية التي خلقت المفهوم الخاطئ في المرتبة الأولى. على سبيل المثال، لافتقادها للإحساس بالانتماء، ضاعفت ليندا من احتياجها للعاطفة كثيراً. إنها بحاجة لحصاد علاقات سليمة مع العائلة والأصدقاء، العلاقات التي تكون فيها قادرة على إعطاء وتلقي العاطفة بواسطة الكلمات والأعمال واللمسات المحبة. بطريقة مشابهة، يجب أن تذهب ليندا إلى الناس الذين يقبلون بها كما هي ويحترموها كشخص ويستحسنوها كما هي. تؤكد مثل هذه البيئة وتشدد على ما كان محجوباً عما يجب أن تراه ليندا: بأنها محبوبة وتستحق العاطفة والقبول والاحترام والاستحسان. سوف نقول المزيد عن تحول الإحساس غير الواضح بالانتماء في الفصل العاشر، «إحساس جديد بكونك محبوباً.

أنت ذو قيمة: الإحساس بالقيمة

وصل جيم إلى ذروة النجاح في مهنته. كان قد ألف عدة كتب، وكان يحاضر بما يتعلق باختصاصه في جميع أنحاء العالم. يقود جيم أغلى أنواع السيارات الرياضية ويمتلك بيتاً فخماً في ضواحي المدينة ويعطي بسخاء لكنيسته والجمعيات الخيرية الأخرى. يراه أصدقاؤه على أنه ناجحٌ وواثقٌ من نفسه إلى أبعد الحدود.

لكن عندما تتعرف على جيم بطريقة أفضل، فأنك سوف تدرك على الفور أنه خائف ولا يشعر بالأمان. عدم شعوره بالأمان هذا دفعه إلى قمة نجاحه. ولكن قد يقوده أيضاً إلى قمة اليأس لأن زوجته هددته بالطلاق إذا لم يفعل شيئاً فيما يتعلق بتوجهات إدمانه على العمل.

يعاني جيم من حالة الهوية الخاطئة. إنه يعتبر نفسه قليل القيمة بعيداً عن انجازات عمله. عندما كان جيم طفلاً صغيراً، كانت حياته البيتية لا يمكن التنبؤ بها وكثيراً ما كانت مؤلمة. كان والده المدمن على المشروبات الكحولية يضربه دونما سببٍ واضح. في بعض الأحيان، وبينما كانت والدة جيم خارج المدينة، كان والدِ جيم يأخذه معه إلى الحانة ويبقيه محبوساً في الشاحنة مغلقاً عليه الأبواب. كثيراً ما كان والده يعود من الحانة مع بزوغ الفجر. باع والده في أحد الأيام دراجة جيم الهوائية واستخدم النقود لشراء الخمور. لم يكن جيم يعرف أبداً ماذا كان والده سيفعل في المرة القادمة. كان جيم مصمماً وهو مراهق على حماية نفسه من مثل عدم الأمان هذا بأن يصبح ناجحاً وغنياً قدر إمكانه.

يجعل معظم الأطفال من أهاليهم نماذج لهم حيث يرفعونهم إلى القمة على اعتبار أنهم كاملون. لهذا السببِ وعندما لا يتم تلبية احتياجات الأطفال للحب والأمان والاهتمام والعزاء، فإنهم يلومون أنفسهم على

ذلك. إنهم يفكرون ويعللون السبب بمنطق كالتالي: «لا يمكن لوالدتي ووالدي أن يفعلا شيئاً خاطئاً، فلذلك إنهما سوف يحبوني إذا كنت استحق ذلك. وبما أنهما لا يحباني، فأنا إذن لست مستحقاً لمحبتهما واهتمامهما.» نتيجة لذلك، كثيراً ما يعوض الأطفال إحساسهم بعدم القيمة باكتساب المحبة والاهتمام الذي يتوقون إليه بواسطة انجازاتهم خارج البيت، كما فعل جيم.

أشخاص مثل جيم موجودون حولنا يومياً. إنهم يرون أنفسهم كما لو أنهم يمتلكون قيمة جوهرية قليلة لأن أحدهم قال لهم إنهم كائنات بشرية عديمة القيمة مما أثر ذلك عليهم. تصل هذه الرسالة بوضوح عندما لا يتم تلبية الاحتياجات الرئيسية للأمان والاهتمام والعزاء. يستنتج الأطفال الذين ينمون وهم يشعرون بعدم الأمان بسبب إساءة أو إهمال الأهل أنهم لا يستحقون الاهتمام بهم. الأطفال الذين يفشل أهلهم بمنحهم الاهتمام المحبة يشعرون بأنهم أقل أهمية من الآخرين. الأطفال الذين لا ينالون العزاء جراء ألمهم وإحباطهم من قبل الأشخاص البالغين يشعرون أن قيمتهم أقل من الآخرين. مثلهم مثل جيم، فإن هؤلاء الأطفال يصلون مرحلة البلوغ تصاحبهم صورة داخلية معنونة «عديمي القيمة.»

لإعادة ترميم وبناء هذا العمود من الأساسات، فإن الاحتياجات التي لم يتم تلبيتها في السنوات الأولى المبكرة يجب أن تلقى كل الاهتمام. أشخاص مثل جيم يحتاجون للسعي وراء المؤمنين الذين سوف يلبون احتياجاتهم للأمان والاهتمام والعزاء بطريقة سليمة وفعّالة. سوف نستكشف هذه الإستراتيجية بالتفصيل في الفصل الحادي عشر، «إحساس جديد للقيمة.»

أنت كفؤ: الإحساس بالثقة

خلق اللّه كل شخص مع قدرات وكفاءات محددة. يمكن لكل كائن بشري أن يقول، «بإمكاني المساهمة بعمل شيء له قيمة للآخرين. بإمكاني عمل شيءٍ ما.» قد تتساءل قائلاً، «لكن ماذا عن ضحايا الشلل الرباعي وضحايا تلف الدماغ والأشخاص المصابين بالغيبوبة الدائمة؟ ماذا بإمكانهم أن يفعلوا؟» يمكن لهؤلاء الأشخاص من ذوي الاحتياجات الجسدية الخاصة استخدام عقولهم. قد يكون باستطاعة الأشخاص ذوي الاحتياجات العقلية الخاصة أن يقوموا بعمل مهام مفيدة. وحتى الأشخاص ذوي الاحتياجات الجسدية والعقلية الخاصة معاً يمكن أن يخدموا لتحفيز الآخرين على الرعاية والاهتمام مما يشكل نوعيتهم الخاصة من الكفاءة. هذا العمود من الهوية الحقيقية هو أقرب ما يكون للفعَّالية أو الكمال، في حياة المؤمن بالطبع، الذي يكون موهوباً من اللّه ليخدم على المستوى الروحي.

ينمو الأطفال في البيئة النموذجية بإحساس سليم بالكفاءة. تشجيع ودعم وتقدير الأهالي المحبين يحفزهم على محاولة عمل أشياء جديدة والتغلب على الصعوبات. يسمع الأطفال قصة المحرك الصغير الذي يستطيع (The Little Engine That Could) ويصبح بإمكانهم الإيمان بقولهم، «اعتقد أنني أستطيع، اعتقد أنني أستطيع.» بوجود الأساس الصلب للتشجيع والدعم، فإن الأطفال يتعلمون المثابرة والنجاح في بعض المجالات والكفاح ليحسنوا من أنفسهم في مجالات أخرى.

يلعب الأهالي دوراً مهماً في تطوير إحساس الأطفال بكفاءتهم. فكر بالأطفال الذين يتعلمون المشي. بمساعدة أهلهم، فإنه يصبح بإمكانهم المشي بأول خطواتهم العرجاء والمتعثرة ومن ثمَّ يسقطون بعد ذلك. عند سماعهم استحسان وتشجيع أهلهم، فإن الأطفال يحاولون مرة

أخرى ويمشون بالنهاية عدة خطوات قبل السقوط مرة أخرى. يبتسم أهلهم ويشجعونهم قائلين، «محاولة جيدة! يمكنكم فعل ذلك!» ولن تمضي فترة طويلة إلا ويصبح بإمكان الأطفال المشي في كل مكان.

لكن ما رأيك بأحد الوالدين الذي يعيق الطفل عن المشي؟ ينهض الطفل بنفسه ورجليه ترتعشان ولكن الوالد يدفعه إلى الأرض مرة ثانية وهو يقول له شيئاً مثل، «أنت لن تتعلم المشي أبداً، فلذلك لا تحاول حتى تجربة ذلك.» من باستطاعته أن يكون بهذه القسوة لإعاقة محاولة طفل للمشي؟ إنه أمر يصعب التفكير به. ومع ذلك، فإن الكثير من الأطفال ينمون على نفس النوع من المدخلات السلبية.

لم يكن سوني البالغ من العمر ثماني سنوات رياضياً موهوباً، ولكنه كان يحب لعبة كرة البسبول. كان يتدرب على رمي الكرة لساعات وساعات برمي كرة تنس على باب المرأب. ثمَّ اخذ يرمي الكرات عالياً بالهواء ليطور مهارته بالالتقاط. عندما كان سوني يفقد كرة التنس، فإنه كان يستخدم الليمون المزروع في الباحة الخلفية. كان سوني يستجدي والده كي يلعب معه، ولكن والده كان يوافق في بعض الأحيان على مضض.

عندما أصبح سوني في التاسعة من عمره، فإنه ألحَّ على والده حتى وافق بالنهاية على أخذه إلى محاولات دوري الصغار لكرة البسبول في منتزه محلي. كان سوني يشعر بالإثارة الشديدة لإمكانية التأهل للعب وخصوصاً أنه كان قد تدرب كثيراً على رمي الكرة والتقاطها. لكن قبل انتهاء فترة التجريب، قال له والده، «هيا يا سوني، سوف نعود للبيت. أنت لست بارعاً بلعب كرة البسبول.»

ثقة سوني الهشة بقدراته المحدودة تحطمت. استغرقه الأمر سنوات طويلة كي يسترد إحساسه بالكفاءة لعمل أي شيء بطريقة صحيحة. ما زالت عدم ثقته بنفسه تزعجه حتى وهو إنسان بالغ.

عندما لا يشجع الأهل ولا يدعمون محاولات أطفالهم، فإن الأطفال ينمون بإحساس ضعيف بالكفاءة. عندما لا يقدر البالغون محاولات الأطفال في حياتهم، فإنهم يتساءلون إذا ما قاموا بعمل شيء خاطئ. وبدون الملاطفات الإيجابية، فإنهم لن يكونوا متلهفين للمحاولة مرة أخرى.

أماندا البالغة من العمر اثنين وعشرين عاماً هي فتاة جذابة ما زالت تصارع أيضاً عدم ثقتها بنفسها. نشأ الكثير من عدم ثقتها بنفسها أثناء مرحلة الطفولة بسبب المنافسة مع شقيقتها ماري. كانت ماري تفعل كل شيء بطريقة صحيحة دائماً، في حين أن أماندا لم تستطع عمل أي شيء يرضي أهلها أبداً. الاستنتاج الذي توصلت إليه أماندا هو أنها غير ملائمة ولا تمتلك الكفاءة وأن أهلها لا يحبونها كما يحبان ماري. ما زالت أماندا ترى نفسها بهذه الطريقة كإمرأة بالغة. إنها تتوقع الرفض من قبل الآخرين عندما ترتكب الأخطاء، فلذلك تقاوم أماندا محاولة عمل أشياء جديدة.

سوني وأماندا والأشخاص الذين مثلهم سُلب منهم الإحساس الصحيح بكفاءتهم، وما زالوا يعانون من ذلك حتى الآن. لتحويل هذا العمود من هويتهم، فإنهم بحاجة لأن يكونوا في بيئة يتم فيها تشجيع ودعم وتقدير محاولاتهم. سوف نتحدث بالتفصيل عن الاحتياجات وكيف يمكن أن يتم تلبيتها في الفصل الثاني عشر، «إحساس جديد بالكفاءة.»

خلق اللّه كل شخص كي يكون محبوباً وذا قيمة وكفؤ. إذا لم يتم التشديد والتأكيد على أعمدة الهوية الحقيقة أثناء سنوات نمو وتطور الطفل وإذا لم يتم تلبية الاحتياجات الحيوية الهامة المرتبطة بهذه الأعمدة من قبل الأشخاص الأكثر قرباً منهم، فإن الأطفال سوف ينمون بصورة مشوهة ومنحرفة عن هويتهم الحقيقية. في حضارتنا / ثقافتنا، فإن الناس كثيراً ما يميلون لتعويض الإحساس الضعيف بالانتماء أو القيمة بالانجاز المبالغ فيه في مجال الكفاءة. قد يصبحون مدمني عمل في محاولات مسعورة منهم لاكتساب الحب والاستحسان الذي افتقدوه مبكراً في حياتهم.

بغض النظر عن مدى إنكارهم لحقك في التمثيل الواضح عمن تكون في الحقيقة، فأنت بحاجة للتحول. الفصول القادمة سوف تساعدك على التحرك أثناء هذه العملية.

الحصول على صورة أكثر وضوحاً عن هويتك

جزء من فهم من أنت يشمل فهم من هو اللّه وأن تختبر قلبه تجاهك. تأمل بعمق في الحقائق التالية عن اللّه. اصرف بعض الوقت لكتابة إجاباتك على هذه الأسئلة في دفتر ملاحظات أو مفكرة.

١. اللّه صالح. نقرأ في مزمور ٨٦: ٥: " **لأَنَّكَ أَنْتَ يَا رَبُّ صَالِحٌ وَغَفُورٌ وَكَثِيرُ الرَّحْمَةِ لِكُلِّ الدَّاعِينَ إِلَيْكَ.**"

ماذا يعني بالنسبة لك أن اللّه صالح؟

ماذا يعني بالنسبة لك أن اللّه الصالح - الإله الذي لا يمارس الخداع - يراك محبوباً؟

٢. الله عادل. نقرأ في مزمور ١١٩: ١٣٧: **« بَارٌّ أَنْتَ يَا رَبُّ وَأَحْكَامُكَ مُسْتَقِيمَةٌ.»**

ماذا يعني بالنسبة لك أن الله بار وعادل؟
ماذا يعني بالنسبة لك أن الله العادل يراك محبوباً وكفؤاً؟

جزء ثانٍ من فهم من أنت يتضمن سماع ما يقوله الله عمن تكون. استمع لصوتٍ الله يتحدث إليك:

١. يقول الله، «أنت عزيزٌ.» نقرأ في اشعياء ٤٣: ٤: **« إِذْ صِرْتَ عَزِيزاً فِي عَيْنَيَّ مُكَرَّماً وَأَنَا قَدْ أَحْبَبْتُكَ.»**
خذ هذه الآية واجعلها شخصية بالنسبة لك: «أنا عزيز عند الله. إنه يحبني ويكرمني.»
ماذا يعني بالنسبة لك أنك عزيز على الله؟
هل تشعر بقلب الله تجاهك وهو يكرمك؟

٢. يقول الله، «خطاياك غفرت لك.» نقرأ في أفسس ١: ٧: **« الَّذِي فِيهِ لَنَا الْفِدَاءُ، بِدَمِهِ غُفْرَانُ الْخَطَايَا، حَسَبَ غِنَى نِعْمَتِهِ.»**

خذ هذه الآية واجعلها شخصية بالنسبة لك: «الله لطيف جداً لدرجة أنه غفر لي خطاياي بالكامل. أنا طاهر بواسطة دم يسوع.»
ماذا يعني بالنسبة لك أن الله غفر لك خطاياك؟
هل تشعر بقلب الله تجاهك وهو يحبك كثيراً لدرجة أنه افتدى مغفرته لك بدم إبنه الوحيد؟

اصرف بعض الوقت لتشكر الله على ما أعلنه عن نفسه لك. استمع له وهو يتكلم بهذه الكلمات لقلبك خلال الأيام والأسابيع القادمة. دع هذه الحقائق من الكتاب المقدس تشق طريقها بعمق في قلبك وفي هويتك.

الفصل التاسع

التحول هو عملية

عندما وثقت بالمسيح مخلصاً، فإن مفهومي عمن أكون لم يتحول على نحو آلي. لم أتمتع بالانتصار الفوري على الندوب العميقة من حياتي الماضية. كان ذلك مخيباً لآمالي قليلاً.

رغم ذلك، عندما وثقت بالمسيح، فإني تقبلت الروح القدس، الذي ساعد في شفاء جراحي الماضية وساعدني على استرداد هويتي الحقيقية. بدأت منذ تلك اللحظة فصاعداً عملية النمو نحو رؤية نفسي بواسطة عيون الله وتعلمت أن أتصرف وفقاً لذلك. تبدو التغييرات الإيجابية التي أجد نفسي فيها حالياً وكأنها أمور لا تصدق. مع ذلك، وبعد كل هذه السنوات، ما زالت العملية مستمرة. وسوف تستمر حتى مماتي.

نفس الشيء صحيح بالنسبة لك.

عندما تصبح مسيحياً، فأنك تصبح شخصاً جديداً من داخلك. تبدأ في تلك اللحظة فصاعداً عملية فهم هويتك الحقيقية. يقول لنا بولس، **"إِذاً إِنْ كَانَ أَحَدٌ فِي الْمَسِيحِ فَهُوَ خَلِيقَةٌ جَدِيدَةٌ. الأَشْيَاءُ الْعَتِيقَةُ قَدْ مَضَتْ. هُوَذَا الْكُلُّ قَدْ صَارَ جَدِيداً" (كورنثوس الثانية ٥: ١٧)**.

إذا كنت مثلي، فأنك سوف تتمنى لو أن بعض الأشياء الخارجية من حياتك الماضية تتغيّر. على سبيل المثال، طفولتي مع والد مدمن على المشروبات الكحولية - وبكل ذكرياتها - لم تختفِ عندما أصبحت مسيحياً. قد يكون لديك أنت أيضاً بعض الاختبارات من حياتك الماضية تتمنى لو إنها تختفي لأنها أثرت سلبياً بشدة على كيفية رؤية نفسك وحياتك في الوقت الحالي.

لكن التجديد الذي يتكلم عنه بولس هو روحيٌّ في طبيعته. إنه يصف التغييرات الداخلية التي تبدأ بالتأثير علينا بينما نحن ننمو روحياً في الأسابيع والأشهر التي تلي هدايتنا. بالنسبة لي، فأن الأهل والمعلمين والزملاء والحضارة / الثقافة التي شكلت تاريخي لم تتغير، ولكن فهمي لتلك التغييرات أخذ بالتغيّر تدريجياً. قد تكون تجربتك مشابهة لتجربتي. إذا كنت قد نشأت مع والد فاسد وبذيء، فلن يكون باستطاعتك العودة إلى مرحلة طفولتك لإعادة إحيائها مع والد محب. إن ماضيك قد سُجن في ماضيك؛ لا يمكنك العودة بالزمن للوراء لتغيير ذلك.

التخلص من الأكفان

بينما يقوم الروح القدس بالعمل الأولي للتحول، فإن اللّه يختار أن يرسل مؤمنين آخرين ليساعدونا في العملية. قصة تجاوب يسوع مع موت لعازر توضح جزء من عملية التحول.

عندما وصل يسوع إلى قبر صديقه لعازر الميت، فإنه صرخ بصوت عظيم قائلاً، "**لِعَازَرُ هَلُمَّ خَارِجاً**" **(يوحنا ١١: ٤٣)**. وحسب أوامر الرب، فإن الرجل الذي كان ميتاً منذ أربعة أيام خرج حياً. بدأ لعازر حياة جديدة.

كان لعازر ملفوفاً بكفن الدفن القماشي الذي كان مشبعاً بالأطياب التي تساعد في الحفاظ على الجثة. عند نداء يسوع، حياة جديدة اخترقت الكفن وذهبت مباشرة إلى الجسد، وخرج لعازر متعثراً من القبر ملفوفاً بالأقمطة كالمومياء.

لكن، بما أن لعازر كان قد تحرر من القبر، فإنه لم يعد بحاجة للكفن. كان الكفن بكل تأكيد معيقاً لأنشطته خارج القبر. لذلك قال يسوع لعائلة وأصدقاء لعازر، "**حُلُّوهُ وَدَعُوهُ يَذْهَبْ**" **(يوحنا ١١: ٤٤)**. بمساعدة أفراد

عائلته وأصدقائه، تخلص لعازر من كفنه وتحرر ليبدأ حياة جديدة.

لاحظ أن الكفن لم يسقط فور دعوة يسوع لعازر للخروج من قبره. كانت هناك عملية مشاركة لمساعدة لعازر على التخلص من الكفن بعدما عاد للحياة من جديد.

تعكس وتلون هذه القصة الصورة لعملية التحول التي تحدث في حياتنا. عندما نصبح مسيحيين، فإن المسيح يهبنا حياة جديدة. كما لو أنه يصرخ علينا بصوت عظيم، «هيا اخرجوا! هيا اخرجوا من كينونتكم القديمة الميتة. اخرجوا وتمتعوا بالحياة الجديدة التي أعددتها لكم. اخرجوا أحياء!» المسيح هو المبادر بمنح الحياة الجديدة. إن قوته هي التي تُفعِّل عملية التحول.

لكن، مثلنا مثل لعازر، نحن نخرج من القبر بأكفاننا القديمة. قد نكون لا زلنا مرتبطين بالتأثير السلبي لعائلتنا أو معلمينا أو زملائنا. قد نكون لا زلنا مرتبطين بالصورة الذاتية الخاطئة. تخترق دعوة المسيح للحياة الجديدة أكفاننا - الأشياء التي تقيدنا - حيث تبدأ الحياة الجديدة، لكننا ما زلنا نتعثر بأقمطتنا القديمة. نحن ما زلنا بحاجة لخلع ذلك المفهوم الخاطئ ونتحرر من التأثيرات السلبية.

كان يمكن للرب أن يأمر لعازر أن يندفع بكل قوته من القبر وخالعاً عنه كفنه في استعراض للقوة. لكنه لم يفعل ذلك. اختار المسيح أن يشارك الأشخاص الآخرون في حياة لعازر. فقد قال لأصدقاء وأفراد عائلة لعازر، «أنتم اخلعوا عنه كفنه! أنتم جزء من عملية تحريره من كفنه! يجب عليكم أنتم مساعدته في عملية التحول!» والمسيح يفعل نفس الشيء معنا. إنه يُكمل عملية التحول بإحضار مؤمنين آخرين إلى حياتنا،

المؤمنين الذين يحبوننا جداً لدرجة مساعدتنا على رؤية أنفسنا كما يرانا الله. سوف نناقش أهمية المؤمنين الآخرين في عملية التحول في الفصل الثالث عشر، «السعي وراء بيئة متحولة.»

اكتشف من أنت مسبقاً

ليس من المهم بالنسبة لنا أن نتذكر أن التحول هو عملية تبدأ من قبل الروح القدس وبمساعدة المؤمنين الآخرين فقط. ولكن من المهم جداً أن نتذكر أيضاً مفتاحاً رئيسياً فعَّالاً جداً: أنت لا تصبح شخصاً جديداً بتغيير سلوكك؛ أنت تكتشف الشخص الذي أنت تكونه مسبقاً في المسيح وتتصرف وفقاً لذلك.

فكر بجزئي تلك العبارة للحظات. أنت لا تصبح شخصاً جديداً بتغيير سلوكك. يتم حث الكثير من المسيحيين الجدد على البدء بعمل أشياء حتى يُفعّلوا عملية النمو الروحي. يتحدى المعلمون ذوي النيات الصالحة المهتدين الجدد على دراسة الكتاب المقدس وحفظ الآيات والذهاب إلى الكنيسة قدر إمكانهم والشهادة للآخرين وإبدال العادات القديمة الخاطئة بنماذج من الحياة الورعة. نحن نوصل في بعض الأحيان لشدة لهفتنا لرؤية المؤمنين الجدد يتأصلون ويتجذرون في الإيمان أن أنشطتهم الروحية سوف تحول هويتهم الروحية.

أنت لا تصبح شخصاً جديداً بتغيير سلوكك، أنت تكتشف الشخص الذي أنت تكونه مسبقاً في المسيح والتصرف وفقاً لذلك

لا تفهموني خطأ, أنا أؤيد بكل صدق وإخلاص دراسة الكتاب المقدس والذهاب إلى الكنيسة ومشاركة الإيمان مع الآخرين. لكن المشاركة التواقة في هذه الأنشطة الحيوية لا تعمل على تحويلنا. فكر بالجزء الأخير من تلك العبارة المهمة: أنت تكتشف الشخص الذي أنت تكونه مسبقاً في المسيح والتصرف وفقاً لذلك. دراسة الكتاب المقدس والذهاب إلى الكنيسة ومشاركة إيماننا لا يجعل اللّٰه يعتبرنا محبوبين وذوي قيمة وأكفاء. إنه يرانا بهذه الطريقة مسبقاً لأنه هكذا نحن بالواقع. نحن لا نشق طريقنا نحو هويتنا كأبناء اللّٰه المحبوبين؛ فنحن أبناء اللّٰه المحبوبين. عندما ندرك ذلك، فأنه يمكننا التصرف وفقاً لذلك لعمل هذه الأشياء التي تحولنا إلى ما نحن عليه.

أصبح صديقي ديفيد فيرغسون مسيحياً في بداية العشرينيات من عمره. جعله القادة المسيحيون ذوي النوايا الحسنة يشارك في دراسة شخصية للكتاب المقدس في التو والحال لمساعدته على البدء بالنمو في إيمانه. لقد اتخموه بالمواد ليتحدوه على التفحص والتدقيق في أجزاء من الكتاب المقدس حتى يكتشف وعوداً يطالب بها وخطايا ليتجنبها ووصايا لإطاعتها. كان مشروع دراسة شامل، وانهمك فيها ديفيد بكل صدق وإخلاص، ممضياً ساعاتٍ وساعات وهو يتفحص ويبحث في الكتاب المقدس أسبوعياً.

لكن بعد عدة أسابيع فقط أنهكت هذه الدراسة ديفيد. كان مشغولاً جداً وهو يبحث عن ويستخرج الآيات كي «ينمو» لدرجة أنه ضيع الفكرة الرئيسية لتمرينه. لذلك، قام بوضع الكتب الدراسية جانباً وحول انتباهه إلى معرفة إله الكتاب المقدس شخصياً، الإله الذي خلصه بشكل رائع ومذهل. محاولاته قادته مرة أخرى للكلمة، لكن حوافزه كانت مختلفة تماماً هذه المرة. بدلاً من الغوص بين الصفحات ليصبح شخص ما، فإنه تفحص وصقل الكلمة ليجد قلب الذي جعل منه شخصٍ ماً.

نصبح نرى أنفسنا كما يرانا الله، بواسطة علاقة حميمة متواصلة معه

أصبح ديفيد اليوم من أكثر الناس معرفة بالكلمة ممن أعرفهم. الأكثر أهمية هو أنه أصبح أكثر حميمية بتواصله مع إله الكلمة من معظم القادة المسيحيين. تعلم مبكراً أن النمو المسيحي هو مسألة معرفة اللّٰه على نحو رئيسي حتى نرى أنفسنا بواسطة عيون اللّٰه.

يجب علينا جميعنا المشاركة في هذه العملية إذا كان يتوجب علينا فهم هويتنا الحقيقية. تحويل الإحساس الخاطئ بالهوية إلى صورة أكثر خطئاً على نحو متزايد عمن نكون في المسيح يحصل بسبب كوننا أحداً أكثر من عمل أشياءٍ ما. نصبح نرى أنفسنا كما يرانا اللّٰه، بواسطة علاقة حميمة متواصلة معه. نحن نقرأ ونحفظ ونتأمل في الكتاب المقدس للتواصل مع قلب اللّٰه على نحو رئيسي. كلما عرفنا قلب اللّٰه، كلما ازداد وضوح رؤية أنفسنا محبوبين وذوي قيمة وأكفاء في عيونه.

التواصل مع قلب الله

أكثر العبارات صدقاً فيما يتعلق بهويتنا موجودة في الكتاب المقدس. هناك حيث يفتح اللّٰه قلبه فيما يتعلق بمن نكون. إذا كان ما تفكر وتشعر به لا يتوافق مع كيف يصفك الكتاب المقدس، فأنت تعيش في حالة الهوية الخاطئة. التحول في صورتك الداخلية الذي لا سبيل للخلاص منه مرتبطٌ بنمو فهم الحقيقة الكتابية عمن تكون.

أصبح سكوت البالغ من العمر أربعة وثلاثين عاماً مسيحياً في الجامعة، لكنه كان يعيش تحت سحابة سوداء منذ ذلك الحين. تورط سكوت وهو

مراهق بعلاقة جنسية سرية شاذة مع رجل أكبر منه عمراً. بعدما وثق سكوت بالمسيح، فإنه غير أسلوب حياته لأنه عرف أن اللواط خطيئة حسب الكتاب المقدس. لكن سكوت لم يستطع التخلص من الإحساس أن اللّٰه سوف يدينه بسبب خطاياه الماضية. لقد كان يشعر وكأنه مسيحي من الدرجة الثانية وأن اللّٰه لن يثق به أبداً ليستخدمه في خدمة مهمة بسبب الغلطة التي ارتكبها أثناء مراهقته. نتيجة لذلك، كان يشعر بالانهزام والإحباط معظم الوقت.

تعلن آية رومية ٨: ١، **"إِذاً لاَ شَيْءَ مِنَ الدَّيْنُونَةِ الآنَ عَلَى الَّذِينَ هُمْ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ."** من يمتلك الصورة الدقيقة عن هوية سكوت الحقيقية: سكوت، الذي يرى نفسه مداناً وقيمته قليلة، أم أن اللّٰه الذي غفر له خطاياه ولن يدينه بعد الآن؟ اللّٰه بالطبع! نحن نرى قلب اللّٰه فيما يتعلق بخطيئة سكوت في آية رومية ٨: ١. لقد غفرت خطايا سكوت وأصبح طاهراً. إحساس سكوت غير الدقيق أو الخاطئ بالهوية بدأ بالتغيّر فقط عندما بدأت آية ٨: ١ بتحويل كيفية رؤيته لنفسه.

بمعزل عن كلمة اللّٰه، نحن جميعنا تصادفنا صعوبات جمة في فهم كيف يرانا اللّٰه. يشبه الوضع ذلك الرجل الذي أهدى صديقه، الذي كان يحب ألعاب الألغاز، هدية عيد ميلاد غير اعتيادية. اشترى الرجل علبتين كبيرتين من ألعاب الألغاز ومن ثمَّ قام بإبدال غطائي العلبتين كنوع من المزاح. أصيب الرجل الذي تلقى الهدية بالإحباط التام وهو يحاول جمع قطع اللغز الأول معاً. مستخدماً الصورة الموجودة على الغطاء كدليل، فإنه لم يستطع معرفة كيف يجمع القطع التي بداخل العلبة. وجد أيضاً أن اللغز الثاني كان بنفس الصعوبة حتى كشف له صديقه عن الدعابة.

نحن نختبر نفس الإحباط في فهم هويتنا عندما ننظر إلى «غطاء العلبة» الخاطئ. إذا ما اعتبرت مشاعرك وأحكامك وتجاربك الشخصية هي المعايير لتحديد من أنت، فأنك سوف تصارع وأنت تحاول «جمعها معاً» في صورة تتعلق بهويتك. كلمة الله هي الصورة التي يجب أن نسير وفقاً لها. كلما كنت على انسجام وتناغم مع صورة الله، كلما سُهل تجميع قطع حياتك معاً لتشبه تلك الصورة. يجب علينا استخدام الصور الحقيقية لمن نكون - الكتاب المقدس - إذا كنا نأمل باختبار التحول المطلوب.

رؤية الله لما هو عليه

عنصر رئيسي هام لرؤية أنفسنا كما يرانا الله هو أن نرى الله كما هو عليه. أوصاف الله المميزة موجودة في الكتاب المقدس والتي تكشف لنا عن قلبه. كلما عرفنا أكثر عن الله، كلما ازداد فهمنا لماذا يرانا محبوبين وذوي قيمة وأكفاء.

تأملوا في القائمة التالية السمات المميزة المنسوبة لله في الكتاب المقدس. كل مظهر من سماته المميزة الذي نراه هنا يساعدنا على أن نفهم بوضوح أكثر لماذا يهتم بنا بهذه الطريقة. سوف تدرك بعض من هذه العبارات من أسئلة المفكرة التي وضعناها في نهاية الفصل لمساعدتك على اكتشاف قلب الله الحقيقي الذي يحبك.

الله هو ملك الكون («مَنْ هُوَ هَذَا مَلِكُ الْمَجْدِ؟ الرَّبُّ الْقَدِيرُ الْجَبَّارُ الرَّبُّ الْجَبَّارُ فِي الْقِتَالِ» [مزمور ٢٤: ٨]؛ «لَكَ يَا رَبُّ الْعَظَمَةُ وَالْجَبَرُوتُ وَالْجَلاَلُ وَالْبَهَاءُ وَالْمَجْدُ, لأَنَّ لَكَ كُلَّ مَا فِي السَّمَاءِ وَالأَرْض. لَكَ يَا رَبُّ الْمُلْكُ, وَقَدِ ارْتَفَعْتَ رَأْساً عَلَى الْجَمِيعِ» [أخبار الأيام الأول ٢٩: ١١]؛ «يَا رَبُّ إِلَهَ آبَائِنَا أَمَا أَنْتَ هُوَ اللهُ فِي السَّمَاءِ وَأَنْتَ الْمُتَسَلِّطُ عَلَى جَمِيعِ مَمَالِكِ

الأَمْ وَبِيَدِكَ قُوَّةٌ وَجَبَرُوتٌ وَلَيْسَ مَنْ يَقِفُ مَعَكَ» [أخبار الأيام الثاني ٢٠: ٦]. كل الظروف هي بين يديه بالجوهر المطلق. إنه هو من يسيطر على حياتك.

الله بار («بَارٌّ أَنْتَ يَا رَبُّ وَأَحْكَامُكَ مُسْتَقِيمَةٌ» [مزمور ١١٩: ١٣٧]). إنه الوحيد الذي يستطيع عمل ما هو حق لك. إنه لا يخطئ تجاهك.

الله عادل («هُوَ الصَّخْرُ الكَامِلُ صَنِيعُهُ. إِنَّ جَمِيعَ سُبُلِهِ عَدْلٌ. إِلهُ أَمَانَةٍ لا جَوْرَ فِيهِ. صِدِّيقٌ وَعَادِلٌ هُوَ» [تثنية ٣٢: ٤]). إنه سيكون دائماً عادلاً معك.

الله محبة («وَمَنْ لا يُحِبُّ لَمْ يَعْرِفِ اللهَ، لأَنَّ اللهَ مَحَبَّةٌ» [يوحنا الأولى ٤: ٨]). إنه يريدك أن تحصل على أفضل ما في الحياة.

الله أبدي. («الإِلهُ القَدِيمُ مَلجَأٌ وَالأَذْرُعُ الأَبَدِيَّةُ مِنْ تَحْتُ» [تثنية ٣٣: ٢٧]). خطته لحياتك تتجاوز الزمن منذ الأبدية.

اللّه كليّ المعرفة. («لأَنَّ عَيْنَيِ الرَّبِّ تَجُولانِ فِي كُلِّ الأَرْضِ لِيَتَشَدَّدَ مَعَ الَّذِينَ قُلُوبُهُمْ كَامِلَةٌ نَحْوَهُ فَقَدْ حَمِقْتَ فِي هَذَا حَتَّى إِنَّهُ مِنَ الآنَ تَكُونُ عَلَيْكَ حُرُوبٌ» [أخبار الأيام الثاني ١٦: ٩]؛ « يَا رَبُّ قَدِ اخْتَبَرْتَنِي وَعَرَفْتَنِي. أَنْتَ عَرَفْتَ جُلُوسِي وَقِيَامِي. فَهِمْتَ فِكْرِي مِنْ بَعِيدٍ. مَسْلَكِي وَمَرْبَضِي ذَرَّيْتَ وَكُلَّ طُرُقِي عَرَفْتَ. لأَنَّهُ لَيْسَ كَلِمَةٌ فِي لِسَانِي إِلاَّ وَأَنْتَ يَا رَبُّ عَرَفْتَهَا كُلَّهَا. مِنْ خَلْفٍ وَمِنْ قُدَّامٍ حَاصَرْتَنِي وَجَعَلْتَ عَلَيَّ يَدَكَ. عَجِيبَةٌ هَذِهِ الْمَعْرِفَةُ فَوْقِي. ارْتَفَعَتْ لاَ أَسْتَطِيعُهَا» [مزمور ١٣٩: ١-٦]). إنه يعرف كل شيء عنك، ماضيك وحاضرك، ويعرف أيضاً كيف يستخرج الأمور الصالحة حتى من أسوأ التجارب.

اللّه موجود في كل مكان. («أَيْنَ أَذْهَبُ مِنْ رُوحِكَ وَمِنْ وَجْهِكَ أَيْنَ أَهْرُبُ؟ إِنْ صَعِدْتُ إِلَى السَّمَاوَاتِ فَأَنْتَ هُنَاكَ وَإِنْ فَرَشْتُ فِي الْهَاوِيَةِ فَهَا أَنْتَ. إِنْ أَخَذْتُ جَنَاحَيِ الصُّبْحِ وَسَكَنْتُ فِي أَقَاصِي الْبَحْرِ فَهُنَاكَ أَيْضاً تَهْدِينِي يَدُكَ وَتُمْسِكُنِي يَمِينُكَ» [مزمور ١٣٩: ٧ – ١٠]). لا يوجد

مكان تذهب إليه ولا يستطيع اللّٰه الاهتمام بك فيه.

اللّٰه كليّ القدرة. (**"قَدْ عَلِمْتُ أَنَّكَ تَسْتَطِيعُ كُلَّ شَيْءٍ وَلاَ يَعْسُرُ عَلَيْكَ أَمْرٌ" [أيوب ٤٢: ٢]**). يستطيع اللّٰه عمل كل ما هو ضروري لتحقيق غايته في حياتك.

اللّٰه حق. (**"فِي يَدِكَ أَسْتَوْدِعُ رُوحِي. فَدَيْتَنِي يَا رَبُّ إِلهَ الْحَقِّ" [مزمور ٣١: ٥]**).

اللّٰه لا يتغيّر. (**"لأَنِّي أَنَا الرَّبُّ لاَ أَتَغَيَّرُ" [ملاخي ٣: ٦]**). إنه لا يكذب عليك.

اللّٰه آمين. (**"لأَنَّ كَلِمَةَ الرَّبِّ مُسْتَقِيمَةٌ وَكُلَّ صُنْعِهِ بِالأَمَانَةِ" [مزمور ٣٣: ٤]**؛ **" الرَّبُّ الإِلهُ رَحِيمٌ وَرَاوفٌ بَطِيءُ الْغَضَبِ وَكَثِيرُ الإِحْسَانِ وَالْوَفَاءِ" [خروج ٣٤: ٦]**).

اللّٰه قدوس. (**"مَنْ لاَ يَخَافُكَ يَا رَبُّ وَيُمَجِّدُ اسْمَكَ، لأَنَّكَ وَحْدَكَ قُدُّوسٌ، لأَنَّ جَمِيعَ الأُمَمِ سَيَأْتُونَ وَيَسْجُدُونَ أَمَامَكَ، لأَنَّ أَحْكَامَكَ قَدْ أُظْهِرَتْ" [رؤيا ١٥: ٤]**). كل شيء يفعله اللّٰه في حياتك سيكون منسجماً ومتناغماً مع سماته المميزة المقدسة

رؤية نفسك كما يراك الله

يكشف لنا أيضاً الكتاب المقدس عما يقوله اللّٰه عمن تكون. إنه يكشف قلبه لك. العناصر الرئيسية لهويتك المكتوبة في قائمة في بقية هذا الفصل هي حقيقية عنك منذ اللحظة التي قبلت بها المسيح مخلصاً ورباً. **"لأَنَّنَا جَمِيعَنَا بِرُوحٍ وَاحِدٍ أَيْضاً اعْتَمَدْنَا إِلَى جَسَدٍ وَاحِدٍ" (كورنثوس الأولى ١٢: ١٣)**. في لحظة الخلاص، جميعنا اعتمدنا في المسيح مما زودنا ذلك بالأساس لهويتنا الجديدة.

أول إصحاحين من رسالة أفسس يتضمنان جرعة مضاعفة ومركزة عن هويتك الجديدة كخليقة جديدة في المسيح. الفقرات التالية تصف

مكانتنا في المسيح. الرجاء أن تنتبه: هذه العبارات من كلمة اللّٰه هي حقيقية مسبقاً عنك لأنك في المسيح. هذه العبارات هي جزء من هويتك بمعزل عن أدائك كمؤمن. لقد كتبت هذه العبارات بصيغة ضمير المتكلم حتى تتمكن من إعادة قراءة هذه القائمة كي ترى نفسك بوضح أكثر كما يراك اللّٰه.

مُبَارَكٌ اللهُ أَبُو رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي بَارَكَنِي بِكُلِّ بَرَكَةٍ رُوحِيَّةٍ فِي السَّمَاوِيَّاتِ فِي الْمَسِيحِ (أفسس ١: ٣).

كَمَا اخْتَارَنِي فِيهِ قَبْلَ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ، لِأَكُونَ قِدِّيس وَبِلاَ لَوْمٍ قُدَّامَهُ فِي الْمَحَبَّةِ (أفسس ١: ٤).

إِذْ سَبَقَ فَعَيَّنَنِي لِلتَّبَنِّي بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ لِنَفْسِهِ، حَسَبَ مَسَرَّةِ مَشِيئَتِهِ (أفسس ١: ٥).

الَّذِي فِيهِ لَي الْفِدَاءُ، بِدَمِهِ (أفسس ١: ٧).

غفر لي خطاياي (أفسس ١: ٧).

الَّذِي فِيهِ أَيْضاً إِذْ آمَنْتُ خُتِمْتُ في المسيح بِرُوحِ الْمَوْعِدِ الْقُدُّوسِ (أفسس ١: ١٣).

بسبب مكانتنا في المسيح، فإن أموراً عظيمة تكون حقيقية بالنسبة لنا، الحقيقية التي يريدنا بولس أن نجعلها بداخلنا. فإنه بالتالي يصلي قائلاً، « **مُسْتَنِيرَةً عُيُونُ أَذْهَانِكُمْ، لِتَعْلَمُوا مَا هُوَ رَجَاءُ دَعْوَتِهِ، وَمَا هُوَ غِنَى مَجْدِ مِيرَاثِهِ فِي الْقِدِّيسِينَ، وَمَا هِيَ عَظَمَةُ قُدْرَتِهِ الْفَائِقَةُ نَحْوَنَا نَحْنُ الْمُؤْمِنِينَ، حَسَبَ عَمَلِ شِدَّةِ قُوَّتِهِ» (أفسس ١: ١٨-١٩).** اللّٰه مهتم جداً حتى نرى أنفسنا كما يرانا هو.

يستمر بولس بوصف قيامة المسيح وجلوسه عن يمين الآب، **"الَّذِي عَمِلَهُ فِي الْمَسِيحِ، إِذْ أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ، وَأَجْلَسَهُ عَنْ يَمِينِهِ فِي السَّمَاوِيَّاتِ، فَوْقَ كُلِّ رِيَاسَةٍ وَسُلْطَانٍ وَقُوَّةٍ وَسِيَادَةٍ، وَكُلِّ اسْمٍ يُسَمَّى لَيْسَ فِي هذَا الدَّهْرِ فَقَطْ بَلْ فِي الْمُسْتَقْبَلِ أَيْضاً، وَأَخْضَعَ كُلَّ شَيْءٍ تَحْتَ قَدَمَيْهِ، وَإِيَّاهُ جَعَلَ رَأْساً فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ لِلْكَنِيسَةِ، الَّتِي هِيَ جَسَدُهُ، مِلْءُ الَّذِي يَمْلأُ الْكُلَّ فِي الْكُلِّ" (أفسس ١: ٢٠-٢٣)**. إنه يضيف قائلاً أننا قمنا مع المسيح وجلسنا معه عن يمين الآب. **"وَأَقَامَنَا مَعَهُ، وَأَجْلَسَنَا مَعَهُ فِي السَّمَاوِيَّاتِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ" (أفسس ٢: ٦)**. ثمَّ يستمر في الإصحاح الثاني بمزيد من أوصاف المؤمنين كما يراها الله من منظوره. مرة أخرى، لقد أعدت صياغة العبارات بصيغة ضمير المتكلم.

أَحْيَانَي مَعَ الْمَسِيحِ (أفسس ٢: ٥).

اقامني مع المسيح (أفسس ٢: ٦).

أَجْلَسَني مَعَهُ فِي السَّمَاوِيَّاتِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ (أفسس ٢: ٦).

لأَنَّني بِالنِّعْمَةِ مُخَلَّصُ (أفسس ٢: ٨).

لأَنَّني أنا عَمَلُهُ (أفسس ٢: ١٠)

لأَنَّ بِهِ لَي كِلَيْنَا قُدُوماً فِي رُوحٍ وَاحِدٍ إِلَى الآبِ (أفسس ٢: ١٨).

بالإضافة لهذه الجرعة المضاعفة والمركزة في إصحاحي رسالة أفسس الأول والثاني، فإن كلمة الله تعج بالأوصاف التي تصف كيف يرانا الله. فيما يلي قائمة عبارات أخرى تعكس هويتك الحقيقية. اقرأ هذه العبارات

بصوتٍ عالٍ لنفسك قدر الإمكان. تأمل في هذه الحقائق أثناء الأسبوع حتى يستطيع اللّٰه استخدامها ليسلط الأنوار الكاشفة على صورتك الذاتية الحقيقية.

لَي سَلاَمٌ مَعَ اللّٰهِ (رومية ٥: ١).
أنا إبن اللّٰه (يوحنا ١: ١٢).
رُوحُ اللّٰهِ يَسْكُنُ فِيَّ (كورنثوس الثانية ٣: ١٦).
وَإِنَّمَا إِنْ كَانَت تُعْوزني حِكْمَةٌ فَأَطْلُبْها مِنَ اللّٰهِ (يعقوب ١: ٥).
أجد عوناً من اللّٰه (عبرانيين ٤: ١٦).
نِلْت بهِ الآنَ الْمُصَالَحَةَ (رومية ٥: ١١).
إِذاً لاَ شَيْءَ مِنَ الدَّيْنُونَةِ الآنَ عَلَيَّ (رومية ٨: ١).
فَإِذْ قَدْ تَبَرَّرْت (رومية ٥: ١).
أنا بِرّ اللّٰهِ فِيهِ (رومية ٥:١٩؛ كورنثوس الثانية ٥: ٢١).
إذاً أَسْعَى كَسُفَيرَ عَنِ الْمَسِيح (كورنثوس الثانية ٥: ٢٠).
بدَمه غُفْرَت لي خَطَايَاي (كولوسي ١: ١٤).
وَمَحَبَّةً أَبَدِيَّةً أَحْبَنَي اللّٰه (ارميا ٣١: ٣).
لأَنَّني رَائِحَةُ الْمَسِيح الذَّكِيَّةِ لِلّٰهِ (كورنثوس الثانية ٢: ١٥).
أَنَّا هَيْكَلُ اللّٰهِ وَرُوحُ اللّٰهِ يَسْكُنُ فِيَّ (كورنثوس الأولى ٣: ١٦).
لِيُحْضِرَني قِدِّيس وَبلاَ لَوْم وَلاَ شَكْوَى امَامَهُ (كولوسي ١:٢٢).
أَنْا مِلْحُ الأَرْضِ (متى ٥: ١٣).
أَنْا نُورُ الْعَالَم (٥: ١٤).
أَبي الْكَرَّامُ وَأَنْا الْغُصْنُ (يوحنا ١٥: ١، ٥).
أنا حبيب اللّٰه (يوحنا ١٥: ١٥).
بِهَذَا يَتَمَجَّدُ أَبي أَنْ آتي بِثَمَر (يوحنا ١٥: ١٨).
فَإِنَّا وَرَاث أَيْضاً وَرَثَةُ اللّٰهِ وَوَارِثٌ مَعَ الْمَسِيح (رومية ٨: ١٧).
أنا الْتَصَقت بِالرَّبِّ فَي رُوحٌ وَاحِدٌ (كورنثوس الأولى ٦: ١٧).

وَأَمَّا أَنَا فَجَسَدُ الْمَسِيحِ (كورنثوس الأولى ١٢: ٢٧).
أنا قديس (أفسس ١: ١).
حَيَاتِي مُسْتَتِرَةٌ مَعَ الْمَسِيحِ فِي اللهِ (كولوسي ٣: ٣).
أنا مُخْتَار اللهِ الْقِدِّيس الْمَحْبُوب (كولوسي ٣: ١٢).
أنا أبْنَ نُور (تسالونيكي الأولى ٥: ٥).
شُرَيك الدَّعْوَةِ السَّمَاوِيَّةِ (عبرانيين ٣: ١).
أنا مقدس (عبرانيين ٢: ١١).
أَنْا أَيْضاً مَبْنِيٌّ كَحِجَارَةٍ حَيَّةٍ، بَيْتاً رُوحِيّاً (بطرس الأولى ٢: ٥).
وَأَمَّا أَنْا فَجِنْسٌ مُخْتَارٌ، وَكَاهِنُ مُلوكِيٌّ، أُمَّةٌ مُقَدَّسَةٌ، أَمَّا الآنَ فَأَنْا من شَعْبُ اللهِ (بطرس الأولى ٢: ٩-١٠).
مُتَأَصِّل وَمَبْنِيّ فِيهِ (كولوسي ٢: ٧).
بَل أنا مَوْلُودُ مِنَ اللهِ فَيَحْفَظُ نَفْسَي، وَالشِّرِّيرُ لاَ يَمَسُّنِي (يوحنا الأولى ٥: ١٨).
وَأَمَّا أنا فَلَي فِكْرُ الْمَسِيحِ (كورنثوس الأولى ٢: ١٦).
الَّذِي بِه لَي جَرَاءَةٌ وَقُدُومٌ بِإِيمَانِه عَنْ ثِقَةٍ (أفسس ٣: ١٢).
الَّذِي انْقَذَنَي مِنْ سُلْطَانِ الظُّلْمَةِ وَنَقَلَنِي الَى مَلَكُوتِ ابْنِ مَحَبَّتِهِ (كولوسي ١: ١٣).
وَأَنْا مَمْلُوُّ فِيهِ (كولوسي ٢: ١٠).
اللهِ لَمْ يُعْطِنِي رُوحَ الْفَشَلِ، بَلْ رُوحَ الْقُوَّةِ وَالْمَحَبَّةِ وَالنُّصْحِ (تيموثاوس الثانية ١: ٧).
اللَّذَيْنِ بِهِمَا قَدْ وَهَبَ لَي الْمَوَاعِيدَ الْعُظْمَى وَالثَّمِينَةَ (بطرس الثانية ١: ٤).
فَيَمْلأُ إِلَهِي كُلَّ احْتِيَاجَاتي (فيلبي ٤: ١٩).

هل بدأت ترى بوضوح أكثر ما الذي قصده بولس بقوله أننا خليقة جديدة في المسيح؟ من أحد العناصر الرئيسية لتحويل إحساسك بالهوية هو

الاعتراف بأن شيئاً صالحاً جداً قد حصل لك عندما وثقت في المسيح. بكلمات بولس فأنتم قد، "لَبِسْتُمُ الْجَدِيدَ الَّذِي يَتَجَدَّدُ لِلْمَعْرِفَةِ حَسَبَ صُورَةِ خَالِقِهِ" (كولوسي ٣: ١٠).

أنت لست من يقول أهلك أو معلموك أو أصدقاؤك أنك هو على نحو رئيسي، حتى وعلى الرغم من أنه قد يكون معظمهم مسيحيين. أنت لست نتاج تجاريك الدينية على نحو رئيسي حتى وعلى الرغم من أنه قد تكون معظمها إيجابية. وأنت بكل تأكيد ليس من تقول الحضارة / الثقافة الملحدة أنك هو. أنت هو من يقول اللّه أنك هو - لا أكثر ولا أقل. كلما راجعت وسردت وجعلت الصورة الشفهية الداخلية التي لونها اللّه لك في الكتاب المقدس، كلما سوف يزداد نموك لتصبح مثل تلك الصورة.

أنت هو من يقول الله أنك هو – لا أكثر ولا أقل

في الفصول الثلاثةِ القادمة، سوف نلقي نظرة على وجه الخصوص كيف أن النمو والمعرفة المجربة عن اللّه الآب ويسوع المسيح الابن والروح القدس سوف تساهم في تحويل صورتك الداخلية.

الحصول على صورة أكثر وضوحاً عن هويتك

جزء من فهم من أنت يشمل فهم من هو اللّه وأن تختبر قلبه تجاهك. تأمل بعمق في الحقائق التالية عن اللّه. اصرف بعض الوقت لكتابة إجاباتك على هذه الأسئلة في دفتر ملاحظات أو مفكرة.

١. الله هو أمنك. نقرأ في تثنية ٣٣: ١٢: " **حَبِيبُ الرَّبِّ يَسْكُنُ لَدَيْهِ آمِناً. يَسْتُرُهُ طُولَ النَّهَارِ وَبَيْنَ مَنْكِبَيْهِ يَسْكُنُ."**

ماذا يعني بالنسبة لك أن الله يحبك ويجعل من الآمان لك أن تسكن معه؟

ماذا يعني بالنسبة لك أن الله يسمح لك بالسكن بين منكبيه (ذراعيه)؟

٢. الله لا يتغيّر. نقرأ في مزمور ١٠٢: ٢٦: " **هِيَ تَبِيدُ وَأَنْتَ تَبْقَى وَكُلُّهَا كَثَوْبٍ تَبْلَى كَرِدَاءٍ تُغَيِّرُهُنَّ فَتَتَغَيَّرُ."**

ماذا يعني بالنسبة لك أن الله هو نفسه دائماً ويمكن دائماً التنبؤ والوثوق به؟

ماذا يعني بالنسبة لك أن الله الذي وجد أنك محبوباً عندما خلقك وما زال يراك محبوباً وذا قيمة وكفؤ اليوم؟

جزء ثانٍ من فهم من أنت يتضمن سماع ما يقوله الله عمن تكون. استمع لصوتٍ الله يتحدث إليك:

١. يقول الله، «أنت بلا لوم.» نقرأ في كولوسي ١: ٢٢: " **لِيُحْضِرَكُمْ قِدِّيسِينَ وَبِلاَ لَوْمٍ وَلاَ شَكْوَى امَامَهُ."**

خذ هذه الآية واجعلها شخصية بالنسبة لك: «لأن يسوع المسيح مات من أجلي، فأنا بلا لوم ويمكنني الوقوف أمام الله بلا أي خطأ.»

ماذا يعني بالنسبة لك الله الذي يراك ذا قيمة كبيرة جداً لدرجة أنه سمح بموت إبنه حتى تستطيع أن ترى نفسك بلا لوم؟

هل تشعر بقلب الله تجاهك بينما هو يطهرك؟

٢. يقول الله، «لقد أنقذتك من الظلام ونقلتك إلى ملكوت الله.»
نقرأ في كولوسي ١: ١٣: "**الَّذِي انْقَذَنَا مِنْ سُلْطَانِ الظُّلْمَةِ وَنَقَلَنَا الَى مَلَكُوتِ ابْنِ مَحَبَّتِهِ.**"
خذ هذه الآية واجعلها شخصية بالنسبة لك: «يحبني الله كثيراً لدرجة إنه أنقذني من مملكة الظلام ونقلني إلى ملكوت إبنه الحبيب.»
ماذا يعني بالنسبة لك أن الله أنقذك من الظلام؟
هل تشعر بقلب الله تجاهك بينما هو ينقلك إلى ملكوت إبنه العزيز؟

اصرف بعض الوقت لتشكر الله على ما أعلنه عن نفسه لك. استمع له وهو يتكلم بهذه الكلمات لقلبك خلال الأيام والأسابيع القادمة. دع هذه الحقائق من الكتاب المقدس تشق طريقها بعمق في قلبك وفي هويتك.

الجزء الرابع

دع مفهومك ينحاز
إلى مفهوم الله

الفصل العاشر

إحساس جديد بكونك محبوباً

علاقتك الشخصية مع اللّٰه هي المدخل لفهم هويتك الحقيقية. بالارتباط والتواصل مع اللّٰه الآب، فإن إحساسك بالانتماء ينمو، وسوف تفهم أن اللّٰه يحبك محبة غير مشروطة. بالارتباط والتواصل مع يسوع المسيح الابن، فإن إحساسك بالقيمة ينمو، وسوف تفهم أنك ذو قيمة عند اللّٰه. بالارتباط والتواصل مع الروح القدس، فإن إحساسك بالكفاءة ينمو، وسوف تفهم أنك مفيد للّٰه. هذه الأعمدة الثلاثة هي الأساس لهويتك كإبن اللّٰه المحبوب وذو القيمة والكفاءة. سوف نستكشف في الفصول الثلاثة القادمة كل عمود من هذه الأعمدة بتفاصيل أكثر.

الحب الذي يلمس القلب

من أهم احتياجاتنا البشرية الأساسية أن نكون محبوبين والإحساس بأننا ننتمي لشخص ما. قد تكون علمت على نحو عقلاني أنك محبوب. على الرغم من كلٍ شيء، فإن الكتاب المقدس يعلن ويكشف عن محبة اللّٰه لنا. وأي شخص قريب منك جداً - الأهل أو صديقة / صديق أو شريكة / شريك حياة أو طفل أو زميل عزيز - ربما يكون قد قال لك هذه الكلمات السحرية، «أنا أحبك.» لكن سماع أنك شخص محبوب ليس كافياً. هل تعرف ما هو الإحساس بأن تكون محبوباً؟ فقط، عندما يحتوي ويتضمن فهمك للمحبة العقل و العواطف، سوف تختبر حينها الإحساس بأنك تنتمي لشخصٍ ما.

فكر بقائمة العبارات الكتابية من الفصل السابق. بينما كنت تقرأ هذه العبارات عمن تكون بسبب ما فعله اللّٰه من أجلك، فما الذي فعله ذلك

في قلبك؟ على سبيل المثال، هل تعرف أن الله يحبك لأن آية يوحنا ١: ١٢ التي تعلن، " **وَأَمَّا كُلُّ الَّذِينَ قَبِلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ سُلْطَاناً أَنْ يَصِيرُوا أَوْلاَدَ اللّهِ أَيِ الْمُؤْمِنُونَ بِاسْمِهِ**". فهي تصف أنه عندما تقبل المسيح، فأنت تصبح إبن الله. قد يكون بإمكانك تفسير ذلك كتابياً من الكتاب الأصلي باللغة اليونانية وتفسر كل الفوارق الدقيقة لكل كلمة. معرفة الآية بتفاصيلها الأساسية قد يكون مفيداً، ولكن مثل هذه المعرفة لا تعني أنك اختبرت محبة الله. بل بالحري، كيف ستشعر عندما تعرف أن الله الذي خلق الكون يرغب في إقامة علاقة عائلية مقربة معك؟ ما هي الأحاسيس التي سوف تشعر بها عندما تدرك أن الله الموجود من الأبد وإلى الأبد يرغب بأن يسميك إبنه أو أبنته ويدعوك لتسميه «يَا أَبَا الآبُ» (رومية ٨: ١٥)؟

الله ليس بحاجة إليك لإكمال حياته أو تلبية احتياجاته بأية طريقة. خطوتك بالإيمان في المسيح لا تجبر الله على أن يفعل شيئاً لا يريد فعله. إنه يحبك لأنه اختار أن يحبك. إنه يرحب بك ويأخذك بين ذراعيه كإبنه الحبيب لأنه بكل بساطة يريدك أن تكون إبنه. ماذا سوف يفعل هذا الواقع من أجلك عاطفياً؟

سوف أخبرك ماذا فعل من أجلي. اشعر بتواضع عظيم وأني مميز وأني أتلقى الاهتمام والرعاية. أجبت الله بذهول، «أنت اخترتني أنا؟ أنت تعلم كل شيء عن خطاياي الماضية والحاضرة والمستقبلية وتعرف عن ضعفاتي وعدم إيماني وعدم محبتي في بعض الأحيان، وما زلت تريدني إبناً لك؟ هذا أمرٌ جيد جداً لدرجة أنه يكاد لا يصدق، ومع ذلك فأنت إلهي، فذلك صحيح إذن!» كلما ازداد إحساسي بمحبة الله والسماح لها بالاستحواذ على قلبي، كلما ازداد عمق إحساسي بالانتماء. عندما يلبي الله هذا الاحتياج الجوهري في حياتي، فإني أرى نفسي بطريقة مختلفة.

قارن هذا التأثير العاطفي بتعبيرات أخرى عما يسمى بالحب في حياتك. قد تكون نشأت في بيت حيث كان الناس فيه يخبرونك أنهم يحبونك أو حيث كان الحب موجوداً ضمنياً لأن النموذج الأبوي كان يزودك بالطعام والملجأ. لكن هل تجاوز ذلك الحب الكلمات والأعمال الروتينية لا أبالية والتقليدية النى توصل لك بأنك جدير بأن تُحب وأنه مرغوب فيك وتشعر بالانتماء؟ هل الحب المفترض أنه كان موجوداً في بيتك لامس قلبك بعمق؟

حضرت أنا ودوتي مؤخراً مؤتمراً استضافنا فيه ديفيد وتيرزا فيرغسون. كانت كارلا وزوجها موجودين ضمن الحضور الآخرين في المؤتمر. أثناء إحدى المناقشات في مجموعة صغيرة حول موضوع الخلفية العائلية، وصفت كارلا علاقتها مع والدتها ووالدها بأنها كانت متوسطة. لكن ديفيد وتيريزا استمرا بالتحقيق عن طريق طرح أسئلة لطيفة على كارلا، وبعد ذلك شكلت إجابات كارلا صورة أخرى.

ذكرت كارلا أن والدتها كانت نادراً ما تستمع لها وهي طفلة. كانت تأتي من المدرسة وفي جعبتها أخباراً مثيرة، ولكن والدتها كثيراً ما تكون مشغولة جداً بإعداد عشاء العائلة لدرجة عدم الانتباه لمثل هذه المحادثات الطفولية. عندما تكونان في السيارة معاً، كانت كارلا تحاول التحدث مع والدتها، ولكن والدتها كانت تبدي القليل من الانتباه لكلام وأنشطة كارلا، سواء بعدم الاستماع لها أو بتسيير المحادثة حسب جدول أعمالها هي. تختم كارلا حديثها قائلة، حتى هذا الوقت ما زالت محادثات الوالدة - الابنة تحت سيطرة احتياجات والدتها. كانت علاقة كارلا بوالدتها علاقة من طرف واحد على نحو كبير في معظم فترات حياتها.

قال ديفيد معلقاً بمكر ودهاء إن علاقة كارلا بوالدتها يجب تصنيفها تحت فئة العلاقة المتباعدة بدلاً من العلاقة المتوسطة. كانت والدة كارلا ستقول بإصرار أنها تحب إبنتها كثيراً. لكن بسبب أنانية والدة كارلا وعن غفلة منها، وخصوصاً أثناء مرحلة طفولة كارلا، فإن كارلا افتقدت قدراً هائلاً من الانتماء في البيت مما أوصل لها بطريقة ذكية وماكرة أنها لم تكن جديرة بالحب على نحو كامل.

بينما استمرت المناقشة، فإن كارلا اعترفت وهي باكية أن والدها، العامل المثابر لتزويد احتياجات البيت، كان يداعبها ويلاطفها بطريقة غير لائقة وهي طفلة. صححت تيريزا كارلا بكل لطف قائلة إن علاقتها مع والدها لم تكن متوسطة فحسب بل كانت بذيئة وفاسدة. الوالد المحب يعطي ليلبي احتياجات أطفاله؛ ولكن والد كارلا ظلماً اخذ منها ليلبي احتياجاته الخاصة. كان ذلك سبباً آخر أن علاقة كارلا مع والديها الصالحين ظاهرياً تركتها بحاجة للحب والانتماء في البيت.

من الممكن أن تكون قد وصلت مرحلة البلوغ بألم داخلي مشابه. من الممكن أن يكون أهلك أو الأوصياء عليك قد قدموا لك احتياجاتك المادية بدقة وعلى نحو ملائم، ولكنهم فشلوا في تقديم أنفسهم لدرجة أن حبهم استحوذ على قلبك بإحساس أنك ذو قيمة ومحبوب ومرغوب بك بعمق. نتيجة لذلك، فأنت قد صارعت لقبول الواقع القائل أنك جدير بالحب والانتماء. حتى تحول إحساسك بالهوية، فأصبحت بحاجة لأن تثبت بصلابة ضمن هذا العمود الأول الحيوي جداً عمن تكون.

الشخص الذي يعرفك أكثر هو الشخص الذي يحبك أكثر

أهم مظهر من مظاهر أفكار اللّٰه ومشاعره تجاهك هو قبوله ومحبته غير المشروطة. يوحنا الرسول، الذي دعا نفسه «التلميذ الذي كان يسوع

يحبه» (يوحنا ١٣: ٢٣)، كتب قائلاً، "**فِي هَذَا هِيَ الْمَحَبَّةُ: لَيْسَ أَنَّنَا نَحْنُ أَحْبَبْنَا اللهَ، بَلْ أَنَّهُ هُوَ أَحَبَّنَا، وَأَرْسَلَ ابْنَهُ كَفَّارَةً لِخَطَايَانَا**" (يوحنا الأولى ٤: ١٠). ليس فيك أي شيء يجعل الله يحبك؛ ولكنه يحبك فحسب!

ليس فيك أي شيء يجعل الله يحبك، ولكنه يحبك فحسب!

هنا حيث تبدأ عملية التحول. كثيراً ما نفقد البصيرة تجاه حقيقة أن الله يحبنا - نقطة توقف نهائية. قبل أن تثق بالمسيح، كان الله يحبك بقدر ما يحبك الآن. "**وَلَكِنَّ اللهَ بَيَّنَ مَحَبَّتَهُ لَنَا لأَنَّهُ وَنَحْنُ بَعْدُ خُطَاةٌ مَاتَ الْمَسِيحُ لأَجْلِنَا**؛... "**فَإِنِّي مُتَيَقِّنٌ أَنَّهُ لاَ مَوْتَ وَلاَ حَيَاةَ وَلاَ مَلاَئِكَةَ وَلاَ رُؤَسَاءَ وَلاَ قُوَّاتِ وَلاَ أُمُورَ حَاضِرَةً وَلاَ مُسْتَقْبَلَةً وَلاَ عُلْوَ وَلاَ عُمْقَ وَلاَ خَلِيقَةَ أُخْرَى تَقْدِرُ أَنْ تَفْصِلَنَا عَنْ مَحَبَّةِ اللهِ الَّتِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّنَا**" (رومية ٥: ٨؛ ٨: ٣٨-٣٩). يشير يسوع إلى مدى محبته حينما قال، "**كَمَا أَحَبَّنِي الآبُ كَذلِكَ أَحْبَبْتُكُمْ أَنَا. اُثْبُتُوا فِي مَحَبَّتِي**" (يوحنا ١٥: ٩). من المذهل التفكير أن المسيح يحبنا بقدر ما يحبه الله. من الصعب فهم مثل هذه المحبة عقلياً، هذا ناهيك عن اختبار تلك المحبة عاطفياً.

يجد الكثير من الناس في وقتنا الحاضر أنه من الصعب نيل محبة غير مشروطة من الله ومن الآخرين لأن الحب الذي نالوه بينما هم في طور النمو كان مشروطاً. كان تعبير «أنا أحبك» مرتبطاً ومترافقاً بكلمتي «إذا» أو «لأن» المشروطة. كانت تلك هي تجربة ريك (Rick). كان ريك، المؤمن، يزور صديقه المسيحي بارت. خلال الزيارة، وضع بارت يده على كتف ريك قائلاً، «لا أعرف إذا ما كنت قد أخبرتك ذلك سابقاً، ولكني فعلاً أحبك يا ريك.» لقد كان تعبيراً بسيطاً نابعاً من قلب بارت لإظهار محبته غير المشروطة لصديقه.

بدلاً من تقبل هذا التعبير الدافئ من صديقه، فإن ريك خاطبه بسرعة وحدةٍ قائلاً، «ما الذي تريده؟» أجاب بارت وهو مرتبك، «لا أريد أي شيء منك. ما الذي تتكلم عنه؟»

لم يجبه ريك، وغادر إلى بيته بعد ذلك الحوار فوراً. عاد بعد ذلك إلى بيت بارت وطلب منه أن يسامحه لتجاوبه الخاطئ قائلاً مبرراً، «أنا لست معتاداً على أن يحبني أحدهم دون أن يريد شيئاً مني. أخبرني أهلي أنهم سوف يحبونني إذا حصلت على علامات أفضل أو غيرت من سلوكي بطريقةٍ ما.»

يتجاوب بعض الناس مع محبة اللّه كما تجاوب ريك مع محبة بارت قائلين، «ما الذي تريده؟» يعني مثل هذا التجاوب بشكل عام أن المحبة غير المشروطة نادراً ما يتم اختبارها أثناء السنوات الأولى لحياة الشخص. اللّه لا يقدم لنا محبته مقيدة بسلاسل مرفقة معها. نعم، إنه يرغب بمحبتنا وطاعتنا تجاوباً مع محبته. ولكنه سوف يحبنا سواء حققنا تلك الرغبة أم لا.

يشعر بعض الناس الآخرين بمساومة اللّه فيما يتعلق بتلقي محبته غير المشروطة وهم يجادلون بمنطق، «أريد أن أعدل حياتي قبل أن تقبلني كما أنا». فيجيب اللّه قائلاً، «لقد سبق وأن قبلتك كما أنت. لقد أثبتُ ذلك بإرسال إبني كي يموت عنك بينما كنتَ غارقاً في خطاياك -
"وَلَكِنَّ اللهَ بَيَّنَ مَحَبَّتَهُ لَنَا لأَنَّهُ وَنَحْنُ بَعْدُ خُطَاةٌ مَاتَ الْمَسِيحُ لأَجْلِنَا" (رومية ٥: ٨).

لا يوجد أية أساسات في الكتاب المقدس للجدال القائل أنه يجب علينا أن نؤدي أية أعمال على مستوى محدد قبل أن يقبلنا اللّه. كتب بولس قائلاً،

"لأَنَّكُمْ بِالنِّعْمَةِ مُخَلَّصُونَ، بِالإِيمَانِ، وَذلِكَ لَيْسَ مِنْكُمْ. هُوَ عَطِيَّةُ اللهِ. لَيْسَ مِنْ أَعْمَال كَيْلاَ يَفْتَخِرَ أَحَدٌ" (أفسس ٢ : ٨-٩). أن قبولنا من قبل الله ليس مؤسساً على أعمالنا أو مواقفنا الصالحة أو على أي شيء آخر قمنا بعمله من أجله. إنه يحبنا محبة مشروطة بسبب ما عمله هو. يصبح عمله معنا عملاً شخصياً عندما نثق بالمسيح ونقبله مخلصاً ورباً لنا. يعلن الكتاب المقدس، **"وَأَمَّا كُلُّ الَّذِينَ قَبِلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ سُلْطَاناً أَنْ يَصِيرُوا أَوْلاَدَ اللهِ أَيِ الْمُؤْمِنُونَ بِاسْمِهِ" (يوحنا ١: ١٢).**

يتوقع الله الأفضل منا دائماً، ويتوقع منا أن ننجح دائماً. ومع ذلك، وعندما نفشل، فنحن لا نعرض قبولنا مع الله للخطر. إنه لا يعظنا بطريقة فظة وقاسية. إنه لا يقول أبداً، «لقد قلت لكم.» أنه يسمح لعواقب أخطائنا أن تعلمنا وتؤدبنا بطريقة محبة عندما نخطئ. لكنه يقبلنا حيث نكون ويعمل معنا ليشجعنا على النمو، على الرغم من معرفته المسبقة أننا سوف نفشل ونقصر مرات ومرات.

إن قبولنا من قبل الله ليس مؤسساً على أعمالنا أو مواقفنا الصالحة أو على أي شيء آخر قمنا بعمله من أجله

نحن محبوبون ومقبولون حتى عندما نكون متجهين نحو الطريق الخاطئ

توضح قصة مشهورة من سجلات تاريخ المباريات النهائية في كرة القدم الأمريكية للجامعات ما معنى وجود شخص ما يؤمن بك ويقبلك دون أية شروط.

في المباراة النهائية لعام ١٩٢٩، كتب لاعب جامعة كاليفورنيا، روي ريغلز (Roy Riegels) تفاصيل تاريخ المباريات النهائية للجامعات. في الربع الثاني من المباراة، ألتقط ريغلز كرة ساقطة من لاعب جامعة جورجيا التكنولوجية وركض إلى نهاية المنطقة الكروية - المنطقة الكروية الخاطئة. هاجمه أحد زملاء فريقه قبل وصوله لخط نهايتهم بعدة ياردات. كانت غلطة ريغلز ستمنح جامعة جورجيا التكنولوجية ست نقاط.

كان يجب على فريق ريغلز ركل الكرة من مكان نقطة نهاية منطقتهم الكروية. صد لاعبو جامعة جورجيا التكنولوجية الركلة مما نتج عنها إحرازهم نقطتين كانتا كافتين ليتقدموا في النصف الأول من المباراة.

أثناء الاستراحة بين الشوطين، كان لاعبوا جامعة كاليفورنيا ممتلئين كآبة في غرفة تبديل الملابس. جلس ريغلز وحيداً ومنهزماً في الزاوية دافناً وجهه بين يديه وهو يبكي بحرارة غير قادر على السيطرة على نفسه. لم يقل المدرب برايس (Price) أي كلام مشجع للفريق. ماذا كان باستطاعته أن يقول؟ وعندما كان الفريق يستعد للخروج للعب الشوط الثاني، كان تعليق المدرب الوحيد هو، «أيها الرجال، نفس الفريق الذي ابتدأ الشوط الأول سوف يبدأ الشوط الثاني.»

توجه جميع اللاعبين نحو الباب ما عدا روي ريغلز. سار المدرب برايس نحو الزاوية حيث كان ريغلز جالساً وقال له بهدوء، «ألم تسمعني يا روي؟» ومن ثمَّ أعاد نفس التعليمات التي ألقاها على بقية أفراد الفريق.

أجاب روي بكآبة، «لا استطيع فعل ذلك أيها المدرب، لقد دمرتك ودمرت الجامعة ودمرت نفسي. لا يمكنني مواجهة تلك الجماهير لإنقاذ حياتي.»

وضع المدرب برايس يده على كتف اللاعب وقال، «إنهض يا روي وعد إلى الملعب؛ فقد انقضى نصف المباراة فحسب.» متشجعاً وملهماً بثقة المدرب، عاد روي ريغلز إلى الملعب مرة ثانية. بعد المباراة، علق لاعبو جامعة جورجيا التكنولوجية قائلين إن روي ريغلز لعب في الشوط الثاني بقوة وكفاءة أكثر من أي شخص آخر شاهدوه يلعب في حياتهم.

نحن نجد في المدرب برايس فكر الله تجاه قبوله لنا. نحن نرتكب الأخطاء ونركض في بعض الأحيان في الاتجاه الخاطئ. نحن نتعثر ونسقط وننكمش خجلاً من الله. لكنه يأتي إلينا ويقول، «أنهضوا وتابعوا؛ فقد انقضى نصف المباراة فحسب.» هذه محبة غير مشروطة. بينما أنت تتلقى وتتمتع بمحبة الله غير المشروطة، فسوف ترى بوضوح أكثر أنك جدير بالمحبة غير المشروطة!

فكر للحظة حول ما حدث لك عندما وثقت بالمسيح مخلصاً وعندما قبلك الله إبناً له. لقد ولدت من جديد (**"فَقَالَ يَسُوعُ: "الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكَ: إِنْ كَانَ أَحَدٌ لاَ يُولَدُ مِنْ فَوْقُ لاَ يَقْدِرُ أَنْ يَرَى مَلَكُوتَ اللهِ". قَالَ لَهُ نِيقُودِيمُوسُ: "كَيْفَ يُمْكِنُ الإِنْسَانَ أَنْ يُولَدَ وَهُوَ شَيْخٌ؟ أَلَعَلَّهُ يَقْدِرُ أَنْ يَدْخُلَ بَطْنَ أُمِّهِ ثَانِيَةً وَيُولَدَ؟" أَجَابَ يَسُوعُ: "الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكَ: إِنْ كَانَ أَحَدٌ لاَ يُولَدُ مِنَ الْمَاءِ وَالرُّوحِ لاَ يَقْدِرُ أَنْ يَدْخُلَ مَلَكُوتَ اللهِ" [يوحنا ٣: ٣-٥]؛ " مَوْلُودِينَ ثَانِيَةً، لاَ مِنْ زَرْعٍ يَفْنَى، بَلْ مِمَّا لاَ يَفْنَى، بِكَلِمَةِ اللهِ الْحَيَّةِ الْبَاقِيَةِ إِلَى الأَبَدِ" [بطرس الثانية ١: ٢٣]). أصبحت وريثاً لله ("الَّذِي فِيهِ أَيْضاً أَنْتُمْ، إِذْ سَمِعْتُمْ كَلِمَةَ الْحَقِّ، إِنْجِيلَ خَلاَصِكُمُ، الَّذِي فِيهِ أَيْضاً إِذْ آمَنْتُمْ خُتِمْتُمْ بِرُوحِ الْمَوْعِدِ الْقُدُّوسِ، الَّذِي هُوَ عَرْبُونُ مِيرَاثِنَا، لِفِدَاءِ الْمُقْتَنَى، لِمَدْحِ مَجْدِهِ" [أفسس ١: ١٣-١٤]؛ " فَإِنْ كُنَّا أَوْلاَداً فَإِنَّنَا وَرَثَةٌ أَيْضاً وَرَثَةُ اللهِ وَوَارِثُونَ مَعَ الْمَسِيحِ. إِنْ كُنَّا نَتَأَلَّمُ مَعَهُ لِكَيْ نَتَمَجَّدَ أَيْضاً مَعَهُ" [رومية ٨: ١٧]). لقد تمّ تبنيك في عائلة الله**

(«إِذْ سَبَقَ فَعَيَّنَنَا لِلتَّبَنِّي بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ لِنَفْسِهِ، حَسَبَ مَسَرَّةِ مَشِيئَتِهِ» (أفسس ١: ٥). سكب الله محبته في قلبك («وَالرَّجَاءُ لاَ يُخْزِي لأَنَّ مَحَبَّةَ اللهِ قَدِ انْسَكَبَتْ فِي قُلُوبِنَا بِالرُّوحِ الْقُدُسِ الْمُعْطَى لَنَا» (رومية ٥: ٥). لقد أصبحت واحداً في المسيح بطريقة لن تنفصل فيه عنه أبداً («أَنَا فِيهِمْ وَأَنْتَ فِيَّ لِيَكُونُوا مُكَمَّلِينَ إِلَى وَاحِدٍ وَلِيَعْلَمَ الْعَالَمُ أَنَّكَ أَرْسَلْتَنِي وَأَحْبَبْتَهُمْ كَمَا أَحْبَبْتَنِي» [يوحنا ١٧: ٢٣]؛ مَعَ الْمَسِيحِ صُلِبْتُ، فَأَحْيَا لاَ أَنَا بَلِ الْمَسِيحُ يَحْيَا فِيَّ. فَمَا أَحْيَاهُ الآنَ فِي الْجَسَدِ فَإِنَّمَا أَحْيَاهُ فِي الإِيمَانِ، إِيمَانِ ابْنِ اللهِ، الَّذِي أَحَبَّنِي وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لأَجْلِي» [غلاطية ٢: ٢٠]؛ «لِتَكُنْ سِيرَتُكُمْ خَالِيَةً مِنْ مَحَبَّةِ الْمَالِ. كُونُوا مُكْتَفِينَ بِمَا عِنْدَكُمْ، لأَنَّهُ قَالَ: «لاَ أُهْمِلُكَ وَلاَ أَتْرُكُكَ» [عبرانيين ١٣: ٥]). لا شيء سوف يفصلك عن محبة الله («فَإِنِّي مُتَيَقِّنٌ أَنَّهُ لاَ مَوْتَ وَلاَ حَيَاةَ وَلاَ مَلاَئِكَةَ وَلاَ رُؤَسَاءَ وَلاَ قُوَّاتِ وَلاَ أُمُورَ حَاضِرَةً وَلاَ مُسْتَقْبَلَةً وَلاَ عُلْوَ وَلاَ عُمْقَ وَلاَ خَلِيقَةَ أُخْرَى تَقْدِرُ أَنْ تَفْصِلَنَا عَنْ مَحَبَّةِ اللهِ الَّتِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّنَا» (رومية ٨: ٣٨-٣٩). سوف تمضي حياة أبدية مع الله في مكان قد أعده لك («لاَ تَضْطَرِبْ قُلُوبُكُمْ. أَنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ فَآمِنُوا بِي. فِي بَيْتِ أَبِي مَنَازِلُ كَثِيرَةٌ وَإِلاَّ فَإِنِّي كُنْتُ قَدْ قُلْتُ لَكُمْ. أَنَا أَمْضِي لأُعِدَّ لَكُمْ مَكَاناً وَإِنْ مَضَيْتُ وَأَعْدَدْتُ لَكُمْ مَكَاناً آتِي أَيْضاً وَآخُذُكُمْ إِلَيَّ حَتَّى حَيْثُ أَكُونُ أَنَا تَكُونُونَ أَنْتُمْ أَيْضاً وَتَعْلَمُونَ حَيْثُ أَنَا أَذْهَبُ وَتَعْلَمُونَ الطَّرِيقَ» (يوحنا ١٤: ١-٤). لقد تمّ الترحيب بك في عائلة جديدة. لقد أصبحت فرداً بمكانة جيدة جداً للأبد («لأَنَّنَا جَمِيعَنَا بِرُوحٍ وَاحِدٍ أَيْضاً اعْتَمَدْنَا إِلَى جَسَدٍ وَاحِدٍ يَهُوداً كُنَّا أَمْ يُونَانِيِّينَ عَبِيداً أَمْ أَحْرَاراً. وَجَمِيعُنَا سُقِينَا رُوحاً وَاحِداً»؛ « وَأَمَّا أَنْتُمْ فَجَسَدُ الْمَسِيحِ وَأَعْضَاؤُهُ أَفْرَاداً» (كورنثوس الأولى ١٢: ١٣، ٢٧).

على ضوء ما فعله الله ليثبت محبته غير المشروطة، فما الذي يمكنك من اعتبار نفسك جديراً بالحب؟ إذا كان الله يحبك، فأنت جدير بالحب. حقيقة

أن اللّٰه يحبك محبة غير مشروطة على الرغم من عثراتك وفشلك يجب أن تستمر بتحفيزك على قبول نفسك.

إذا كنت لا تستطيع قبول نفسك كما أنت - مقيداً كنت أم نافعاً، ضعيفاً كنت أم قوياً، مقصراً كنت أم قادراً - فأنت سوف تواجه صعوبة في السماح لأي شخص آخر أن يقبلك كما أنت. سوف تضع دائماً حاجزاً أمامك لمنع الأشخاص الآخرين من معرفة من أنت على حقيقتك. وحتى أنه سيكون من الصعب عليك أن تعيش حياة مزيفة أكثر من أن تعيش حياة شفافة وواضحة، حتى عندما يعني ذلك أن الآخرين سوف يرونك في أسوأ حالاتك في بعض الأحيان. من إحدى أعظم احتياجات الكنيسة في يومنا هذا هو أنه يجب على المسيحيين العيش حسب نصح وتذكير الكتاب المقدس القائل، **" لِذَلِكَ اقْبَلُوا بَعْضُكُمْ بَعْضاً كَمَا أَنَّ الْمَسِيحَ أَيْضاً قَبِلَنَا لِمَجْدِ اللّٰهِ" (رومية ١٥: ٧)**. يمكننا تحقيق هذا التذكير فقط عندما نرى أنفسنا كما يرانا اللّٰه: أشخاصاً جديرين بالحب الكامل.

الحياة في العائلة

إذا كان بمقدور أي شخص التمتع بإحساس الانتماء، فذلك الشخص هو إبن اللّٰه. أنت تنتمي للّٰه ولعائلته. كتب الرسول يوحنا قائلاً، **" أُنْظُرُوا أَيَّةَ مَحَبَّةٍ أَعْطَانَا الآبُ حَتَّى نُدْعَى أَوْلاَدَ اللّٰهِ! مِنْ أَجْلِ هَذَا لاَ يَعْرِفُنَا الْعَالَمُ، لأَنَّهُ لاَ يَعْرِفُهُ" (يوحنا الأولى ٣: ١)**. ما أن كتب يوحنا كلمات «أولاد اللّٰه،» لا بد أنه تأنى ليجعل تلك الحقيقة تغوص في أعماق القلوب لأنه ختم الفكرة بعلامة تعجب (!). لو كان يوحنا موجوداً الآن، فإنه قد يقول، « واو، نحن فعلاً أولاد اللّٰه! هذا شيء لا يصدق!»

قد يجادل بعض المسيحيين قائلين، «لكن نحن أبناء متبنون فقط في عائلة اللّٰه.» حقيقة أن اللّٰه قد تبناهم تجعلهم يشعرون وكأنهم ورثة من الدرجة الثانية بطريقةٍ ما.

كنت قد تأثرت كثيراً في كيف ينظر أحد الآباء ألا وهو صديقي منذ فترة طويلة ديك داي (Dick Day)، إلى عملية التبني. بعدما اختبرا مشاعر الأبوة بعد ولادة خمسة أطفال منهما، ذهب صديقي ديك وزوجته تشارلوت إلى كوريا وتبنيا جيمي. يقول ديك، «ذلك الولد الصغير جيمي هو إبني. له نفس حقوق وامتيازات أطفالنا الخمسة الآخرين. له نفس النصيب من ميراثنا ووقتنا ومحبتنا.»

رفع كلام ديك من مستوى تقديري للمكانة التي نحتلها في عائلة اللّٰه. لقد تبنانا اللّٰه، ولكنه أعلننا أيضاً "وَرَثَةُ اللهِ وَوَارِثُونَ مَعَ الْمَسِيحِ" (رومية ٨: ١٧). هذا يعني أنه لنا نفس النصيب من ميراث المسيح. يرانا اللّٰه كما يرى صديقي ديك إبنه جيمي.

هل بزغت هذه الحقيقة في داخلك بقوة؟ هل تلفظت بعلامة التعجب تلك مع تساؤلك المستنير من جديد: «واو، أنا فعلاً إبن اللّٰه! أنا فعلاً انتمي إليه»؟ هذه البصيرة - الحقيقة الكتابية هي المفتاح الرئيسي لتحويل إحساسك بالهوية.

لم تعد معزولاً (جزيرة) بعد الآن

من الواضح أن اللّٰه الآب يعلم أننا سوف نصارع في بعض الأحيان ليس مع فهم واقع كوننا جديرين بحبه وبحب الآخرين فقط ولكن مع الإحساس بالانتماء أيضاً. فلذلك وضع في خطته من أجلنا نظام دعم. أسس اللّٰه الكنيسة كمكان حيث يتم فيه إعطاء واختبار نماذج عن المحبة والقبول باستمرار. أعطانا اللّٰه الكنيسة كتعبير ملموس عن الواقع الأبدي بأننا ننتمي للّٰه. الشركة المقدسة والتفاعل مع المؤمنين الآخرين هما أمران لا مفر منهما لتحويل إحساسك عمن تكون.

بينما كان يسوع يستعد للموت والعودة إلى السماوات، فإنه أعلن قائلاً، **« صَدِّقُونِي أَنِّي فِي الآبِ وَالآبَ فِيَّ وَإِلاَّ فَصَدِّقُونِي لِسَبَبِ الأَعْمَالِ نَفْسِهَا» (يوحنا ١٤: ١١)**. شخصين تمَّ ذكرهما في هذا الإتحاد: اللّٰه الآب واللّٰه الابن. الآيات التالية تتكلم عن إرسال اللّٰه لشخص ثالث، الروح القدس. وقال المسيح بعد ذلك، **« فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ [من المرجح أنه يشير إلى يوم الخمسين وولادة الكنيسة] تَعْلَمُونَ أَنِّي أَنَا فِي أَبِي وَأَنْتُمْ فِيَّ وَأَنَا فِيكُمْ» (الآية ٢٠)**.

ما الذي قصده اللّٰه يسوع حينما قال، «أنا في الآب وأنتم فيَّ وأنا فيكم»؟ عندما وثقت في المسيح مخلصاً ورباً لك، فأنت وضعت فيك المسيح وسكن المسيح في داخلك. وبما أن يسوع وأباه متحدان، فأنت أيضاً في اللّٰه واللّٰه فيك. هذا ما أسميه الإحساس بالانتماء!

أسس الله الكنيسة كمكان حيث يتم فيه إعطاء واختبار نماذج عن المحبة والقبول باستمرار

لكن يوجد المزيد. إذا كان الآب فيَّ وفيك، وإذا كنا كلينا في الآب، فأنت وأنا لدينا علاقة متميزة ومقربة جداً. يمكنني حتى القول أنه، بسبب علاقتنا الحميمة المتبادلة مع اللّٰه، أنا فيك وأنت فيَّ. كمسيحي، أنت لست معزولاً (جزيرة)؛ أنت شبه جزيرة، وكذلك أنا. أنا وأنت متممين ومكملين في مشاركتنا في جسد المسيح وبالتالي فنحن متشاركان مع بعضنا البعض بحيوية.

أنت وأنا مجرد شخصين من الأفراد المذكورين في آية كورنثوس الأولى ١٢: **"لأَنَّنَا جَمِيعَنَا بِرُوحٍ وَاحِدٍ أَيْضاً اعْتَمَدْنَا إِلَى جَسَدٍ وَاحِدٍ ... وَأَمَّا الْجَمِيلَةُ**

فِينَا فَلَيْسَ لَهَا احْتِيَاجٌ. لَكِنَّ اللهَ مَزَجَ الْجَسَدَ مُعْطِياً النَّاقِصَ كَرَامَةً أَفْضَلَ لِكَيْ لاَ يَكُونَ انْشِقَاقٌ فِي الْجَسَدِ بَلْ تَهْتَمُّ الأَعْضَاءُ اهْتِمَاماً وَاحِداً بَعْضُهَا لِبَعْضٍ. فَإِنْ كَانَ عُضْوٌ وَاحِدٌ يَتَأَلَّمُ فَجَمِيعُ الأَعْضَاءِ تَتَأَلَّمُ مَعَهُ. وَإِنْ كَانَ عُضْوٌ وَاحِدٌ يُكَرَّمُ فَجَمِيعُ الأَعْضَاءِ تَفْرَحُ مَعَهُ. وَأَمَّا أَنْتُمْ فَجَسَدُ الْمَسِيحِ وَأَعْضَاؤُهُ أَفْرَاداً»
(كورنثوس الأولى ١٢: ١٣، ٢٤-٢٧).

لاحظ أن بولس يختتم بموضوع علاقتنا الحيوية. يجب أن لا يكون هناك انشقاق فيما بيننا ويجب أن يكون هناك اهتماماً متبادلاً بين بعضنا البعض. هذا يعني أنه بما أن الله يرانا جديرين بمثل هذه المحبة، فإنه يجب عليّ بذل قصارى جهدي للتأكيد على أنك جدير بالحب. هذا ما تدور حوله الكنيسة وتتمحور عليه. لهذا السبب أنه من المهم جداً أن تشارك في الشركة المقدسة المستمرة مع مجموعة من المؤمنين. لا يمكننا إظهار الاهتمام المتبادل ببعض البعض إذا لم نكن مع بعضنا البعض على أسس ثابتة.

بنفس المعنى، كل مؤمن يلعب الدور الثنائي المتبادل لكل من المدرب برايس وروي ريغلز في الكنيسة. عندما تتعثر وتسقط، فإن شخص ما في كنيستك أو مجموعتك لدراسة الكتاب المقدس يكون متواجداً ليذكرك بأنك محبوب وأنك مقبول على الرغم من أخطائك. وعندما يتجه أحد أفراد فريقك في الاتجاه الخاطئ ويشعر بالخجل، فيجب عليك التقدم إليه مثل المدرب برايس بكلمات مشجعة. مثل هذا الاهتمام المتبادل هو التعبير العملي في تذكير بولس لنا. **"لِذَلِكَ عَزُّوا بَعْضُكُمْ بَعْضاً وَابْنُوا أَحَدُكُمُ الآخَرَ، كَمَا تَفْعَلُونَ أَيْضاً" (تسالونيكي الأولى ٥: ١١).**

ما هي النتيجة النهائية لهذا الاهتمام المتبادل المخلص؟ أولاً، المحبة والقبول لا يُفهمان فقط، ولكن يتم اختبارهما أيضاً. ثانياً، كأهداف للتأكيد والتشجيع، فإن المؤمنين يكتسبون صورة أكثر وضوحاً عما كيف يراهم الله. فكر بالموضوع: إذا كان هؤلاء الأشخاص الأقرب لك بالإيمان يذكرونك باستمرار بأنهم يحبونك وأن الله يحبك، فأنت من المرجح سوف تفهم جيداً أنك جدير بالحب. ثالثاً، التأكيد المتواصل للحب والقبول يساعد على التخلص من أذى الماضي. عندما نبدأ بحب الناس كما يحبهم الله، فإن الاختبارات الحزينة لكونك كنت غير جدير بالحب في الماضي يمكن أن تشفى.

كان أحد أصدقائي يستخدم رسالة مشفرة ذكية مع أطفاله بينما كانوا في طور النمو. عندما كان يكتب لهم بطاقة معايدة أو يترك لهم ملاحظة أو يرسل لهم رسالة بينما يكون مسافراً، فإنه كان يضيف الأحرف السبعة التالية I .D .S .A .Y .L .J. عندما يكون هو وأطفاله في بعض الأحيان مع الناس، فأنه سوف يقول لهم هذه الرسالة المشفرة موصلاً الرسالة التي يعرفونها جميعاً على نحو جيد كما لو كان ذلك سراً بينهم. كانت الأحرف تعني
Jesus loves you and so I يسوع يحبكم وكذلك أنا.» في كل مرة كان الأطفال يرون فيها هذه الأحرف، فإن ذلك كان يذكرهم بأن محبة والدهم لهم مرتبطة بمحبة الله.

هذه هي الطريقة للبدء بتحويل الإحساس المشوه والمنحرف بالهوية إلى الصورة الفائقة الجمال التي يحملها الله عنك. ضع نفسك بين مجموعة من المؤمنين المحبين ودع محبة الله غير المشروطة تلمسك بواسطتهم.

الحصول على صورة أكثر وضوحاً عن هويتك

جزء من فهم من أنت يشمل فهم من هو اللّٰه وأن تختبر قلبه تجاهك. تأمل بعمق في الحقائق التالية عن اللّٰه. اصرف بعض الوقت لكتابة إجاباتك على هذه الأسئلة في دفتر ملاحظات أو مفكرة.

١. اللّٰه محبة. نقرأ في مرقس ١٠: ١٦: **« فَاحْتَضَنَهُمْ وَوَضَعَ يَدَيْهِ عَلَيْهِمْ وَبَارَكَهُمْ.»**

ماذا يعني بالنسبة لك أن اللّٰه يأخذك بين يديه ويباركك؟

ماذا يعني بالنسبة لك أن اللّٰه المحب يجدك جديراً بالحب؟

٢. اللّٰه هو المدافع عنك. نقرأ في تثنية ٣٣: ٢٧: **« الإِلهُ الْقَدِيمُ مَلْجَأٌ وَالأَذْرُعُ الأَبَدِيَّةُ مِنْ تَحْتُ.»**

ماذا يعني بالنسبة لك أن أذرع اللّٰه من تحتك وحولك للأبد؟

ماذا يعني بالنسبة لك لأن اللّٰه يحبك، فإنه سوف يحميك ويدافع عنك؟

جزء ثانٍ من فهم من أنت يتضمن سماع ما يقوله اللّٰه عمن تكون. استمع لصوت اللّٰه يتحدث إليك:

١. يقول اللّٰه، «أنت محبوب جداً بالنسبة لي.» **نقرأ في دانيال ١٠: ١٩: « وَقَالَ: لاَ تَخَفْ أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمَحْبُوبُ.»**

خذ هذه الآية واجعلها شخصية بالنسبة لك: «اللّٰه يحبني بعمق. نتيجة لذلك، لا يجب أن أكون خائفاً أو أشعر بعدم الآمان. يمكنني رؤية نفسي جديراً بالحب.»

ماذا يعني بالنسبة لك يحبك بعمق وللأبد؟

هل تشعر بقلب اللّٰه تجاهك بينما هو يحيطك بحبه الذي لا يتغيُر؟

٢. يقول الله، «أنت تنتمي لي؛ أنت خاصتي.» نقرأ في اشعياء ٤٣: ١:
« دَعَوْتُكَ بِاسْمِكَ. أَنْتَ لِي.»

خذ هذه الآية واجعلها شخصية بالنسبة لك: «إله هذا الكون دعاني بإسمي. أنا انتمي إليه.»

ماذا يعني بالنسبة لك أنك تنتمي لله؟

هل تشعر بقلب الله تجاهك وهو يدعوك بإسمك ويمنحك مكاناً للانتماء إليه؟

اصرف بعض الوقت لتشكر الله على ما أعلنه عن نفسه لك. استمع له وهو يتكلم بهذه الكلمات لقلبك خلال الأيام والأسابيع القادمة. دع هذه الحقائق من الكتاب المقدس تشق طريقها بعمق في قلبك وفي هويتك.

الفصل الحادي عشر

إحساس جديد بالقيمة

قبل عدة قرون، تمَّ نفي عالم بروتستانتي يدعى مورينا (Morena) إلى مدينة لومباردي في إيطاليا. ولأنه كان يعيش في فقر مدقعٍ، فإنه أصيب بمرض خطير ونُقل إلى مستشفى الأشخاص الفقراء جداً. بدأ الأطباء، المفترضين أن هذا المريض البائس الحقير كان غير مثقف، يتحدثون باللغة اللاتينية فيما بينهم وهم واقفون بجانبه. فقد قالوا، «هذا المخلوق عديم القيمة سوف يموت على كل حال، فدعونا إذن نجري تجاربنا عليه.»

مورينا، الذي كان يعرف اللغة اللاتينية مثل لغته الأم، استجمع قوته ورفع نفسه وقال للأطباء المندهشين، «كيف يمكنكم أن تقولوا عن شخص مات يسوع من أجله أنه ' عديم القيمة '؟»

في مجتمعنا، يتم تحديد قيمة الشخص بعدة طرق مختلفة. قد يعتبر الإتحاد الرئيسي للعبة البسبول أن قيمة لاعب تساوي عشرة ملايين دولار أثناء ممارسته للعبة. قد يكتشف جندي في معركة أن قيمته تساوي حياة إنسان عندما يتلقى زميلاً له رصاصة عنه. قد تكتشف إمرأة غير متزوجة ولديها أطفال وتعيش على راتب الضمان الاجتماعي أنها جديرة بوقت وجهود مجموعة المتطوعين الذين يمضوا أياماً وهم يصلحون ويصبغون بيتها الآيل للسقوط.

وكما فهم مورينا بكل وضوح، فإن قيمتنا الرئيسية كمسيحيين تنبثق من حقيقية أن الله الآب سمح ليسوع المسيح - إبنه الذي هو بلا عيب ولا دنس - أن يموت من أجل خطايانا. يعلق الرسول بطرس قائلاً أن الأموال تُفنى كليّةٍ مقارنة مع مثل هذه التضحية: " عَالِمِينَ أَنَّكُمُ افْتُدِيتُمْ لاَ

بِأَشْيَاءَ تَفْنَى، بِفِضَّةٍ أَوْ ذَهَبٍ، مِنْ سِيرَتِكُمُ الْبَاطِلَةِ الَّتِي تَقَلَّدْتُمُوهَا مِنَ الآبَاءِ، بَلْ بِدَمٍ كَرِيمٍ، كَمَا مِنْ حَمَلٍ بِلاَ عَيْبٍ وَلاَ دَنَسٍ، دَمِ الْمَسِيحِ» (بطرس الأولى ١: ١٨-١٩).

أعلن يسوع عن قيمة أخرى عالية المستوى عن التضحية بالحياة من أجل الآخرين حينما قال، « لَيْسَ لأَحَدٍ حُبٌّ أَعْظَمُ مِنْ هَذَا أَنْ يَضَعَ أَحَدٌ نَفْسَهُ لأَجْلِ أَحِبَّائِهِ» (يوحنا ١٥: ١٣). يتوسع بولس حول هذه الفكرة بوصفه للتضحية المطلقة للحياة مقابل الحياة قائلاً: **« فَإِنَّهُ بِالْجَهْدِ يَمُوتُ أَحَدٌ لأَجْلِ بَارٍّ. رُبَّمَا لأَجْلِ الصَّالِحِ يَجْسُرُ أَحَدٌ أَيْضاً أَنْ يَمُوتَ. وَلَكِنَّ اللهَ بَيَّنَ مَحَبَّتَهُ لَنَا لأَنَّهُ وَنَحْنُ بَعْدُ خُطَاةٌ مَاتَ الْمَسِيحُ لأَجْلِنَا» (رومية ٥: ٧-٨).**

حسب تقدير الله، فأننا نستحق موت إبنه. ليس لدينا أي شيء يجذب الله إلينا أو يثيره ويحفزه لإرسال إبنه ليموت عنا. نحن لم نكن أبراراً ولا أخلاقيين؛ نحن كنا لم نزل خطاة. وهذا هو التناقض الشديد بعينه عن الحمل (الخروف) الكامل. لكن الله رأى أننا جديرون بالحب، وأن قيمتنا ارتفعت على نحو فلكي عندما ضحى يسوع بحياته من أجلنا. بغض النظر عن مدى قيمتك بالنسبة للآخرين حسب المصطلحات الأرضية، ألا أنك عزيز ونفيس للأبد بسبب الفدية التي دفعها الله من أجلك.

لو كنت الشخص الوحيد على الأرض

يكون من السهل جداً في بعض الأحيان بالنسبة للفرد المسيحي أن يشعر بالضياع وسط الزحام. نحن قد نقول، «من المؤكد أن المسيح مات من أجل خطاياي، ولكنه لم يمت من أجلي أنا فقط. إنه مات من أجل العالم كله. أنا مجرد شخص ضمن الملايين المتعددة من البشر الذين قبلوا عطية غفران الله للخطايا ضمن ' خطته الجماعية ' للخلاص.»

حقيقة أنك مجرد شخص مؤمن مفتدى من بين الملايين لا يمكنها ولا بأية طريقة أن تضعف وتنقص من الطبيعة الشخصية لقيمتك أمام اللّٰه. إذا كنت أنت وعائلتك فقط الأشخاص الوحيدين على هذه الأرض، هل تعتقد أن المسيح كان سيموت من أجلك؟ بكل تأكيد!. أول وعد للّٰه لافتداء البشرية الساقطة صدر عندما كان يوجد زوج واحد من البشر على الأرض. بعد خطيئة آدم وحواء، وعد اللّٰه بسحق رأس الحية مشيراً بذلك إلى غلبة المسيح على الخطية من على الصليب، **" وَاضَعُ عَدَاوَةً بَيْنَكِ وَبَيْنَ الْمَرْاةِ وَبَيْنَ نَسْلِكِ وَنَسْلِهَا. هُوَ يَسْحَقُ رَاسَكِ وَانْتِ تَسْحَقِينَ عَقِبَهُ" (تكوين ٣: ١٥)**. لو كنت أنت هناك في جنة عدن بدلاً من آدم وحواء، وأنت أيضاً قمت بعصيان اللّٰه، فإن الوعد الصادر من اللّٰه سيكون من أجلك أيضاً.

يجب أن تفهم وتلتقط رؤية جديدة عن قيمتك أمام اللّٰه حتى يتحول إحساسك بالهوية للانحياز مع كيف يراك اللّٰه. وبما أنك تنمي للّٰه وعائلته، فأنت جدير بالاستحقاق لتلقي «نِعْمَةِ اللّٰهِ الْمُتَنَوِّعَةِ» (بطرس الأولى ٤: ١٠). كثيراً ما تُفتقد هذه الصورة عندما نتكلم عن عمل المسيح على الجلجثة. اسأل الشخص المتوسط الإيمان عما تعنيه الجلجثة بالنسبة له، فمن المرجح إنه سوف يقول، «إنها تتعلق بالخطية والمغفرة.» لكن يجب أن نلقي نظرة عن كثب. لماذا تعامل اللّٰه مع خطايانا ومنحنا الغفران عند الجلجثة؟ لأننا محبوبون بالنسبة له، والطريقة الوحيدة التي يمكننا فيها الانتماء لعائلته هي أنه كان يجب على المسيح أن يموت من أجل خطايانا. بينما أنت تفهم قيمتك عند اللّٰه بوضوح أكثر، فإن ذلك سوف يؤثر على طريقة معيشتك وتفاعلك مع الآخرين.

مرة أخرى، إنه ليس كافياً أن تعرف بكل بساطة أنك ذو قيمة عند اللّٰه فقط. يجب أن تستحوذ هذه الحقيقة على قلبك لدرجة تجعلك تشعر

بالقيمة. أتأمل أن يجعل هذا الفصل كلاً من عقلك وعواطفك ينفتحان أكثر فيما يتعلق بموضوع قيمتك عند اللّٰه.

هل أنت مستحق لاهتمام الله؟

عندما كنت طفلاً، من الذي جلس معك على الأرض ولعب معك بألعابك؟ أي من البالغين الذين كانوا متواجدين في حياتك تخلى في بعض الأحيان عن عالمه الخاص به المليئ بالأعمال والمسؤوليات ودخل إلى عالمك المليئ بالدمى والألعاب ولعبة «التظاهر»؟ أتأمل أنه كان يوجد الكثير: والداك أو أجدادك أو عماتك / خالاتك أو أعمامك / أخوالك أو أشقاء أو أولاد عمومة أو أصدقاء للعائلة. احتياج الطفل للاهتمام يتم تلبيته عندما يترك شخص بالغ محب عالمه البالغ لفترة من الوقت ليدخل إلى عالم الطفل.

لكن وبكل حزن، ينمو معظم الأطفال دون أن يتم تلبية احتياجاتهم، وخصوصاً من قبل والدهم أو والدتهم. كثيراً ما تكون النماذج الأبوية مشغولة جداً لدرجة عدم الاهتمام والمشاركة في عالم الطفل. أو أن الأهل يمضون الوقت مع أطفالهم بدعوتهم إلى عالم الأهل. على سبيل المثال، يعتبر الوالد أن وقت الوالد - الابن وقتاً له قيمة واهتمام عندما يدعو إبنه البالغ من العمر ثلاث سنوات - الذي لا يهتم كثيراً بالرياضة - ليجلس بجانبه بينما هو يشاهد مباراة في لعبة البسبول على التلفاز. الأطفال الذين ينشأون بدون اهتمام ينظرون إلى أنفسهم على أنهم عديمي القيمة ولا يستحقون وقت ومشاركة الشخص البالغ.
من المرجح أنك قد نشأت في بيت حيث تكون قد تلقيت فيه القليل من الاهتمام الصادق من الأشخاص البالغين الذين كان يجب عليهم أن يحبونك بهذه الطريقة. نتيجة لذلك، فأنت قد تعتبر نفسك كما لو أنه مشكوك بقيمتك عند اللّٰه وأمام الآخرين. أي بكلمات أخرى، من

الممكن أن تكون صورتك الداخلية قد وُضع عليها تسعيرة تقول «صفقة الدور الأدنى مع تنزيلات مغرية.» قد ترى نفسك أقل بكثير من أشخاص الدرجة الأولى لأن أشخاصاً مهمين في حياتك فشلوا في تلبية احتياجك للاهتمام.

دع قلبك يستحوذ على واقع قيمتك عند اللّٰه الذي يلبي احتياجك من الاهتمام بالإحساس الأكثر امتلاءً. ترك اللّٰه عالمه - السماوات - في شخص يسوع المسيح ودخل عالمك - الأرض الخاطئة - ليعلن عن قيمتك كهدف لمحبته. كتب بولس قائلاً، **فَلْيَكُنْ فِيكُمْ هَذَا الْفِكْرُ الَّذِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ أَيْضاً: الَّذِي إِذْ كَانَ فِي صُورَةِ اللّٰهِ، لَمْ يَحْسِبْ خُلْسَةً أَنْ يَكُونَ مُعَادِلاً لِلّٰهِ. لَكِنَّهُ أَخْلَى نَفْسَهُ، آخِذاً صُورَةَ عَبْدٍ، صَائِراً فِي شِبْهِ النَّاسِ. وَإِذْ وُجِدَ فِي الْهَيْئَةِ كَإِنْسَانٍ، وَضَعَ نَفْسَهُ وَأَطَاعَ حَتَّى الْمَوْتَ مَوْتَ الصَّلِيبِ» (فيلبي ٢: ٥-٨).**

علاوة على ذلك، يقدرك اللّٰه كثيراً جداً لدرجة أنه يبقى في عالمك يوماً بيوم في شخص روحه القدوس (**"وَأَنَا أَطْلُبُ مِنَ الآبِ فَيُعْطِيكُمْ مُعَزِّياً آخَرَ لِيَمْكُثَ مَعَكُمْ إِلَى الأَبَدِ" [يوحنا ١٤: ١٦]**؛ **"وَعَلِّمُوهُمْ أَنْ يَحْفَظُوا جَمِيعَ مَا أَوْصَيْتُكُمْ بِهِ. وَهَا أَنَا مَعَكُمْ كُلَّ الأَيَّامِ إِلَى انْقِضَاءِ الدَّهْرِ" [متى ٢٨: ٢٠]**). إنه يعرف كل التفاصيل عنك منذ لحظة ولادتك (**"لأَنَّكَ أَنْتَ اقْتَنَيْتَ كُلْيَتَيَّ. نَسَجْتَنِي فِي بَطْنِ أُمِّي. أَحْمَدُكَ مِنْ أَجْلِ أَنِّي قَدِ امْتَزْتُ عَجَباً. عَجِيبَةٌ هِيَ أَعْمَالُكَ وَنَفْسِي تَعْرِفُ ذَلِكَ يَقِيناً. لَمْ تَخْتَفِ عَنْكَ عِظَامِي حِينَمَا صُنِعْتُ فِي الْخَفَاءِ وَرُقِمْتُ فِي أَعْمَاقِ الأَرْضِ. رَأَتْ عَيْنَاكَ أَعْضَائِي وَفِي سِفْرِكَ كُلُّهَا كُتِبَتْ يَوْمَ تَصَوَّرَتْ إِذْ لَمْ يَكُنْ وَاحِدٌ مِنْهَا" [مزمور ١٣٩: ١٣-١٦]**). إنه يقظ وبكل حماسة للمشاكل التي تسبب لك الإزعاج اليومي حيث يدعو إلى (**«إِلْقَاءِ كُلِّ هَمِّكُمْ عَلَيْهِ لأَنَّهُ هُوَ يَعْتَنِي بِكُمْ» [بطرس الأولى ٥: ٧]**). إنه يشارك بكل حميمية في

وجودك لحظة بلحظة على هذه الأرض لأنه موجود معك هنا. فلا عجب أن أحد أسماء المسيح هو **"عِمَّانُوئِيلَ - الَّذِي تَفْسِيرُهُ: اَللّٰهُ مَعَنَا" (متى ١: ٢٣)**.

ما هي العواطف التي تجيش بداخلك عندما تفكر بأن المسيح ترك مجد السماوات لتلبية أكثر احتياجاتك عمقاً؟ ما مدى القيمة التي تشعر بها وأنت تعرف أن المسيح سيحمل على جسده الممجد للأبد كل جراح وندوب افتدائك كتذكار أبدي إنه أحبك جداً لدرجة أنه دخل عالمك؟ عندما تسمح لهذه الحقيقة أن تغوص في عقلك وقلبك، فأنت سوف تختبر التحول في كيفية رؤية نفسك.

مرة أخرى، يلعب جسد المسيح دوراً لا مفر منه في عملية تحولك. هل تشارك بحميمية في الوقت الحالي مع مجموعة صغيرة من المؤمنين على الأقل ممن يعكسون كيف يرى اللّٰه قيمتك؟ هل يوجد بضع مسيحيين ممن يحبونك كثيراً لدرجة دخول عالمك والاهتمام بعملك ونموك الروحي وصراعاتك وحتى بهواياتك واهتماماتك؟ بطريقة مشابهة، هل أنت تنمو في تقييم وتقدير زملائك المؤمنين كما يفعل اللّٰه؟ هل تجاري يقظة اللّٰه بترك عالمك عند الضرورة لإظهار محبتك وتقديرك لزملائك المؤمنين؟ حصاد والحفاظ على بيئة القيمة في العلاقات الإنسانية يمنحنا صورة أكثر وضوحاً عن كيف يرانا اللّٰه.

أنت تستحق مغفرة الله

هل تجد أنه من الصعب الإيمان أن اللّٰه يستمر بالمغفرة لك يومياً من أجل خطاياك؟ جميعنا سنكون سريعين للموافقة مع الاعتراف المسيحي القائل أننا نخطئ بالفكر والكلام والفعل كل يوم. لكن هل نحن سريعون أيضاً للموافقة مع آية يوحنا الأولى ١: ٩ القائلة، **"إِنِ اعْتَرَفْنَا**

بِخَطَايَانَا فَهُوَ أَمِينٌ وَعَادِلٌ، حَتَّى يَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَيُطَهِّرَنَا مِنْ كُلِّ إِثْمٍ» - حتى على الرغم من أنه يجب علينا فعل ذلك يوماً بعد يوم؟ إذاً كنت تجد أنه من الصعب عليك قبول غفران اللّٰه اللامتناهي، فأنت تعاني من مشكلة في إحساسك لقيمتك أمام اللّٰه. لقد أسست قيوداً تحكمية واستبدادية على قيمتك أمام اللّٰه. نتيجة لذلك، فأنت لن تكون قادراً على رؤية نفسك مستحقاً مغفرة اللّٰه. من المرجح أن هذه الرؤية تتفرع من حقيقة أنه لم تكن تغفر لك أخطائك وأنت طفل.

تقول آية عبرانيين ١٠: ١٢، « **وَأَمَّا هَذَا [الكاهن] فَبَعْدَمَا قَدَّمَ عَنِ الْخَطَايَا ذَبِيحَةً وَاحِدَةً، جَلَسَ إِلَى الأَبَدِ عَنْ يَمِينِ اللّٰهِ.**» يمكن رؤية النتيجة لهذه التضحية النهائية وعلى نحو حاسم عن الخطايا في آيتي كولوسي ٢: ١٣-١٤: «**وَإِذْ كُنْتُمْ امْوَاتاً فِي الْخَطَايَا وَغَلَفِ جَسَدِكُمْ، احْيَاكُمْ مَعَهُ، مُسَامِحاً لَكُمْ بِجَمِيعِ الْخَطَايَا، إِذْ مَحَا الصَّكَّ الَّذِي عَلَيْنَا فِي الْفَرَائِضِ، الَّذِي كَانَ ضِدّاً لَنَا، وَقَدْ رَفَعَهُ مِنَ الْوَسَطِ مُسَمِّراً ايَّاهُ بِالصَّلِيبِ.**» كان الملك داود مذنباً بخطيئتي الزنى والقتل، ومع ذلك فقد كان بإمكانه أن يقول، «**أَعْتَرِفُ لَكَ بِخَطِيَّتِي وَلاَ أَكْتُمُ إِثْمِي. قُلْتُ: [أَعْتَرِفُ لِلرَّبِّ بِذَنْبِي] وَأَنْتَ رَفَعْتَ أَثَامَ خَطِيَّتِي**» (مزمور ٣٢: ٥). يا لها من حرية أن نرى أنفسنا كما يرانا اللّٰه: مغفورة لنا جميع خطايانا - الماضية والحاضرة والمستقبلية.

ومع ذلك فإن بعض المسيحيين مقتنعين أنهم ارتكبوا الكثير من الخطايا ولفترات طويلة وهي خطايا عظيمة جداً لدرجة أنه لا يمكن غفرانها. أنهم يؤمنون أن اللّٰه يغفر، ولكنهم يحددون على نحو خاطئ أنهم استهلكوا مقدار الغفران الذي خصصه اللّٰه من أجلهم. عبرت طالبة في السابعة عشرة من عمرها، والتي سوف أدعوها سيندي، عن حالتها الحزينة في رسالة أرسلتها لي قائلة:

جوش، إني اكتب لك لأني وحيدة ومشوشة التفكير. لقد مارست العلاقة الجنسية مع صديقي، معتقدة أني أدين له بذلك. عرفت بعد أربعة أشهر أني حامل. قام صديقي جيف بهجري وما زال أهلي لا يعرفون عن حالتي. أصبحت قبل حوالي شهر تقريباً مسيحية. لكنني ما زلت أشعر بالذنب العظيم. كيف يمكن لله أن يحبني بعدما فعلت ما فعلته؟ أشعر أني لا استحق العيش بعد الآن. أني أبكي كل ليلة. أتمنى لو أني كنت ميتة في بعض الأحيان. علاقتي مع والدايّ ليست جيدة. إنهما يعيشان حياة مسيحية طوال حياتهما، وأنهما لن يتفهما ما الذي أعاني منه. أنا مضطربة ومشوشة الأفكار كثيراً. هل يمكن لله أن يحبني فعلاً ويغفر لي؟ الرجاء الإجابة على رسالتي.

لم تدرك سيندي بعد قيمتها العظيمة عند الله. عندما ترك يسوع عالمه ومات من أجل خطاياها، فإنه دفع ثمن كل خطاياها بما فيها العلاقة الجنسية غير الشرعية التي تركتها حامل ومكتئبة. ومع ذلك لا زالت سيندي تعتبر خطيئتها خطيئة عظيمة جداً، مثل الشيك الذي يتم رده بسبب عدم وجود الرصيد الكافي لتغطيته. سيندي بحاجة لأن تدرك أنها لا تستطيع استهلاك حساب الله من الغفران. الله لم يضع أية قيود على المغفرة. كل خطيئة نعترف بها، يتم غفرانها. وهذا ما قلته لسيندي في إجابتي على رسالتها.

مثال توضيحي جيد عن مقدار مغفرة الله هو حياة الملك منسي أحد أكثر ملوك يهوذا شراً. أدار منسي ظهره لله وقام بعبادة آلهة مزيفة وقاد شعبه لعبادة الأوثان "**كَانَ مَنَسَّى ابْنَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً حِينَ مَلَكَ وَمَلَكَ خَمْساً وَخَمْسِينَ سَنَةً فِي أُورُشَلِيمَ. وَعَمِلَ الشَّرَّ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ حَسَبَ رَجَاسَاتِ الأُمَمِ الَّذِينَ طَرَدَهُمُ الرَّبُّ مِنْ أَمَامِ بَنِي إِسْرَائِيلَ. وَعَادَ فَبَنَى الْمُرْتَفَعَاتِ الَّتِي هَدَمَهَا حَزَقِيَّا أَبُوهُ وَأَقَامَ مَذَابِحَ لِلْبَعْلِيمِ وَعَمِلَ**

سَوَارِيَ وَسَجَدَ لِكُلِّ جُنْدِ السَّمَاءِ وَعَبَدَهَا. وَبَنَى مَذَابِحَ فِي بَيْتِ الرَّبِّ الَّذِي قَالَ عَنْهُ الرَّبُّ [فِي أُورُشَلِيمَ يَكُونُ اسْمِي إِلَى الأَبَدِ]. وَبَنَى مَذَابِحَ لِكُلِّ جُنْدِ السَّمَاءِ فِي دَارَيْ بَيْتِ الرَّبِّ. وَعَبَّرَ بَنِيهِ فِي النَّارِ فِي وَادِي ابْنِ هِنُّومَ وَعَافَ وَتَفَاءَلَ وَسَحَرَ وَاسْتَخْدَمَ جَانّاً وَتَابِعَةً وَأَكْثَرَ عَمَلَ الشَّرِّ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ لإِغَاظَتِهِ. وَوَضَعَ تِمْثَالَ الشَّكْلِ الَّذِي عَمِلَهُ فِي بَيْتِ اللَّهِ الَّذِي قَالَ اللَّهُ عَنْهُ لِدَاوُدَ وَلِسُلَيْمَانَ ابْنِهِ [فِي هَذَا الْبَيْتِ وَفِي أُورُشَلِيمَ الَّتِي اخْتَرْتُ مِنْ جَمِيعِ أَسْبَاطِ إِسْرَائِيلَ أَضَعُ اسْمِي إِلَى الأَبَدِ. وَلاَ أَعُودُ أُزَحْزِحُ رِجْلَ إِسْرَائِيلَ عَنِ الأَرْضِ الَّتِي عَيَّنْتُ لآبَائِهِمْ وَذَلِكَ إِذَا حَفِظُوا وَعَمِلُوا كُلَّ مَا أَوْصَيْتُهُمْ بِهِ كُلَّ الشَّرِيعَةِ وَالْفَرَائِضِ وَالأَحْكَامِ عَنْ يَدِ مُوسَى]. وَلَكِنْ مَنَسَّى أَضَلَّ يَهُوذَا وَسُكَّانَ أُورُشَلِيمَ لِيَعْمَلُوا أَشَرَّ مِنَ الأُمَمِ الَّذِينَ طَرَدَهُمُ الرَّبُّ مِنْ أَمَامِ بَنِي إِسْرَائِيلَ» (أخبار الأيام الثاني ٣٣: ١-٩). إذا كانت سيندي تعتقد أنه من المستحيل على الله أن يغفر لها، فيجب أن تؤمن أيضاً أن الله كان لن يغفر للملك منسي أبداً لأنه كان شريراً جداً.

على كل حال، عندما آسر الأشوريين أمة يهوذا وملكها، فإن منسي **"طَلَبَ وَجْهَ الرَّبِّ إِلَهِهِ وَتَوَاضَعَ جِدّاً أَمَامَ إِلَهِ آبَائِهِ وَصَلَّى إِلَيْهِ فَاسْتَجَابَ لَهُ وَسَمِعَ تَضَرُّعَهُ وَرَدَّهُ إِلَى أُورُشَلِيمَ إِلَى مَمْلَكَتِهِ. فَعَلِمَ مَنَسَّى أَنَّ الرَّبَّ هُوَ اللَّهُ» (أخبار الأيام الثاني ٣٣: ١٢-١٣)**. على الرغم من ماضي منسي الشرير، فإن الله غفر له على نحو رحيم. أنا أؤمن أن الملك المغفورة له خطاياه عاد إلى وطنه وهو قادر على رؤية نفسه كما يراه الله، مستحقاً أن تغفر له خطاياه.

مثلهم مثل سيندي، فالكثير من المسيحيين يعتبرون أنفسهم ما وراء الغفران. لكن كيف يرانا الله؟ الملك داود، الذي لم يعتبر نفسه ما وراء الغفران، كتب قائلاً، **"[الرب] لَمْ يَصْنَعْ مَعَنَا حَسَبَ خَطَايَانَا وَلَمْ يُجَازِنَا**

حَسَبَ آثَامِنَا. لأَنَّهُ مِثْلُ ارْتِفَاعِ السَّمَاوَاتِ فَوْقَ الأَرْضِ قَوِيَتْ رَحْمَتُهُ عَلَى خَائِفِيهِ. كَبُعْدِ الْمَشْرِقِ مِنَ الْمَغْرِبِ أَبْعَدَ عَنَّا مَعَاصِيَنَا» (مزمور ١٠٣: ١٠-١٢). في ظلال خطيئته وندمه، رأى داود بوضوح أكثر مغفرة الله اللامتناهية التي أسست فيه الإحساس بالقيمة.

إنقاذ نفسك من الشرك

مظهر مثير آخر من مظاهر غفران الله هو أننا أحراراً لنغفر لأنفسنا. يقبل الكثير من المسيحيين مغفرة الله، ولكنهم لا يستطيعوا أن يغفروا لأنفسهم. أنهم أقسى على أنفسهم أكثر من قسوة الله عليهم! إذا كان الله يرانا ذوي قيمة كافية لدرجة أنه يدفع الثمن عن خطايانا ويغفر لنا، فمن نحن لنقول أننا لا نستحق المغفرة؟ تحويل إحساسنا بالهوية يعني إخراج الآخرين من الشرك وجعلهم يقبلون المغفرة التي يقدمها الله.

قبل بضع سنوات كنا أنا وأصدقائي نتناول طعامنا في أحد المطاعم، قلت شيئاً ما كان يجب ألا أتفوه به أبداً. لقد آذيت بعمق أحد أخوتي في المسيح بالكلام الذي قلته. في طريق عودتي للبيت أدركت تأثير كلامي الذي كان دونما سبباً يُذكر. عدت إلى المطعم فوراً لتصحيح الأمور. اعترفت لصديقي أن ما فعلته كان خطيئة وطلبت منه أن يغفر لي. نظر إليَّ مباشرة وقال، «سوف لن أغفر لك. شخص في مثل مركزك يجب أن لا يقول أبداً ما قلته.»

مندهشاً من تجاوبه المفاجئ، قلت، «أنا أعلم أنه يجب أن لا أقول ما قلته؛ ولهذا السبب فإنني أطلب منك أن تغفر لي.» بذلت قصارى جهدي لتصويب الأوضاع، ولكن أخي كان مصمماً على أن لا يغفر لي أبداً.

عدت إلى البيت وأنا أشعر بالإحباط والاضطراب. بدأت بالصراع الروحي والعاطفي مع نفسي حول الموضوع. بما أني كنت أشعر بالذنب إلى أبعد حد، فإني بدأت بتوبيخ نفسي ذهنياً. كيف أمكنك قول شيء مثل ذلك يا جوش؟ ذهب بي ذنبي المزيف إلى أفكار الإدانة الذاتية. كيف يمكنك أن تكون في العمل المسيحي وتقوم بإيذاء أخٍ مثل ذلك؟ كيف يمكن لله أن يستخدمك في الخدمة عندما تتكلم معٍ الناس بهذه الطريقة؟ لقد كنت ممتلئ بالإشفاق الذاتي والتعاسة بسبب الذنب الشخصي.

بدأ بعد ذلك الروح القدس يعمل في تفكيري. استعدت الحادثة بأكملها في ذهني، بما فيها تجاوبي، على ضوء الكتاب المقدس وعلاقتي مع المسيح. ففكرت قائلاً في نفسي، أنت لا تتعامل مع هذا الموضوع بطريقة صحيحة. يمكنك القيام باستجابتين لهذا الموقف. أولاً، يمكنك الاستمرار بالشعور بالأسف تجاه نفسك تاركاً نفسك تتمرغ بالذنب والتركيز على هشاشة خطيئتك. ثانياً، يمكنك إدراك وفهم أن يسوع مات من أجل مواقف مثل هذه، اعترف بخطيئتك واقبل مغفرة الله وابذل قصارى جهدك لتصويب الأمور مع أخيك. بما أنك بذلت كل ما في وسعك، اغفر لنفسك وارفع رأسك وأرح كتفيك وتابع سيرك بالإيمان.

بعد الصراعات مع البدائل لفترة قصيرة، اخترت الاعتراف بمغفرة الله ومغفرتي لنفسي والاستمرار بالسير بالإيمان وبذل قصارى جهدي لتصويب العلاقة مع الأخ الجريح الذي لا يريد أن يغفر لي.

إذا ما اخترت أن لا تغفر لنفسك، فكن مدركاً أنك لا ترى نفسك كما يراك الله

أدركت بعمق في تلك اللحظة أن غفراني لنفسي ليس معتمداً على مغفرة أخي الذي تعرض للإساءة، حتى على الرغم من أن اللّٰه يتوقع مني أن أبذل قصارى جهدي لتصويب العلاقة، **"فَإِنْ قَدَّمْتَ قُرْبَانَكَ إِلَى الْمَذْبَحِ وَهُنَاكَ تَذَكَّرْتَ أَنَّ لأَخِيكَ شَيْئاً عَلَيْكَ فَاتْرُكْ هُنَاكَ قُرْبَانَكَ قُدَّامَ الْمَذْبَحِ وَاذْهَبْ أَوَّلاً اصْطَلِحْ مَعَ أَخِيكَ وَحِينَئِذٍ تَعَالَ وَقَدِّمْ قُرْبَانَكَ" (متى ٥: ٢٣-٢٤)**. لذلك، فإني انطلقت من هناك، وفي الأشهر التالية بدأت العلاقة تتغير نحو الأفضل. بعد سنة من ذلك الحادث، قلت لزوجتي معقباً، «اعتقد أن علاقتنا قد شفيت. يبدو أن إحساسه العميق بالأذى قد اختفى، وحسب كل المظاهر الواضحة، فإنه قد غفر لي. بل بالحقيقة، اعتقد أن علاقتنا أصبحت أفضل مما كانت عليه من ذي قبل.»

السير بالغفران هو أمر حيوي في كل مظاهر الصحة والنمو الشخصيين. قال مدير مستشفى للأمراض النفسية في حلقة دراسية جامعية أن بإمكان نصف مرضاه العودة إلى بيوتهم لو عرفوا فقط أنه غُفر لهم. إذا ما اخترت أن لا تغفر لنفسك، فكن مدركاً أنك لا ترى نفسك كما يراك اللّٰه. قد تشعر بالسوء جراء خطاياك، ولكن لا تسمح لتلك الأحاسيس السيئة أن تظلل حقيقة مغفرة اللّٰه.

مرة ثانية، فإن مشاركتك في مجموعة من المؤمنين المحبين سوف تساعدك على رؤية نفسك بوضوح أكثر. الغفران هو الميزة الرئيسية للعلاقات بين المؤمنين. كتب بولس ليعلمنا، **"وَكُونُوا لُطَفَاءَ بَعْضُكُمْ نَحْوَ بَعْضٍ، شَفُوقِينَ مُتَسَامِحِينَ كَمَا سَامَحَكُمُ اللهُ أَيْضاً فِي الْمَسِيحِ" (أفسس ٤: ٣٢)**. الاختبار الأسبوعي بين المؤمنين للغفران لبعضهم البعض والسعي وراء الغفران من بعضهم البعض سيبقي غفران اللّٰه في صورة بالغة الوضوح.

بما أننا " كَهَنُوتٌ مُلُوكِيٌّ" في جسد المسيح، " أَمَّا أَنْتُمْ فَجِنْسٌ مُخْتَارٌ، وَكَهَنُوتٌ مُلُوكِيٌّ، أُمَّةٌ مُقَدَّسَةٌ، شَعْبُ اقْتِنَاءٍ، لِكَيْ تُخْبِرُوا بِفَضَائِلِ الَّذِي دَعَاكُمْ مِنَ الظُّلْمَةِ إِلَى نُورِهِ الْعَجِيبِ" (بطرس الأولى ٢: ٩). فإننا نلعب دوراً رئيسياً في مساعدة بعضنا البعض على رؤية أنفسنا مغفورة لنا خطايانا كما يرانا الله تماماً. يذكرنا بطرس قائلاً، " اِعْتَرِفُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ بِالزَّلاَّتِ، وَصَلُّوا بَعْضُكُمْ لأَجْلِ بَعْضٍ لِكَيْ تُشْفَوْا. طِلْبَةُ الْبَارِّ تَقْتَدِرُ كَثِيراً فِي فِعْلِهَا" (يعقوب ٥: ١٦). نحن لا نعتقد ولا نؤمن أنه يمكن لشخص ما أن يغفر خطايا شخص آخر؛ الله الوحيد الذي يمكنه مغفرة الخطايا. ومع ذلك، فإنه إن اعترفنا بخطايانا لبعضنا البعض وصلينا من أجل بعضنا البعض، فإننا نمتلك المسؤولية الكهنوتية للتأكيد على بعضنا البعض أن الله غفر لنا. هذه يجب أن تكون الكلمة الأخيرة عندما يتجمع المسيحيون للتعامل مع خطاياهم. «لقد اعترفت بخطاياك، لقد صلينا من أجلها، والله غفرها. اذهبوا بسلام. أنتم مغفورة لكم خطاياكم!» مثل هذه الخدمة هي الطريق المباشر لرؤية ٢٠ / ٢٠ فيما يتعلق بقيمتنا أمام الله.

الحصول على صورة أكثر وضوحاً عن هويتك

جزء من فهم من أنت يشمل فهم من هو الله وأن تختبر قلبه تجاهك. تأمل بعمق في الحقائق التالية عن الله. اصرف بعض الوقت لكتابة إجاباتك على هذه الأسئلة في دفتر ملاحظات أو مفكرة.

١. الله قدوس. نقرأ في مزمور ٢٢: ٣: " وَأَنْتَ الْقُدُّوسُ الْجَالِسُ بَيْنَ تَسْبِيحَاتِ إِسْرَائِيلَ."

ماذا يعني بالنسبة لك أن الله قدوس؟

ماذا يعني بالنسبة لك أن الله القدوس يجدك جديراً بالحب؟

٢. اللّٰه صالح. نقرأ في مزمور ١١٩: ٦٨: « صَالِحٌ أَنْتَ وَمُحْسِنٌ. عَلِّمْنِي فَرَائِضَكَ.»
ماذا يعني بالنسبة لك أن اللّٰه صالح بالكامل ولا يمكنه عمل أي شيء خاطئ؟
ماذا يعني بالنسبة لك أن هذا الإله الصالح يعلن أنك ذو قيمة على نحو هائل وممتاز؟

جزء ثانٍ من فهم من أنت يتضمن سماع ما يقوله اللّٰه عمن تكون. استمع لصوت اللّٰه يتحدث إليك:

١. يقول اللّٰه، «أنت ذو قيمة.» نقرأ في كورنثوس الأولى ٦: ١٩-٢٠: «أَمْ لَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ جَسَدَكُمْ هُوَ هَيْكَلٌ لِلرُّوحِ الْقُدُسِ الَّذِي فِيكُمُ الَّذِي لَكُمْ مِنَ اللهِ وَأَنَّكُمْ لَسْتُمْ لأَنْفُسِكُمْ؟ لأَنَّكُمْ قَدِ اشْتُرِيتُمْ بِثَمَنٍ. فَمَجِّدُوا اللهَ فِي أَجْسَادِكُمْ وَفِي أَرْوَاحِكُمُ الَّتِي هِيَ لِلّٰهِ.»
خذ هذه الآية واجعلها شخصية بالنسبة لك: «أنا ذو قيمة عالية عند اللّٰه لدرجة انه اشتراني بثمن نفيس.»
ماذا يعني بالنسبة لك أن اللّٰه يحبك جداً لدرجة أنه دفع ثمناً نفيساً من أجلك - ليس من أجل أي شيء عملته فقط، ولكن لأنه يجدك ذو قيمة أيضاً؟
هل تشعر بقلب اللّٰه تجاهك بينما هو يضحي بحياة إبنه العزيزة ليظهر لك مدى قيمتك عنده؟

٢. يقول اللّٰه، «أنت عضو في جسد المسيح.» نقرأ في كورنثوس الأولى ١٢: ٢٧: « وَأَمَّا أَنْتُمْ فَجَسَدُ الْمَسِيحِ وَأَعْضَاؤُهُ أَفْرَاداً.»
خذ هذه الآية واجعلها شخصية بالنسبة لك: «أنا عضو ضروري في جسد المسيح - في المسيح نفسه.

ماذا يعني بالنسبة لك أنك ضرورياً للّه؟

هل تشعر بقلب الله تجاهك بينما هو يجذبك إليه كعضو من جسده؟

اصرف بعض الوقت لتشكر الله على ما أعلنه عن نفسه لك. استمع له وهو يتكلم بهذه الكلمات لقلبك خلال الأيام والأسابيع القادمة. دع هذه الحقائق من الكتاب المقدس تشق طريقها بعمق في قلبك وفي هويتك.

الفصل الثاني عشر

إحساس جديد بالكفاءة

رون، الراعي الأعلى مقاماً لكنيسة تتكون من ١٥٠٠ عضو وما زالت تنمو. إنه يقود خدمة طاقم أفراد وظيفي أفراده مشغولون جداً ومجلس إدارة كبير نوعاً ما ويعظ في ثلاث خدمات في صباح كل يوم أحد.

لكن رون هو أيضاً والد مخلص. في أيامهما الأولى من الزواج، قرر رون وزوجته جوريي الالتزام بمنح أولوية الوقت والمصادر لمساعدة كل طفل من أطفالهما على اكتشاف تفوق محدد في حقل واحد على الأقل من اهتماماتهم الشخصية. لقد أرادا تجهيز أطفالهما لينجحوا في الحياة بإحساس مغذٍ للكفاءة والثقة الذاتية.

بما أن رون وجوريي هما لاعبا كرة التنس بكل حماسة، فلم يكن مفاجئاً أن ثلاثة من أطفالهما أظهروا اهتماماً مبكراً وقدرة في تلك الرياضة. لقد انضموا إلى نادٍ رياضي حتى يتمكن أطفالهما من الاستفادة من دروس لعبة كرة التنس ودورات البطولة على مدار العام. شق كل من تاد وديفيد وجويل طريقهم إلى التصنيف الوطني حسب الفئات الخاصة بأعمارهم. كان كل من رون وجوريي يحضران المباريات والدورات قدر استطاعتهما، وكانا في بعض الأحيان يسافران عبر البلاد ليشجعا أولادهما في الدورات الوطنية لكرة التنس للصغار.

لكن إبنهما الثالث لم يكن مهتماً بلعبة كرة التنس مثل أخوته. كان لوك يحب الخيول، لذلك أصبح رون وجوريي من أكثر الداعمين والمشجعين له. في عيد ميلاد لوك الحادي عشر، اشترى له والداه حصاناً. أصيب إبنهما بالدهشة المطلقة. أصبح لوك يدخر مصروفه واستطاع بالنهاية شراء

حصانٌ آخر. وبعد تزويجهما، أصبح عند لوك، الذي هو في السادسة عشرة من عمره الآن، خمسة أحصنة. التزم كل من رون وجوري بإحساس لوك بالكفاءة المتنامية لدرجة أنهما باعا بيتهما وانتقلوا جميعهم كعائلة إلى موقع ريفي حتى يستطيع لوك الاحتفاظ بأحصنته.

استمر الأبناء الأربعة بالتمتع والتفوق باهتماماتهم المختارة بينما كان الداهم يشجعانهم بمحبة وتضحية. أخذ الأولاد بالنمو وبلغوا مرحلة البلوغ بإحساس واضح بأنهم أشخاص محبوبون وذوي قيمة وأكفاء. يخطط رون وجوري بإتباع نفس النمط مع الأطفال الإضافيين الأربعة الذين قاموا بتبنيهم في عائلتهم.

هل كان والداك يشبهان هذين الزوجين في أي شيء؟ عندما كنت طفلاً، هل تمَّ تشجيعك في اهتماماتك لدرجة أنك رأيت نفسك ماهراً وكفؤاً في عدة مجالات من الحياة في الوقت الحالي نتيجة لذلك؟ أم أنك نشأت وأنت تشعر كما لو أنك مبتلي بالتقلبات المتكررة في كل شيء تحاول عمله لأن الأشخاص البالغين المهمين في حياتك أظهروا القليل من الثقة في قدراتك؟ من الممكن أن تكون هذه التأثيرات السلبية من مرحلتي طفولتك وشبابك قد تضخمت في مرحلة البلوغ لأن الكثير من الناس من حولك فشلوا في رؤية كفاءتك. أو من الممكن أن يكون عدد من الأعمال الفاشلة والتعسة في حياتك - فقدان وظيفة أو فشل علاقة صداقة أو زواج أو طفلٍ متمردٍ - جعلك تشعر بأنك فاشل.

العمود الأساسي الثالث لهويتك الحقيقية هو أن نرى أنفسنا أكفاء في المسيح. هكذا يرانا الله. لم يكن بولس متهوراً أو متفاخراً حينما قال، « أَسْتَطِيعُ كُلَّ شَيْءٍ فِي الْمَسِيحِ الَّذِي يُقَوِّينِي» (فيلبي ٤: ١٣). لقد رأى نفسه بكل بساطة موهوباً ومجهزاً لخدمة الله، وهكذا يجب أن نرى

أنفسنا كذلك. هذا لا يعني أن تكون نسخة مطابقة عن بولس الرسول ولا يعني كذلك أنه يجب عليك أن تتفوق في كل محاولة تقوم بها في حياتك. بل بالحري، يريدك اللّٰه أن تفهم أنه منحك قدرات جسدية وذهنية وروحية محددة وأنه جهزك لاستخدام هذه القدرات بنجاح. علاوة على ذلك، فإن اللّٰه واثق جداً بقدراتك لدرجة أنه دعاك لتحقيق مأموريته العظمى. إحساسك بالهوية سوف يتحول عندما تفهم حقيقة أن اللّٰه يراك كفؤاً ومفيداً.

عيش الحياة المستحيلة تحت كفاءة الروح

المفتاح الرئيسي لتحويل الإحساس الضعيف بالكفاءة هو علاقتك مع اللّٰه والروح القدس. يوجد في الكتاب المقدس الشيء الكثير ليقوله فيما يتعلق بعلاقتنا مع الروح القدس.

ولدنا من جديد بالروح («فَقَالَ يَسُوعُ: «اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكَ: إِنْ كَانَ أَحَدٌ لاَ يُولَدُ مِنْ فَوْقُ لاَ يَقْدِرُ أَنْ يَرَى مَلَكُوتَ اللّٰهِ». قَالَ لَهُ نِيقُودِيمُوسُ: «كَيْفَ يُمْكِنُ الإِنْسَانَ أَنْ يُولَدَ وَهُوَ شَيْخٌ؟ أَلَعَلَّهُ يَقْدِرُ أَنْ يَدْخُلَ بَطْنَ أُمِّهِ ثَانِيَةً وَيُولَدَ؟» أَجَابَ يَسُوعُ: «اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكَ: إِنْ كَانَ أَحَدٌ لاَ يُولَدُ مِنَ الْمَاءِ وَالرُّوحِ لاَ يَقْدِرُ أَنْ يَدْخُلَ مَلَكُوتَ اللّٰهِ» [يوحنا ٣:٣-٥]).

يسكن الروح فينا وسوف يبقى معنا للأبد («وَأَنَا أَطْلُبُ مِنَ الآبِ فَيُعْطِيكُمْ مُعَزِّياً آخَرَ لِيَمْكُثَ مَعَكُمْ إِلَى الأَبَدِ رُوحُ الْحَقِّ الَّذِي لاَ يَسْتَطِيعُ الْعَالَمُ أَنْ يَقْبَلَهُ لأَنَّهُ لاَ يَرَاهُ وَلاَ يَعْرِفُهُ وَأَمَّا أَنْتُمْ فَتَعْرِفُونَهُ لأَنَّهُ مَاكِثٌ مَعَكُمْ وَيَكُونُ فِيكُمْ» [يوحنا ١٤: ١٦-١٧]).

يعلمنا الروح ما نحتاج أن نعرفه («وَأَمَّا الْمُعَزِّي الرُّوحُ الْقُدُسُ الَّذِي سَيُرْسِلُهُ الآبُ بِاسْمِي فَهُوَ يُعَلِّمُكُمْ كُلَّ شَيْءٍ وَيُذَكِّرُكُمْ بِكُلِّ مَا قُلْتُهُ لَكُمْ» [يوحنا ١٤: ٢٦]).

يشهد الروح لنا أننا ننتمي للّٰه («اَلرُّوحُ نَفْسُهُ أَيْضاً يَشْهَدُ

لأَرْوَاحِنَا أَنَّنَا أَوْلاَدُ اللّهِ» [رومية ٨: ١٦]).

الروح يرشدنا ويقودنا («لأَنَّ كُلَّ الَّذِينَ يَنْقَادُونَ بِرُوحِ اللهِ فَأُولَئِكَ هُمْ أَبْنَاءُ اللهِ» [رومية ٨: ١٤]).

يجهزنا الروح بالوزنات والقدرات والمواهب الروحية حتى نعيش حياة هادفة في خدمة الله («فَأَنْوَاعُ مَوَاهِبَ مَوْجُودَةٌ وَلَكِنَّ الرُّوحَ وَاحِدٌ ... لَكِنَّ هَذِهِ كُلَّهَا يَعْمَلُهَا الرُّوحُ الْوَاحِدُ بِعَيْنِهِ قَاسِماً لِكُلِّ وَاحِدٍ بِمُفْرَدِهِ كَمَا يَشَاءُ» (كورنثوس الأولى ١٢: ٤، ١١).

يساعدنا الروح في أوقات الضعف ويشفع من أجلنا («وَكَذَلِكَ الرُّوحُ أَيْضاً يُعِينُ ضَعَفَاتِنَا لأَنَّنَا لَسْنَا نَعْلَمُ مَا نُصَلِّي لأَجْلِهِ كَمَا يَنْبَغِي. وَلَكِنَّ الرُّوحَ نَفْسَهُ يَشْفَعُ فِينَا بِأَنَّاتٍ لاَ يُنْطَقُ بِهَا. وَلَكِنَّ الَّذِي يَفْحَصُ الْقُلُوبَ يَعْلَمُ مَا هُوَ اهْتِمَامُ الرُّوحِ لأَنَّهُ بِحَسَبِ مَشِيئَةِ اللهِ يَشْفَعُ فِي الْقِدِّيسِينَ» (رومية ٨: ٢٦-٢٧).

يطور الروح فينا ثمر برّ الله: محبة وفرح وسلام وطول أناة ولطف وصلاح وإيمان ووداعة وتعفف (غلاطية ٥: ٢٢-٢٣).

أكثر الطرق المباشرة لرؤية نفسك كفؤاً في الروح القدس هي أن تفهم المصادر المتوفرة نتيجة لحضور الروح الساكن في حياتك. حدث شيء رائع وإعجازي لأتباع المسيح في يوم الخمسين، عشرة أيام بعد صعود المسيح إلى السموات. لقد امتلئوا بالروح القدس وانطلقوا قدماً بقوته لتغيير مسار التاريخ. نفس الروح القدس الذي منح القوة للتلاميذ كي يعيشوا حياة مقدسة ولكي يصبحوا شاهدين فعّالين قبل حوالي ألفي عام ما يزال راغباً في أن يعمل فينا الآن. حقيقة أن يسوع المسيح يعيش فينا بقوة روحه ويعبر للعالم عن محبته لنا في واحدة من أكثر حقائق كلمة الله أهميةً.

أن نعيش الحياة المسيحية حسب المعايير الكتابية بأنفسنا فقط هو أمر مستحيل، ومحاولة عمل ذلك- وسوف نفشل، لأن ذلك هو أمر حتمي -

فإن ذلك سوف يقيد ويظلل إحساسنا بالكفاءة كأبناء لله. في الحقيقة، إن المسيحيين الذي يحاولون بقوتهم الخاصة بهم أن يكونوا قدر الإمكان مثل المسيح قد يكونوا يمتلكون إحساساً بالكفاءة والفائدة أضعف بكثير من غير المسيحيين الذين يعيشون حسب المعايير البشرية. المعايير الكتابية عالية المقام ونبيلة جداً بالنسبة لنا حتى نستطيع تحقيقها بأنفسنا فقط. شخص واحد فقط بإمكانه النجاح في المحافظة عليها: ألا وهو يسوع المسيح. الهدف من الحياة المسيحية هو أن نحياها فقط بقوة الروح القدس. بدون وجود الروح القدس، سيكون لدينا كل سبب للإحساس بأننا غير أكفاء لخدمته.

أشار يسوع إلى الدور الرئيسي الذي سوف يلعبه الروح القدس في كفاءتنا عندما قال لتلاميذه، **" لَكِنَّكُمْ سَتَنَالُونَ قُوَّةً مَتَى حَلَّ الرُّوحُ الْقُدُسُ عَلَيْكُمْ وَتَكُونُونَ لِي شُهُوداً فِي أُورُشَلِيمَ وَفِي كُلِّ الْيَهُودِيَّةِ وَالسَّامِرَةِ وَإِلَى أَقْصَى الأَرْضِ" (أعمال ١: ٨)**. بدون الروح القدس، فإنه من المستحيل ليس أن نصبح مسيحيين فقط ولكن من المستحيل أيضاً أنتاج ثمر الروح وتقديم الآخرين للمسيح. كان يسوع يشير إلى الروح وإلى نفسه كذلك حينما قال بكل صراحة ووضوح، **" لأَنَّكُمْ بِدُونِي لاَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَفْعَلُوا شَيْئاً" (يوحنا ١٥: ٥)**.

منذ اللحظة التي نقبل فيها المسيح ويسكن فينا الروح القدس، فكل شيء نحتاجه كي نكون أكفاء وفعّالين من أجل المسيح يصبح متوفراً لنا. يكمن المفتاح الرئيسي بالسماح للروح القدس أن يملئنا يومياً حتى نتمكن من انجاز وتحقيق كل ما وضعه تحت تصرفنا. يوصل بولس لنا هذه الوصية قائلاً، « امْتَلِئُوا بِالرُّوحِ» (أفسس ٥: ١٨). بالترجمة الحرفية للآية فإنها تصبح، «حافظوا على السماح لأنفسكم بالامتلاء بالروح.» بالنسبة للمسيحي، فإن الكفاءة اليومية تتطلب الامتلاء اليومي بالروح.

أن تمتلئ بالروح يومياً لا يعني انك تحتاج للمزيد من مجيء الروح القدس إلى حياتك من الخارج. بل بالحري، إنه يعني السماح للروح القدس الساكن فيك مسبقاً أن يُشغل المزيد من حياتك. لهذا السبب أفضل استخدام كلمات مثل اُخترقت أو وُكلت - فُوضت من قبل الروح القدس. يعني الامتلاء اليومي بِالروح التفويض والقدرة على العيش من أجل المسيح والشهادة له.

لقد تمّ توكيلنا مع الروح بالإيمان في اللّه كليّ القوة الذي يحبنا. بما أنه يأمرنا بالامتلاء بالروح، فإنه سوف يملئنا عندما نفتح أنفسنا له. يمكنك الاعتماد على ذلك. يشبه الوضع سحب نقود من البنك عندما يكون لديك الكثير من النقود في رصيدك. أنت لا تقترب من أمين صندوق البنك مرتعباً وخائفاً من أن يتم رفض طلب سحبك للنقود. أنت لست مضطراً للتوسل لأمين الصندوق أن يعطيك المال. بل بالحري، أنت تذهب إلى البنك «بالإيمان» وتقدم الشيك لأمين الصندوق وتستلم النقود التي هي لك من الأساس. بطريقة مشابهة، قبول الروح القدس على أسس يومية هو بكل بساطة مسألة الحصول على ما هو مخصص لك وملكاً لك مسبقاً.

خطة الله كي تكون مُوكلاً (ممتلئاً)

بينما أنت تقوم بسحب نقودك من البنك بالإيمان، يجب عليك أن تدرك وتفهم أنه يوجد إجراءات محددة للقيام بذلك السحب. على سبيل المثال، لا يمكنك أن تقف عند زاوية الشارع خارج البنك وتصرخ قائلاً، «أريد نقودي!» وتتوقع أن تتم خدمتك. يجب عليك أولاً تعبئة ورقة السحب وتقديمها لأمين الصندوق. بطريقة مشابهة، يوجد عدة خطوات حيوية وهامة للاستعداد للاختبار اليومي كي تُوكل أو تمتلئ من قبل الروح القدس.

١. يجب أن تكون جائعاً وعطشاناً للّٰه ولديك الرغبة للامتلاء بروحه. قال يسوع، **" طُوبَى لِلْجِيَاعِ وَالْعِطَاشِ إِلَى الْبِرِّ لأَنَّهُمْ يُشْبَعُونَ" (متى ٥: ٦)**. أنت تكون «جائعاً» للّٰه عندما تدرك عجزك بدونه. إذا لم تكن جائعاً، فأنت ممتلئ مسبقاً بكفاءتك الذاتية بدلاً من كفاءة الروح. وإذا كنت ممتلئاً مسبقاً، فإنه لا يوجد لديك الرغبة لقبول الروح.

٢. أخضع اتجاه والسيطرة على حياتك إلى المسيح. كتب بولس قائلاً، **فَأَطْلُبُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ بِرَأْفَةِ اللّٰهِ أَنْ تُقَدِّمُوا أَجْسَادَكُمْ ذَبِيحَةً حَيَّةً مُقَدَّسَةً مَرْضِيَّةً عِنْدَ اللّٰهِ عِبَادَتَكُمُ الْعَقْلِيَّةَ" (رومية ١٢: ١)**. حتى يستطيع اللّٰه تجهيزك بكفاءته، يجب عليك أولاً التخلي عن محاولاتك الخاصة لإدارة حياتك.

٣. اعترف بكل خطية يذكرك بها الروح القدس واقبل الطهارة والغفران الذي وعدك بهما اللّٰه. يذكرنا الوعد الرائع في آية يوحنا الأولى ١: ٩: **" إِنِ اعْتَرَفْنَا بِخَطَايَانَا فَهُوَ أَمِينٌ وَعَادِلٌ، حَتَّى يَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَيُطَهِّرَنَا مِنْ كُلِّ إِثْمٍ."** الامتلاء اليومي بالروح القدس يتطلب الاعتراف والطهارة اليومية.

الامتلاء بالروح القدس ليس اختيارياً بالنسبة للمؤمنين؛ أنه أمر. يأمرنا اللّٰه بالامتلاء بروحه، «امْتَلِئُوا بِالرُّوحِ» (أفسس ٥: ١٨). ومع ذلك، فإن اللّٰه لا يصدر أمراً بدون تزويدنا أيضاً بالطريقة لتحقيقه وإطاعة أمره. يعدنا اللّٰه قائلاً، **" وَهذِهِ هِيَ الثِّقَةُ الَّتِي لَنَا عِنْدَهُ: أَنَّهُ إِنْ طَلَبْنَا شَيْئاً حَسَبَ مَشِيئَتِهِ يَسْمَعُ لَنَا. وَإِنْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّهُ مَهْمَا طَلَبْنَا يَسْمَعُ لَنَا، نَعْلَمُ أَنَّ لَنَا الطِّلْبَاتِ الَّتِي طَلَبْنَاهَا مِنْهُ" (يوحنا الأولى ٥: ١٤-١٥)**. كل ما يجب علينا فعله هو الطلب من اللّٰه أن يملئنا، وبما أننا نعرف أنه يسمعنا، فإنه بإمكاننا أن نكون واثقين من أنه سوف يملئنا.

عندما تطلب الامتلاء بالروح القدس، فأنت لا تطلب من الروح القدس أن يأتي إلى حياتك. إنه موجود هناك مسبقاً. يسكن الروح القدس في المسيحيين لمرة واحدة فقط وعلى نحو نهائي بنفس الوقت الذي يأتي فيه المسيح إلى حياتنا بواسطة روحه. لكن يجب علينا الامتلاء باستمرار. نحن نطلب من الروح القدس الساكن فينا أن يملأ ويسيطر على كل جزء من حياتنا وكل زاوية وشق غير مرئي. عندما نفعل ذلك، فأننا ننزع السدادة عن كفاءته. يتم التخلص من الإحباط وعدم جدوى المحاولات الذاتية عندما نعيش بقوة الروح القدس. ينقل لنا الروح القدس القدرة على أن نحيا حياة مقدسة وخدمة اللّٰه بفعَّالية بالقدرات التي منحنا إياها.

هل ترغب في حياة ممتلئة بالروح وكفاءته؟ كل ما تحتاجه هو أن تطلب من الآب أن يفعل ذلك. اعترف بأنك كنت مسيطراً على حياتك وأنك أخطأت أمام اللّٰه الحاكم الشرعي على حياتك. اشكره على غفرانه لخطاياك بواسطة موت المسيح على الصليب من أجلك. أدعُ المسيح واطلب منه أن يسيطر على حياتك ومن ثمّ اطلب من الروح القدس أن يملأك كي تستطيع تمجيد المسيح في كل ما تفعله. اشكره بعد ذلك على عمل ما طلبت منه. أنت لن تكون وقحاً ومتجرئاً عندما تشكر اللّٰه حتى قبل اختبارك الفعلي لنتيجة طلباتك. هذا عمل الإيمان من جانبنا على أنه يحافظ على وعوده بمنحنا ما نطلبه منه حسب إرادته. وبما أنه يأمرنا بالامتلاء بالروح القدس، فإننا نعرف أن هذه هي مشيئته التي نطلبها ونتلقاها منه. لذلك، فإنه من المناسب تماماً أن نشكره من أجل كل ما سوف يفعله من أجلنا.

كتب بولس الرسول الممتلئ بهجة وحبوراً بإحساس الكفاءة الذي يتمتع به بواسطة تفويض الروح القدس قائلاً، " **أَسْتَطِيعُ كُلَّ شَيْءٍ فِي**

الْمَسِيحِ الَّذِي يُقَوِّينِي» (فيلبي ٤: ١٣). هذا التشديد ليس على ماذا يمكن أن يفعلَ بولس ولكن التشديد على ماذا يستطيع المسيح - مصدر قوته - أن يفعل. قام بولس بعمل أشياء عظيمة من أجل اللّٰه لأنه كان يتوقع أشياء عظيمة من اللّٰه. وباستطاعتنا نحن فعل ذلك أيضاً لأنه. **"لَيْسَ أَنَّنَا كُفَاةٌ مِنْ أَنْفُسِنَا أَنْ نَفْتَكِرَ شَيْئاً كَأَنَّهُ مِنْ أَنْفُسِنَا، بَلْ كِفَايَتُنَا مِنَ اللّٰهِ»** (كورنثوس الثانية ٣: ٥).

يمكن لله تحويل عدم كفاءتنا إلى كفاءة

كان كارل مديرا ماهراً وناجحاً جداً لاستثمار الحسابات في مؤسسة مالية رئيسية. أفراد مجلس إدارة الكنيسة التي كان كارل يذهب إليها تعرفوا عليه على نحو أفضل، وقالوا لبعضهم البعض، «سيكون هذا الرجل إضافة عظيمة للجنة موازنة كنيستنا. إنه يمتلك الثقافة والخبرة الشاملة في المحاسبة والتمويل. إنه يعرف كيف يقوم بإدارة الأموال بطريقة أكثر نجاحاً. إنه سيكون طبيعياً.» وبعدما تمت دعوة كارل ليخدم في اللجنة، فإنه سرعان ما وافق متلهفاً للمساهمة في خدمة كنيسته.

كانت الأشهر الأولى القليلة في اللجنة بمثابة الكارثة بالنسبة لكارل. القوة الظاهرية التي جلبها معه من أجل المهمة تحولت إلى ضعف فاضح. معتمداً على تدريبه المالي، فإنه كان يقيّم كل مصاريف الكنيسة حسب «النتيجة النهائية.» إذا لم يُظهر برنامج كنسي محدد «ربحاً» في النمو الرقمي أو المالي، فإنه كان يجادل ويطالب بالتخلص منه. اعتبر كارل أن الخدمات التي لا تظهر عوائد ربحية شديدة الوضوح - مثل مشاريع الإرساليات التي لا تفيد الكنيسة بطريقة مباشرة - هي مضيعة للوقت والمال. سرعان ما أتضح لقادة الكنيسة أن كارل كان يفتقد الموهبة الروحية للإيمان المطلوب لاستثمار العشور والتقديمات للكنيسة. بعد مناقشة مع راعيه الحكيم والمحب، استقال كارل من اللجنة.

كان بإمكان كارل النظر إلى تجربته والاستنتاج بأنه عديم القيمة، وأنه كان غير قادر على الاهتمام بمجال خبرته واستخدامه في خدمة الله. لكن راعي كارل شجعه على التفكير بأنه وعلى الرغم من أن خبرته المالية لم تنجح في لجنة الموازنة، فإنه باستطاعة الله أن يبين له كيف يمكنه أن يخدم.

كارل لم يستسلم. بينما كان يستمر بالنمو في إيمانه وإخضاع السيطرة على حياته إلى الروح القدس، أحس كارل أنه قد يتمكن من العمل في خدمة الشبيبة الأكبر سناً كمتطوع. إنه لم يتعامل مع الشبيبة أبداً من قبل وكان غير متدرب على القيام بخدمة الشبيبة. لكن الله ثقّل على قلبه أن يخدم مجموعة شبيبة من بيوت غير مسيحية. لقد تفاجأ عندما عرف أن زوجته، بريندا، شعرت بنفس الثقل على قلبها.

بعد الكثير من الصلوات، تقابل كل من كارل وبريندا مع راعي الشبيبة، وقالا له، «نحن لا نعرف أي شيء عن العمل مع الشبيبة، ولكننا نحب هؤلاء الأطفال ونحن مستعدين للتعلم. إذا كان بإمكانك تعليمنا، فنحن جاهزين.» دعاهما راعي الشبيبة لينضما إلى فريق الخدمة كمتطوعين.

أحب الزوجان العمل بخدمة الشبيبة كما يحب الطائر الطيران. لقد فتحا بيتهما لطلاب المدرسة الثانوية الذين يأخذون دروساً في الكتاب المقدس حيث كانوا يلتقون هناك «لمجرد تبادل الأحاديث.» كان الشباب يتجمعون في بيت كارل وبريندا لأنهم أحسوا بالمحبة والقبول الصادقين. كان كارل وبريندا يضحكان ويلهوان مع الشباب ويبكيان مع الذين كانوا يتألمون. استمرت مجموعة شبيبة المدرسة الثانوية بالنمو لأن رغبة كارل وبريندا في السماح لروح الله بدعوتهم وتفويضهم في خدمة كان كليهما «غير ماهرين» فيها.

عندما تنظر إلى الناس الذين يستخدمهم اللّه، فكثيراً ما سوف تجد أنه حتى الأشخاص من ذوي الاحتياجات الخاصة، إذا ما أخضعوا وسلموا حياتهم للروح القدس، فأن اللّه يجهزهم للخدمة. قد لا تكون خدمتهم في مجال خبراتهم دائماً، كما كان الحال مع كارل.

الله غير مقيد وغير محدود بقيودك ولا بحدودك

رؤية نفسك كما يراك اللّه لا تعني أنك بدون قيود أو ضعفات. حتى الأشخاص الذين هم تحت سيطرة الروح القدس يكونون غير كاملين ومرشحين للنمو. بل بالحري، رؤية نفسك كما يراك اللّه يعني رؤية نفسك كفؤاً على الرغم من قيودك أو ضعفاتك. اللّه غير مقيد وغير محدود بقيودك ولا بحدودك. أن قضيته لا تضعف بسبب ضعفاتك. بل ما هو أكثر من ذلك، فإن اللّه لا يتأثر بقدراتك أبداً، كما لو أن عمله سوف سيُشل بدونك. بغض النظر عمن تكون وإلى أين وصلت في نموك المسيحي، فإن اللّه سوف يستخدمك إذا سمحت لروحه أن يملأك يومياً. بينما أنت تسير بالحياة الممتلئة بالروح، **فأنت ستكون وَاثِقاً بِهَذَا عَيْنِهِ أَنَّ الَّذِي ابْتَدَأَ فِيكُمْ عَمَلاً صَالِحاً يُكَمِّلُ إِلَى يَوْمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ» (فيلبي ١ : ٦).**

الحصول على صورة أكثر وضوحاً عن هويتك

جزء من فهم من أنت يشمل فهم من هو اللّه وأن تختبر قلبه تجاهك. تأمل بعمق في الحقائق التالية عن اللّه. اصرف بعض الوقت لكتابة إجاباتك على هذه الأسئلة في دفتر ملاحظات أو مفكرة.

١.	الله موجود في كل مكان. نقرأ في مزمور ١٣٩: ٧-١٠: « أَيْنَ أَذْهَبُ مِنْ رُوحِكَ وَمِنْ وَجْهِكَ أَيْنَ أَهْرُبُ؟ إِنْ صَعِدْتُ إِلَى السَّمَاوَاتِ فَأَنْتَ هُنَاكَ وَإِنْ فَرَشْتُ فِي الْهَاوِيَةِ فَهَا أَنْتَ. إِنْ أَخَذْتُ جَنَاحَيِ الصُّبْحِ وَسَكَنْتُ فِي أَقَاصِي الْبَحْرِ فَهُنَاكَ أَيْضاً تَهْدِينِي يَدُكَ وَتُمْسِكُنِي يَمِينُكَ.»

ماذا يعني بالنسبة لك أن الله موجود في كل مكان تذهب إليه، حيث يكون الله موجوداً هناك ليقودك ويقويك؟

هل يمكنك أن تشعر بمحبة الله لك بتعهده أن يكون معك حيث تكون؟

٢.	الله كليَّ القوة. نقرأ في أيوب ٤٢: ٢: « قَدْ عَلِمْتُ أَنَّكَ تَسْتَطِيعُ كُلَّ شَيْءٍ وَلاَ يَعْسُرُ عَلَيْكَ أَمْرٌ.»

ماذا يعني بالنسبة لك أن الله يستطيع عمل كل شيء؟

ماذا يعني بالنسبة لك أن الإله كليَّ القوة قد منحك كل شيء تحتاجه لتكون عضواً كفؤاً في عائلته؟

جزء ثانٍ من فهم من أنت يتضمن سماع ما يقوله الله عمن تكون. استمع لصوت الله يتحدث إليك:

١.	يقول الله، «لقد تم اختيارك لتكون مثمراً.» نقرأ في يوحنا ١٥: ١٦: « لَيْسَ أَنْتُمُ اخْتَرْتُمُونِي بَلْ أَنَا اخْتَرْتُكُمْ وَأَقَمْتُكُمْ لِتَذْهَبُوا وَتَأْتُوا بِثَمَرٍ وَيَدُومَ ثَمَرُكُمْ.»

خذ هذه الآية واجعلها شخصية بالنسبة لك: «لقد اختارني الله كي أكون مثمراً.»

ماذا يعني بالنسبة لك أن الله قد اختارك وجهزك كي تكون شخصاً كفؤاً؟

هل تشعر بقلب الله تجاهك بينما هو يثق بك في عمله؟

٢. يقول اللّٰه، «أنت مجهزٌ.» نقرأ في كورنثوس الأولى ١: ٧: **"حَتَّى إِنَّكُمْ لَسْتُمْ نَاقِصِينَ فِي مَوْهِبَةٍ مَا وَأَنْتُمْ مُتَوَقِّعُونَ اسْتِعْلاَنَ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ."**

خذ هذه الآية واجعلها شخصية بالنسبة لك: «زودني اللّٰه بكل ما احتاج إليه لخدمته.»

ماذا يعني بالنسبة لك أن اللّٰه يقدرك بما فيه الكفاية ليجهزك لخدمته؟

هل تشعر بقلب اللّٰه تجاهك بينما هو يمنحك كل ما تحتاجه كي تكون كفؤاً؟

اصرف بعض الوقت لتشكر اللّٰه على ما أعلنه عن نفسه لك. استمع له وهو يتكلم بهذه الكلمات لقلبك خلال الأيام والأسابيع القادمة. دع هذه الحقائق من الكتاب المقدس تشق طريقها بعمق في قلبك وفي هويتك.

رؤية نفسك كما يراك الله

الجزء الخامس

اكتساب هوية جديدة

الفصل الثالث عشر

السعي وراء بيئة متحولة

يتمسك الكثير من المسيحيين الذين تكلمت معهم بعقيدة كمال اللّه بأفضل طريقة يعرفونها. لكن وبعد مرور الكثير من السنوات فأنهم ما زالوا بكل حزن وتعاسة لا يعرفون من هم بطريقة غير دقيقة أمام المسيح. من الممكن أن تكون أنت أحد هؤلاء المسيحيين. ربما يكون اللّه قد استخدمك بطرق رائعة في الماضي. من المرجح أن الكثير من الناس احترموك ووقروك كمثال أو خلاصة للإيمان والنمو الروحي. لكنك ما زلت ترى نفسك كعينة ضعيفة من خليقة اللّه. أنت ما زلت تواجه صعوبات في تصديق أن اللّه أو أي أحد آخر يعتبرك جدير بالحب وأنك ذو قيمة وكفاءة.

لقد ناقشنا مسبقاً من الكتاب المقدس كيف يراك اللّه وأنه لديك كل الحق في أن ترى نفسك جديراً بالحب وأنك ذو قيمة وكفاءة. لكن كيف يحدث ذلك؟ ما نوع البيئة التي تشجع الناس على رؤية أنفسهم بطريقة مختلفة؟

تكتسب الإحساس الجديد بالهوية بنفس الطريقة التي اكتسبت فيها إحساسك الحالي بالهوية. بينما أنت تنمو فأنت ترى نفسك بأنك غير جدير بالحب أو عديم القيمة أو غير كفؤ لأن بيئتك - وخصوصاً الأشخاص المهمون من حولك - يوصلون تلك الرسالة إليك. حتى تكون قادراً على تحويل إحساسك بالهوية، فإنه يتوجب عليك وضع نفسك في بيئة تعج فيها وتكثر حقيقة من أنت فعلياً. يجب أن تسمح لنفسك أن تتأثر إيجابياً بالأشخاص الذين يرون أنفسهم ويرونك أنت بواسطة عيون اللّه. عندما تتعرض إلى محيط تخترقه الحقيقة عمن تكون، فإن صورتك الداخلية الخاطئة سوف تتحول.

ألقينا نظرة في الفصل التاسع على قصة إقامة يسوع لعازر من بين الأموات. عندما خرج لعازر من القبر، كان ما يزال ملفوفاً بالكفن. يسوع، الذي اختار استخدام أشخاص آخرين لتحقيق هدفه من أجل لعازر، طلب من أصدقاء وأفراد عائلة لعازر أن يحلوا عنه الكفن الذي كان يقيده. بطريقة مشابهة جداً، يختار الله مؤمنين آخرين لمساعدتك على التحرر من قيود وأربطة الإحساس غير الدقيق لهويتك. أنه يستخدم مسيحيين آخرين ليكونوا وكلاء للتحويل.

حتى تكون قادراً على تحويل إحساسك بالهوية، فإنه يتوجب عليك وضع نفسك في بيئة تعج فيها وتكثر حقيقة من أنت فعلياً

بيئة متشبعة بالحقيقة

١. البيئة المتحولة سوف تتضمن أشخاص يشكلون النموذج عن حقيقة من أنت في المسيح. أنت بحاجة لقضاء وقت نوعيّ وكميّ مع الأشخاص الذين يرون بوضوح أكثر انك جدير بالحب وذا قيمة ومفيد لله وللآخرين. هؤلاء الأشخاص لن يكونوا بالضرورة من أكثر الناس انشغالاً بأعمال من أجل الله. كثيراً ما يكون «مدمنو العمل» المسيحيون مشغولين زيادة عن الحد لأنهم يحاولون كسب استحسان الله بدلاً من السير بثقة في هذا الاستحسان. دور النماذج الصالحة عن الإحساس الحقيقي بالهوية يشع نوراً من العلاقة الحميمة مع الله والتمتع بخدمته بكل صدق. قد تكون هذه النماذج البشرية أو قد لا تكون موهوبة بالمهارات الاجتماعية، ولكنها تشعر بالارتياح مع الناس لأنها واثقة في هويتها. الكثير من هؤلاء الناس يشاركون في تلمذة أو الإشراف ومراقبة مؤمنين آخرين سواء بشكل رسمي أو بطريقة اعتيادية.

٢. البيئة المتحولة هي البيئة التي يتم فيها تعلم الحقيقة عن هويتك بواسطة الكتاب المقدس. من الممكن أنه قد طُبع في ذهنك وأنت طفل فكرة أنك عديم القيمة من قبل الأهل أو المعلمين أو أشخاص بالغين مهمين آخرين. تلك المعلومات المتعلقة بك هي معلومات غير دقيقة وغير صحيحة. أنت بحاجة لأن تتعلم الحقيقة الكتابية المتعلقة بكيفية رؤية اللّٰه لك. أنت بحاجة للتواجد مع معلمي الكتاب المقدس وقادة حلقات دراسة الكتاب المقدس ومسيحيين ناضجين آخرين الذين يعلنون خلال دروسهم ومحادثاتهم قبولك الكتابي وقيمتك في عيون اللّٰه.

٣. تقدم البيئة المتحولة سياقاً للعلاقات المحبة والحميمة. عندما يمثل المؤمنون نموذج الحقيقة، فأنك سوف تلاحظ أن الناس يعتبرون بعضهم البعض أنهم جديرين بالحب وذوي قيمة وكفاءة. عندما يعلم المؤمنون الحقيقة، فأنهم سوف يتعلمون من الكتاب المقدس أن اللّٰه يراهم جديرين بالحب وذوي قيمة وكفاءة. لكن عندما ترتبط بأشخاص يفهمون هويتهم الحقيقية، فأنت سوف تختبر الحقيقة شخصياً. في هذا السياق من العلاقات المسيحية المحبة والمهتمة يعبر الناس عن محبتهم لبعضهم البعض ويقدرون بعضهم البعض ويخدمون بعضهم البعض بطرق عملية.

تأملوا في هذا المشهد كمثال: قبل مغادرتك عملك عند انتهاء الدوام، يطلبك المدير ويخبرك أنه تمّ تجاوز الترقية وزيادة الراتب التي كنت تتوقعها. فقد تمّ إعطاء الأولوية لموظف حديث التعيين ومتدرباً تدريباً متقدماً أفضل منك. عند عودتك للبيت، فأنت تشعر بيأس وخيبة أمل شديدة. تغريك المشاعر القديمة بعدم الكفاءة والفشل أن تتغيب عن مجموعتك لدراسة الكتاب المقدس التي تجتمع في هذا المساء. لكن بطريقة ما تعرف أنه يتوجب عليك الذهاب حتى ولو أنك تفضل الزحف إلى حفرة ما وتدفن نفسك في الشعور الذاتي بخيبة الأمل.

عندما تخبر زملائك الصالحين في مجموعة دراسة الكتاب المقدس عن سوء حظك، فإنهم يحيطونك بالعزاء والمواساة والرعاية. أنت تعرف أن حبهم هو حب أصلي وحقيقي لأنهم كانوا قد دعموك وشجعوك في الماضي. وأنت فعلت نفس الشيء مع الكثيرين منهم خلال أوقاتهم الصعبة. إنهم يذكرونك أنك ما زلت ماهراً ومفيداً، ليس للشركة التي تعمل فيها فقط، ولكن للمجموعة أيضاً.

أثناء دراسة الكتاب المقدس، يشير أحد أفراد المجموعة إلى الفقرة الكتابية قيد الدراسة إلى أنها تذكرنا أن الله يرانا أعضاء مفيدين في جسده. أنه يذكر المجموعة أنك أمضيت عطلة نهاية أسبوع مؤخراً وأنت تساعد عائلته أثناء انتقالهم إلى شقة جديدة. أنه يؤكد على موهبتك الروحية للخدمة. تترك المجموعة وأنت تعرف أن أفراد المجموعة يحبونك ويقدرونك ويحتاجون إليك. تساعد العلاقات المحبة والدافئة هنا على رؤية نفسك شخصاً ذا قيمة ومفيد لله وللآخرين. أنت سوف تسير دائماً بصورة أفضل عمن تكون.

إنه أمر حيوي وهام أن تشارك في علاقات متواصلة ومحبة وداعمة تبادلية مع مؤمنين آخرين

هذا هو نوع البيئة الذي يمكنه تحويل الصورة الداخلية المشوهة والمنحرفة التي حملتها معك من مرحلة طفولتك. إنه أمر حيوي وهام أن تشارك في علاقات متواصلة ومحبة وداعمة متبادلة مع مؤمنين آخرين. قد يكون هؤلاء المؤمنين من حصة مدرسة الأحد للبالغين أو من مجموعة دراسة الكتاب المقدس في الحي الذي تعيش فيه أو مجموعة بيتية من

كنيستك. يجب أن تكون المجموعة صغيرة جداً لدرجة أنك تستطيع التعرف على كل عضو من أعضاء المجموعة على المستوى الحميمي. مجرد الجلوس على مقعد في الكنيسة لمدة ساعة واحدة في صباح أيام الآحاد لا يسمح ببناء الكثير من العلاقات. تواجد (أزرع نفسك) في مجموعة صغيرة حيث يعزز التفاعل المحب والمتواصل ويقوي من حقيقة كيف يراك الله.

برنامج الله للتحول

يمكن رؤية البرنامج الذي صممه الله لمساعدتنا على تحويل إحساسنا بالهوية في وصف الكنيسة الأولى:

كَانُوا يُواظِبُونَ عَلَى تَعْلِيمِ الرُّسُلِ وَالشَّرِكَةِ وَكَسْرِ الْخُبْزِ وَالصَّلَوَاتِ. وَصَارَ خَوْفٌ فِي كُلِّ نَفْسٍ. وَكَانَتْ عَجَائِبُ وَآيَاتٌ كَثِيرَةٌ تُجْرَى عَلَى أَيْدِي الرُّسُلِ. وَجَمِيعُ الَّذِينَ آمَنُوا كَانُوا مَعاً وَكَانَ عِنْدَهُمْ كُلُّ شَيْءٍ مُشْتَرَكاً. وَالأَمْلاَكُ وَالْمُقْتَنَيَاتُ كَانُوا يَبِيعُونَهَا وَيَقْسِمُونَهَا بَيْنَ الْجَمِيعِ كَمَا يَكُونُ لِكُلِّ وَاحِدٍ احْتِيَاجٌ. وَكَانُوا كُلَّ يَوْمٍ يُواظِبُونَ فِي الْهَيْكَلِ بِنَفْسٍ وَاحِدَةٍ. وَإِذْ هُمْ يَكْسِرُونَ الْخُبْزَ فِي الْبُيُوتِ كَانُوا يَتَنَاوَلُونَ الطَّعَامَ بِابْتِهَاجٍ وَبَسَاطَةِ قَلْبٍ مُسَبِّحِينَ اللهَ وَلَهُمْ نِعْمَةٌ لَدَى جَمِيعِ الشَّعْبِ. وَكَانَ الرَّبُّ كُلَّ يَوْمٍ يَضُمُّ إِلَى الْكَنِيسَةِ الَّذِينَ يَخْلُصُونَ» (أعمال ٢: ٤٢-٤٧).

يبدو أن التشديد هنا وفي كل العهد الجديد على ثلاث تجارب يجب أن يخوضها كل مؤمن. لاحظ أن هذه العناصر الرئيسية الثلاث تتوافق وتتطابق مع البيئة ذات الأبعاد الثلاثة التي ذكرناه لتونا.

١. يجب على كل مؤمن أن يشارك في تجربة تعليم حيوية. كانت كنيسة القرن الأول مكرسة ومخصصة كل وقتها لتعليم كلمة الله. وهكذا يجب أن نفعل نحن. نحن ندرس الكتاب المقدس على نحو رئيسي ليس كي نتعلم ماذا نفعل كمسيحيين فقط، ولكن كيف نكون مسيحيين أيضاً. عندما نفهم من الكتاب المقدس من نحن وماذا أصبحنا، فإن عمل الإيمان من جانبنا سيهتم بنفسه بطريقة عملية.

٢. يجب على كل مؤمن أن يشارك في تجربة علاقات حيوية. كان مؤمنوا أورشليم مكرسين الكثير من أوقاتهم أيضاً للشركة المقدسة - أن يكونوا معاً ويصلوا معاً ويأكلوا معاً - بينما كان عليهم دراسة الكلمة. اختبروا بهذه الطريقة الكلمة يوماً بيوم. بهذه الطريقة أيضاً تعلموا أن يعاملوا بعضهم البعض كأعضاء جديرين بالحب وذوي قيمة وكفاءة في عائلة الله.

٣. يجب على كل مؤمن أن يشارك في علاقة شهادة حيوية. نحن نلاحظ من المثال الإيجابي للمؤمنين الآخرين ما معنى أن تكون محبوباً ومُقدراً من الله. لكن الناس غير المسيحيين بحاجة لأن يعرفوا أن الله يحبهم ويُقدرهم أيضاً. حسب ما يقوله العهد الجديد، فإن الشهادة تتضمن عيش حقيقة من نحن في المسيح ومن ثمَّ التكلم عن ذلك كلما أمكن ذلك. بهذه الطريقة كان الناس ينضمون إلى الكنيسة الأولى على أسس يومية. أن نجعل من أنفسنا نماذج عن أولاد الله المحبوبين وذوي القيمة والكفاءة هي الوسيلة الرئيسية للإعلان عن بشارة الخلاص.

تزودنا آيات رسالة تسالونيكي الأولى ٢: ١-١٢ بمثال ممتاز عن كيف استطاع بولس جعل هذه العملية تنجح بين المؤمنين. " **فَإِنَّكُمْ، أَيُّهَا الإِخْوَةُ، تَعْلَمُونَ أَنَّ قُدُومَنَا إِلَيْكُمْ لَمْ يَكُنْ بَاطِلاً. (٢)فَمَعَ أَنَّنَا كُنَّا قَدْ قَاسَيْنَا الأَلَمَ وَالإِهَانَةَ فِي مَدِينَةِ فِيلِبِّي، كَمَا تَعْلَمُونَ، فَقَدْ تَجَرَّأْنَا فِي إِلهِنَا أَنْ نُكَلِّمَكُمْ بِإِنْجِيلِ اللهِ مُجَاهِدِينَ فِي وَجْهِ الْمُعَارَضَةِ الشَّدِيدَةِ. (٣)فَمَا**

كَانَ وَعْظُنَا صَادِراً عَنْ ضَلاَلٍ وَلاَ عَنْ نَجَاسَةٍ، وَلاَ خَالَطَهُ مَكْرٌ. (٤)بَلْ إِنَّنَا نَتَكَلَّمُ كَمَنْ تَبَيَّنَ مِنِ اخْتِبَارِ اللهِ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَهْلٌ لأَنْ يُؤْتَمَنُوا عَلَى الإِنْجِيلِ، لِنُرْضِيَ لاَ النَّاسَ بَلِ اللهَ الَّذِي يَخْتَبِرُ قُلُوبَنَا. (٥)وَكَمَا تَعْلَمُونَ أَيْضاً، فَإِنَّنَا لَمْ نَسْتَعْمِلْ مَعَكُمْ قَطُّ كَلاَمَ التَّمَلُّقِ، وَلاَ اتَّخَذْنَا ذَرِيعَةً لِلطَّمَعِ إِنَّمَا اللهُ شَاهِدٌ (٦)وَلاَ سَعَيْنَا لِنَوَالِ مَجْدٍ مِنَ النَّاسِ، لاَ مِنْكُمْ وَلاَ مِنْ غَيْرِكُمْ، (٧)مَعَ أَنَّ لَنَا الْحَقَّ فِي أَنْ نَفْرِضَ أَنْفُسَنَا عَلَيْكُمْ بِاعْتِبَارِنَا رُسُلاً لِلْمَسِيحِ. وَلَكِنَّنَا كُنَّا مُتَرَفِّقِينَ بِكُمْ كَأُمٍّ مُرْضِعٍ تَحْنُو عَلَى أَوْلاَدِهَا. (٨) وَإِذْ كَانَ حُنُوُّنَا عَلَيْكُمْ شَدِيداً، ارْتَضَيْنَا أَنْ نُقَدِّمَ إِلَيْكُمْ لاَ إِنْجِيلَ اللهِ فَقَطْ بَلْ أَنْفُسَنَا أَيْضاً، لأَنَّكُمْ صِرْتُمْ مَحْبُوبِينَ لَدَيْنَا. (٩)فَأَنْتُمْ تَذْكُرُونَ، أَيُّهَا الإِخْوَةُ، جُهْدَنَا وَكَدَّنَا، إِذْ بَشَّرْنَاكُمْ بِإِنْجِيلِ اللهِ وَنَحْنُ نَشْتَغِلُ لَيْلاً وَنَهَاراً لِكَيْ لاَ نَكُونَ عِبْئاً ثَقِيلاً عَلَى أَحَدٍ مِنْكُمْ. (١٠)فَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ، وَيَشْهَدُ اللهُ ، كَيْفَ تَصَرَّفْنَا بَيْنَكُمْ، أَنْتُمُ الْمُؤْمِنِينَ، بِطَهَارَةٍ وَاسْتِقَامَةٍ وَبَرَاءَةٍ مِنَ اللَّوْمِ (١١)كَمَا أَنَّكُمْ تَعْلَمُونَ كَيْفَ عَامَلْنَاكُمْ مُعَامَلَةَ الأَبِ لأَوْلاَدِهِ، فَكُنَّا نَعِظُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ وَنُشَجِّعُكُمْ (١٢)وَنُحَرِّضُكُمْ أَنْ تَسْلُكُوا سُلُوكاً يَلِيقُ بِاللهِ، ذَاكَ الَّذِي يَدْعُوكُمْ إِلَى مَلَكُوتِهِ وَمَجْدِهِ.»

إنه يصف كيف عامل المؤمنين في تسالونيكي برفق وحنان الأم المرضعة (انظر الآية ٧). إنه يصف كيف نصحهم وشجعهم كالأب (انظر الآية ١١). أنه يشدد على علاقته معهم (انظر الآية ٨).

مشاركة بولس في عملية التحول واضحة في هذه الفقرة. فقد علَّم المهتدين الجدد الحقيقة عن كيف يراهم الله. لقد ارتبط معهم بمحبة وتفاهم. و شهد لهم أو قدم لهم نموذجٍ ما معنى أن يكون المرء تقياً بالإحساس الصحيح للهوية.

يدعو بولس قرّاء رسالته بأخوته مرتين في هذه الفقرة على الرغم من أنه، كرسول، كان بإمكانه إتخاذ موقف رسمي أكثر. هذا تمييز مهم

جداً يجب أن نتذكره عندما يتعلق الأمر بعلاقاتنا مع بعضنا البعض في جسد المسيح. كل واحد منا هو متعلم ومعلم في آن واحد. قد تعتقد في بعض الأحيان أنك الذي تُعلم دائماً فقط أو أنك المتلقي دائماً فقط. لكن علاقة الأخوة والأخوات في المسيح تسير دائماً في طريق ذي اتجاهين. في بيئة متحولة، فالجميع يعطي والجميع يتلقى، الجميع يخدم والجميع يتلقى الخدمة.

قد تقول، «ذلك يشبه عملية التلمذة.» نعم، إن تحويل إحساسنا بالهوية مغلف بعملية التلمذة. ومع ذلك، فإننا كثيراً ما ننظر لعملية التلمذة على أنها تعلم فقط كيف نعيش الحياة المسيحية. في معناها الأوسع، التلمذة هي عملية تعلم كيف تكون مسيحياً. أنت بحاجة أن تعرف من تكون قبل أن تستطيع أن تفهم كيف تعيش. أني آمل أنك مشارك في جسد مؤمنين الذين هدفهم من هذا النموذج والتعليم والارتباط بالحقيقة هو أن نصبح من نكون بقدر عمل ما يجب علينا عمله.

كلمة الله في عملية التحول

يعمل الروح القدس بواسطة جسد المؤمنين وبواسطة كلمته المقدسة لمساعدتنا على رؤية أنفسنا كما يرانا الله. كتب بطرس قائلاً، " **وَكَأَطْفَالٍ مَوْلُودِينَ الآنَ اشْتَهُوا اللَّبَنَ الْعَقْلِيَّ الْعَدِيمَ الْغِشِّ لِكَيْ تَنْمُوا بِهِ -إِنْ كُنْتُمْ قَدْ ذُقْتُمْ أَنَّ الرَّبَّ صَالِحٌ" (بطرس الأولى ٢: ٢-٣)**. كلمة اللّه هي وكيله الرئيسي في تجديد عقولنا للتفكير كما يفكر هو وأن نرى كما يرى هو " **فَإِنِّي أَقُولُ بِالنِّعْمَةِ الْمُعْطَاةِ لِي لِكُلِّ مَنْ هُوَ بَيْنَكُمْ: أَنْ لاَ يَرْتَئِيَ فَوْقَ مَا يَنْبَغِي أَنْ يَرْتَئِيَ بَلْ يَرْتَئِيَ إِلَى التَّعَقُّلِ كَمَا قَسَمَ اللهُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِقْدَاراً مِنَ الإِيمَانِ" (رومية ٢: ١٢)**.

لاحظ كيف أن خدمة الكلمة بواسطة الآخرين هي مصممة للوصول بنا إلى مرحلة النضج والتي تبدأ بالمفهوم الناضج عمن نكون:

وَهُوَ أَعْطَى الْبَعْضَ أَنْ يَكُونُوا رُسُلاً، وَالْبَعْضَ أَنْبِيَاءَ، وَالْبَعْضَ مُبَشِّرِينَ، وَالْبَعْضَ رُعَاةً وَمُعَلِّمِينَ، لأَجْلِ تَكْمِيلِ الْقِدِّيسِينَ، لِعَمَلِ الْخِدْمَةِ، لِبُنْيَانِ جَسَدِ الْمَسِيحِ، إِلَى أَنْ نَنْتَهِيَ جَمِيعُنَا إِلَى وَحْدَانِيَّةِ الإِيمَانِ وَمَعْرِفَةِ ابْنِ اللهِ. إِلَى إِنْسَانٍ كَامِلٍ. إِلَى قِيَاسِ قَامَةِ مِلْءِ الْمَسِيحِ.
كَيْ لاَ نَكُونَ فِي مَا بَعْدُ أَطْفَالاً مُضْطَرِبِينَ وَمَحْمُولِينَ بِكُلِّ رِيحِ تَعْلِيمٍ، بِحِيلَةِ النَّاسِ، بِمَكْرٍ إِلَى مَكِيدَةِ الضَّلاَلِ. بَلْ صَادِقِينَ فِي الْمَحَبَّةِ، نَنْمُو فِي كُلِّ شَيْءٍ إِلَى ذَاكَ الَّذِي هُوَ الرَّأْسُ: الْمَسِيحُ (أفسس ٤: ١١-١٥).

يكشف لنا الله بواسطة كلمته عن خصائصه وسماته المميزة وشخصيته. يجعل الله من هذه الصفات المميزة واقعية وملموسة بواسطة جسد المسيح، الكنيسة. يقول يسوع لتلاميذه، **«أَنَا مَعَكُمْ زَمَانًا هذِهِ مُدَّتُهُ وَلَمْ تَعْرِفْنِي يَا فِيلُبُّسُ! اَلَّذِي رَآنِي فَقَدْ رَأَى الآبَ، فَكَيْفَ تَقُولُ أَنْتَ أَرِنَا الآبَ؟ أَلَسْتَ تُؤْمِنُ أَنِّي أَنَا فِي الآبِ وَالآبَ فِيَّ؟ الْكَلاَمُ الَّذِي أُكَلِّمُكُمْ بِهِ لَسْتُ أَتَكَلَّمُ بِهِ مِنْ نَفْسِي، لكِنَّ الآبَ الْحَالَّ فِيَّ هُوَ يَعْمَلُ الأَعْمَالَ» (يوحنا ١٤: ٩-١٠)**. في شكله البشري، أظهر يسوع الله لنا بطريقة يمكننا فهمها. على سبيل المثال، يمكن رؤية محبة الله بكل وضوح في شفقة المسيح وحنانه من أجل تلاميذه ومن أجل المتألمين ومن أجل الضالين.

جعل يسوع السمات والخصائص المميزة لله أموراً واقعية. فقد ألبس شخصية الله جسداً وعظاماً. نحن نعرف كيف يبدو الله لأن يسوع جعله معروفاً بالنسبة لنا. نحن نعرف أننا جديرين بالحب وذوي قيمة ومفيدين لله لأن يسوع ارتبط مع الناس بهذه الطريقة. هل من الممكن أن تكون

غاية الكنيسة هي الإعلان عن سمات اللّٰه المميزة كما فعل يسوع؟ الجواب هو نعم! نحن كجسد المسيح يجب علينا أن نظهر سمات وخصائص اللّٰه الآب المميزة لبعضنا البعض وللعالم. كيف لنا أن نعرف على نحو أفضل أننا جديرون بالحب وذوي قيمة أكثر من أن نكون جديرين بالحب وذوي قيمة بالجسد من قبل شعبه؟ كيف لنا أن نرى أنفسنا على نحو أفضل أكثر مما يخبرنا المؤمنون المحبون ويظهرون لنا ما الذي يراه اللّٰه؟ إنه لأمر حسن أن نقرأ عن اللّٰه في الكتاب المقدس أو أن نسمع عنه في المواعظ. والأكثر واقعية هو عندما نختبر اللّٰه بواسطة أعضاء كنيسته.

تطبيق برنامج الله على احتياجاتك

تتحول صورتنا الداخلية عندما نخضع أنفسنا لبرنامج اللّٰه لإدراك وفهم هويتنا الحقيقية. فيما يلي بعض الخطوات لتطبيق برنامج اللّٰه على وضعك الشخصي الفردي.

١. حدد بدقة احتياجك الخاص. أي من الأعمدة الثلاثة لهويتك يبدو أنه بأمس الحاجة للتحول؟ على نحو خاص أكثر، أي من الأمور التالية تجد أنه أكثر صعوبة من أن تقبله: إن اللّٰه يحبك كما أنت ويريدك أن تكون إبناً له (أنت جدير بالحب)؛ إن اللّٰه قد أرسل يسوع كي يموت من أجلك حتى ولو كنت الشخص الوحيد على الأرض (أنت ذو قيمة)؛ أن اللّٰه يثق بك لتبشير وخدمة الآخرين (أنت مفيد)؟ هل يبدو أحد هذه المجالات هو الأكثر بروزاً بينما أنت تتأمل في هذه الأسئلة؟ قد يكون ذلك هو المجال الأول الذي يجب أن تتعامل معه.

إذا كنت تواجه صعوبة في إيجاد مجال واحد للتعامل معه، صلّ من أجله. اطلب من اللّٰه أن يُثقل على قلبك لتجد ذلك المجال المحدد في صورتك الداخلية التي يرغب اللّٰه في جعلها مطابقةٍ مع الصورة التي يراك هو

فيها. صلّ بثقة ورجاء. تذكر أنه هو من يعرفك أكثر وهو من يحبك أكثر! إنه يرغب أن يصبح مفهومك عن هويتك مطابقاً أكثر لمفهومك عمن تكون. قد تريد البدء بصلاتك باستخدام توسل المرنم القائل، " **اخْتَبِرْنِي يَا اَللهُ وَاعْرِفْ قَلْبِي. امْتَحِنِّي وَاعْرِفْ أَفْكَارِي. وَانْظُرْ إِنْ كَانَ فِيَّ طَرِيقٌ بَاطِلٌ وَاهْدِنِي طَرِيقاً أَبَدِيّاً**» (مزمور ١٣٩ : ٢٣-٢٤).

قد تريد من أحدهم الانضمام إليك في هذا البحث، وخصوصاً إذا كان يكشف عن بعض من الذكريات أو التجارب المؤلمة من حياتك الماضية. فكر بالطلب من شريك / شريكة الحياة أو صديق مسيحي مؤتمن، أو راعٍ أو مشيرٍ مسيحي ليصلي معك ولطلب عمل الله التحولي.

٢. جد المساعدة من الكتاب المقدس. ما أن تصبح لديك فكرة عن المجال الأكثر احتياجاً للتحويل، ابدأ بدراسة الكتاب المقدس وهذا الاحتياج في بالك. عندما تبدأ بالقراءة، اطلب من الله أن يطبق كلمته على قلبك وعقلك حتى تتمكن من رؤية نفسك كما يراك هو. عندما تدرس الكلمة، فأنت سوف تكتشف الآيات والفقرات التي هي مصممة خصيصاً لوضعك. قد تكون قد قرأت فقرات كنت قد قراءتها مرات عديدة وتجد فيها شيئاً لم تلاحظه من قبل أبداً، شيئاً مناسباً لك فقط. لنكن أكثر تحديداً، دراسة الكتاب المقدس الهادفة مثل هذه سوف تساعدك على فهم كيف يمكن لصورتك الداخلية أن تتغير.

تمتلك كلمة الله القوة لتحويل الحياة. عندما تدرس وتتأمل فقرات الكتاب المقدس التي تنطبقٍ على احتياجات محددة، فإن النتائج الدرامية المثيرة تصبح ممكنة. كثيراً ما يمكن تفسير هذه النتائج على أنها فقط أعمال فوق طبيعية للروح القدس. يستخدم الروح كلمة الله لإعادة تنظيم وتحويل كيف نرى أنفسنا.

٣. اطلب مساعدة من مؤمنين آخرين. أخيراً، اسمح لأعضاء جسد المسيح أن يكونوا وسائل للروح القدس في عملية تحولك. نحن نتعلم من آية غلاطية ٦: ٢، **« اِحْمِلُوا بَعْضُكُمْ أَثْقَالَ بَعْضٍ وَهَكَذَا تَمِّمُوا نَامُوسَ الْمَسِيحِ.»** أنت لست المسيحي الوحيد الذي يحتاج لصورة أوضح عن هويتك الحقيقية. جميعنا يمر بعملية التعلم لرؤية أنفسنا كما يرانا الله. يذكرنا بولس ويحثنا على مساعدة بعضنا البعض في السعي وراء هذه العملية. كيف؟ بأية طريقة ممكنة. لكن يمكن أن يحدث ذلك فقط عندما نثق ونفضي لبعضنا البعض عن أحمالنا. هذا يعني أنه يجب أن تكون راغباً بمشاركة أحمالك الصعبة مع الآخرين وطلب مساعدتهم وكذلك كي تقدم الدعم لهؤلاء المتألمين من حولك. يجب أن تكون شفافاً وصريحاً بإخبارك للآخرين عن صراعاتك. يجب أن تجعل الآخرين يحبونك ويهتمون بك كما أنت تحبهم وتهتم بهم.

بواسطة التفاعل المحب والمهتم بين أعضاء جسد المسيح، فإننا نختبر محبة الله وخصائصه المميزة على نحو شخصي. عندما نرتبط بعضاً ببعض حسب برنامجه، فإننا نصبح المستفيدين من خصائصه وشخصيته المميزة لدرجة أن حياتنا تتحول. علاقتنا مع المؤمنين هي المحفزة للشفاء في حياتنا. على سبيل المثال، عندما قبلت عزاء ومواساة ورحمة ومغفرة الله بواسطتك، فإني بدأت أرى نفسي كما يراني الله. عندما تقبل تشجيع الله وقبوله بواسطتي، فأنت ترى نفسك بوضوح أكثر كما يراك الله. إذا ما تمّ التعامل معي كشخص له قيمة وتقدير، فإني سوف أرى نفسي ذا قيمة وتقدير. عندما يتم التعامل معك على أنك شخص جدير بالثقة، فأنت سوف تنمي وتتطور ثقة أعظم بنفسك كإبن لله. تتحول صورتنا الداخلية عندما يستخدمنا الروح القدس للإعلان عن المسيح للآخرين.

العملية المتواصلة للمحبة والقبول المتبادلين تنتج سلماً حلزونياً يتجه نحو الأعلى للتحول في جسد المسيح. كلما رأينا أنفسنا كما يرانا الله، كلما كان من السهل علينا قبول أننا جديرون بالمحبة وذوي قيمة ومفيدون. كلما كان قبولنا كما نحن أعظم، كلما كان تجاوبنا مع محبة وقبول الآخرين أكثر سهولة. عندما يرى الآخرون محبة وقبول الله بواسطتنا، يصبحون أكثر ثقة بأنهم محبوبون وذوي قيمة ومفيدون لله. فأنهم بالتالي ينمون كخدام لمحبة الله وقبوله لنا. وهكذا، فإن عملية الخدمة تستمر بينما نحن **نُلاَحِظْ بَعْضُنَا بَعْضاً لِلتَّحْرِيضِ عَلَى الْمَحَبَّةِ وَالأَعْمَالِ الْحَسَنَةِ» (عبرانيين ١٠: ٢٤).**

إنه في سياق هذه البيئة المتحولة التي نتعرض إليها لزيادة مقادير نور الله. عندما يتدفق نور الله علينا ويغمر حياتنا، فلا يسعنا إلا رؤية أنفسنا كما يرانا الله وهذا ما هو موجود في فكر الله تماماً.

الحصول على صورة أكثر وضوحاً عن هويتك

جزء من فهم من أنت يشمل فهم من هو الله وأن تختبر قلبه تجاهك. تأمل بعمق في الحقائق التالية عن الله. اصرف بعض الوقت لكتابة إجاباتك على هذه الأسئلة في دفتر ملاحظات أو مفكرة.

١. الله صبور. نقرأ في رومية ٢: ٤: **« أَمْ تَسْتَهِينُ بِغِنَى لُطْفِهِ وَإِمْهَالِهِ وَطُولِ أَنَاتِهِ.»**

ماذا يعني بالنسبة لك أن الله صبور؟

ماذا يعني بالنسبة لك أن الإله الصبور يريدك أن تنمو وتختبر محبته لك بواسطة محبة واهتمام الآخرين؟

٢. الله يهتم. نقرأ في مزمور ١٠٣: ٤: « **الَّذِي يَفْدِي مِنَ الْحُفْرَةِ حَيَاتَكِ. الَّذِي يُكَلِّلُكِ بِالرَّحْمَةِ وَالرَّأْفَةِ.**»

ماذا يعني بالنسبة لك أن الله يحيطك بالمحبة وبالرحمة الرأفة؟

ماذا يعني بالنسبة لك أن الله يهتم بك كثيراً ككل لدرجة إنه يحيطك بالأشخاص المحبين والرحيمين؟

جزء ثانٍ من فهم من أنت يتضمن سماع ما يقوله الله عمن تكون. استمع لصوتٍ الله يتحدث إليك:

١. يقول الله، «أنت مميز.» نقرأ في تثنية ٤: ٢٠: « **وَأَنْتُمْ قَدْ أَخَذَكُمُ الرَّبُّ ... لِتَكُونُوا لهُ شَعْبَ مِيرَاثٍ كَمَا فِي هَذَا اليَوْمِ.**»

خذ هذه الآية واجعلها شخصية بالنسبة لكَ: «أنقذني الله كي أكون خاصته ومن مقتنياته الخاصة. يمكنني القول بكل ثقة أنني من ممتلكات الله الخاصة.»

ماذا يعني بالنسبة لك أن الله يريدك أن تكون إبناً خاصاً له؟

هل تشعر بقلب الله تجاهك بينما هو ينقذك ويجعلك من خاصته؟

٢. يقول الله، «أنت تنمو.» نقرأ في تسالونيكي الأولى ٣: ١٢: « **وَالرَّبُّ يُنْمِيكُمْ وَيَزِيدُكُمْ فِي الْمَحَبَّةِ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ وَلِلْجَمِيعِ، كَمَا نَحْنُ أَيْضاً لَكُمْ.**»

خذ هذه الآية واجعلها شخصية بالنسبة لك: «سيجعل الله محبتي تنمو وتتدفق على الناس من حولي، كما تتدفق محبة الآخرين علينا.

ماذا يعني بالنسبة لك أن الله يريدك أنت تنمو وتجعل ذلك يحدث للآخرين؟

هل تشعر بقلب الله اتجاهك بينما هو يساعدك على النمو كي تصبح شبهه؟

اصرف بعض الوقت لتشكر الله على ما أعلنه عن نفسه لك. استمع له وهو يتكلم بهذه الكلمات لقلبك خلال الأيام والأسابيع القادمة. دع هذه الحقائق من الكتاب المقدس تشق طريقها بعمق في قلبك وفي هويتك.

الفصل الرابع عشر

الرؤية الأوضح عمن تكون

عندما قرأنا في الفصل التاسع القصة عن كيف أن يسوع أعاد لعازر إلى الحياة، فقد لاحظنا أن يسوع أحياه ومن ثمَّ أمر أصدقائه وأفراد عائلته أن يحلوا أكفانه حتى يتمكن من التحرر. لكن يتحرر من ماذا؟ ماذا كانت الغاية من حرية لعازر؟

دعونا نسأل نفس السؤال عن أنفسنا؟ ما هي الغاية من استرداد مفهومنا لهويتنا؟ هل لمجرد جعلنا نشعر على نحو أفضل تجاه أنفسنا؟ هل لمجرد جعلنا أحراراً من أجل الحرية ذاتها؟

كلا. لله غاية أكثر عمقاً لاسترداد وترميم صورتنا الداخلية الخاطئة. إنه يريد منا أن نكون مقتنعين تماماً بأننا جديرون بالحب وذوي قيمة وكفاءة لأن لديه عملاً يريدنا أن نقوم به.

هل تدركون أنه أنا وأنتم عطايا الله للعالم؟ إذا لم نكن كذلك، فليس هناك سبب لوجودنا هنا. سيكون مفهوماً أكثر لو أن الله أخذنا مباشرة إلى السموات في نفس اللحظة التي وثقنا بها في المسيح. حقيقة أنه يتركنا هنا على الأرض حتى بعد الانتماء إليه تخبرنا أننا عطايا للبشرية، وأنه لدينا غاية مميزة لكوننا موجودون هنا. غايتنا مرتبطة بكيفية رؤية الله لنا وكيف نرى نحن أنفسنا. إنه لأمر حيوي وهام لإحساسنا بالهوية أن نفهم ما هي غايتنا في الحياة.

بوب هو «صياد رؤوس» مدراء تنفيذيين، وهو شخص يبحث بقوة وكفاح شديدين لتوظيف المدراء التنفيذيين لشركات أخرى. كان يشرح لي في أحد

الأيام كيف كان يقابل المرشحين للمنصب، فقال، «يا جوش، عندما أجد المدير التنفيذي الذي أريد أن أعرفه أكثر، فأنا أحب أن أجرده من أسلحته. إني أجعله يأتي إلى مكتبي وأقدم له كأساً من المشروب. اخلع بعد ذلك معطفي وأحل ربطة عنقي وأضع قدمي على المكتب. ابدأ بطرح أسئلة تتعلق باهتماماته: أنواع الرياضة وهواياته وأنواع الكتب وعن عائلته وعن أي شيء يخطر ببالي. عندما يبدو عليه الاسترخاء والراحة وأنه لا يشعر بالتهديد أبداً، فأني أنحني للأمام وأنظر إليه في عينيه مباشرة واسأله، ' ما هي غايتك من الحياة؟ ' يا له من أمر مذهل أن ترى مدراء تنفيذيين على مستوٍ عالٍ من الكفاءة ينهارون عندما يسمعون ذلك السؤال. إنهم لا يعرفونَ كيف يجيبون.»

استمر بوب قائلاً، «لكن أحد المرشحين للمنصب الذي قابلته مؤخراً أدهشني بالفعل. بعدما وضعت قدمي على المكتب، وكنا نتحدث عن لعبة كرة القدم الأمريكية. كان هذا الشخص مرتاحاً تماماً. ثمَّ أطبقت عليه بسؤالي القاتل، ' ما هي غايتك من الحياة يا ناثان؟ ' نظر ناثان إليّ مباشرة وقال دون أن يرمش له جفن، ' غايتي من الحياة هي الذهاب إلى السموات وأن أخذ معي أكبر عدد ممكن من الناس. ' ولأول مرة في تاريخ مهنتي كنت صامتاً لا استطيع الكلام!»

لقد أحببت إجابة ناثان، ولقد استخدمتها للإجابة على تساؤلاتي أنا. أدرك ناثان أنه «قد تمَّ «حله - تحريره» كي يستطيع «حل - تحرير» الآخرين. عرف ناثان أن المسيح أحياه وأرسله حراً كي يتجهز ليكون عضواً من جسد المسيح كي يحرر آخرين أيضاً.
الإحساس الجيد بهويتك الحقيقية بأنك إبن اللّٰه المحبوب وذو القيمة والكفاءة يجب أن يولد الرغبة لديك في أن تصبح جزءاً من خطة اللّٰه للفداء. عندما تدرك مفهوم أن اللّٰه خلق الجميع على صورته وأرسل

المسيح ليموت من أجل الجميع، فأنت تريد مشاركة محبته معهم. مثلك مثل ناثان، أنت لن تكون راضياً أن تكون وحدك في السماوات. أنت تريد أن تأخذ معك الآخرين الذين مات المسيح من أجلهم. هذه هي غايتنا من وجودنا هنا.

قد تقول، «ولكن يا جوش، القليل جداً، هذا إذا لم يكن أي أحد، من الناس جاء إلى المسيح مباشرة بسبب كلامي معهم عنه.» قد يكون ذلك صحيحاً. لكن من المرجح أيضاً أن عدداً من الناس في طريقهم للوثوق في المسيح بسبب من أنت في المسيح وكيف تتواصل معهم بمحبته. لا يجب عليك قيادة غير المؤمنين إلى مذبح الكنيسة لتحقيق غايتك. الطريقة التي تعيش حسبها سوف تشير إلى بعض الأمور التي تختلف عمن تكون. إذا كنت كمسيحي ترى نفسك كابن الله المحبوب وذا قيمة وكفاءة، فأنت توصل شيئاً من البشارة إلى الآخرين. وعندما تضيف إلى شهادتك حسب عيشك إلى العنصر الرئيسي لإخبار الشهادة - التكلم عن المسيح عندما تسنح الفرص - فأنت على الأرجح سوف ترى المزيد من الناس يأتون إلى المسيح بواسطة جهودك.

يريد الله منا أن نكون مقتنعين تماماً بأننا جديرون بالحب وذوي قيمة وكفاءة لأن لديه عملاً يريدنا أن نقوم به

الشهادة: تترفق من شخصيتنا

طبع تدريبنا المسيحي الفكرة في أذهان الكثيرين منا أنه يتوجب علينا أن نشارك المسيح مع آخرين. بالنسبة لنا نحن الأشخاص الذين لا نمتلك الإحساس الواضح عمن نكون كأبناء الله المحبوبين وذوي القيمة والكفاءة، فإن التحدي للشهادة ينتج فقط ذنباً أعظم بينما السنوات تمر ونحن لم

نرَ أي أحد يأتي إلى المسيح بواسطتنا. بالحقيقة، فإنه يبدو أن الصورة الداخلية تصبح أكثر تشوهاً وتحريفاً لأننا نشك أن اللّٰه يحبنا أقل بسبب عدم إثمارنا كشهود له.

الكثير من المسيحيين مقتنعين أن حياتهم ليست جيدة بما فيه الكفاية بالنسبة لهم كي يصبحوا شهود بالكلام. إنهم يقولون، «يجب أن نصوب أوضاعنا أولاً قبل أن يصبح باستطاعتنا إخبار الآخرين عن المسيح.» المشكلة هي أنهم لن يستطيعوا تصويب أوضاعهم بالكامل أبداً. لذلك، فإن مثل هؤلاء الأشخاص يعيشون حياتهم محاولين جعلها «جيدة بما فيه الكفاية»، ولكنهم يقصرون دائماً مما يقودهم للإحساس بالذنب والإحباط واليائس. يخاف بعض الناس الآخرين من ردود الأفعال السلبية التي قد يتلقونها عندما يخبرون آخرين عن المسيح. إنهم لا يريدون مضايقة الناس أو جعلهم يغضبون، لذلك فإنهم لا يقولون أي شيء. آخرين يكونون مقتنعين أنهم سيقومون بجهودهم بغير إتقان لمشاركة البشارة، مما يجعلهم يتركون المستمعين في حيرة وتشويش أكثر.

مخاوف وأعذار مثل تلك هي أمور ميتة تُقدم مجاناً موحية أن الشهادة تُرى على نحو رئيسي على أنها شيء نحن نعمله بدلاً من أنها شيء يتدفق مِن مَن نكون. والتركيز على العمل يعكس الإحساس الضعيف بالهوية في المسيح لأن المسيحية مؤسسة على الكينونة أكثر منها على العمل. إذا كان أحد المخاوف التي ذكرناها آنفاً يصف أو يميّز استجابتك للشهادة، فإنه قد يكشف عن مجال يحتاج فيه إحساسك بالهوية إلى التحول.

إذا كنت تشعر أنك لست «جيداً بما فيه الكفاية» للشهادة من أجل المسيح، فأنت تمتلك إحساساً محدوداً بمحبة الله لك. كلما ازدادت رؤيتك لنفسك كما يراك الله - مقبولاً ومغفورة لك خطاياك ومخلوقاً على صورته دون أية شروط - كلما تلاشت كيفية رؤيتك لعيوبك ونقصك كعراقيل. كن مدركاً أن الله يحبك ويريد استخدامك حتى ولو كنت ما تزال «في عملية» النضج المسيحي. إذا انتظرنا الله جميعنا كي نصل إلى مرحلة النضج الكامل قبل أن يرسلنا لمشاركة البشارة مع الناس، فإنه سوف يضطر للانتظار حتى نذهب إلى السموات! علاوة على ذلك، إذا كنا جميعنا كاملين، فإن هؤلاء الأشخاص الذين سوف نشاركهم البشارة سيصابون بالإحباط معتقدين أنهم لن يصلوا أبداً إلى معاييرنا. بل بالحري، محبة الله والشهادة له تتدفق بحرية أكثر من هؤلاء الأشخاص الذين يرون أنفسهم محبوبين ومقبولين على الرغم من عيوبهم ونقائصهم.

إذا كنت خائفاً من ردود الأفعال السلبية التي قد تتعرض لها بينما أنت تشهد، فأنت تمتلك إحساساً محدوداً بقيمتك أمام الله. كونك معتمد بالكامل على الآخرين من أجل الاستحسان يوحي أنك تمتلك رؤية دونية عن قيمتك الجوهرية بالنسبة للخالق. ما الذي تخاف منه؟ الله يفكر بك ويقدرك كثيراً لدرجة أنه سمح بموت إبنه من أجلك. أنت محبوب وذو قيمة أمام ملك الكون. حتى لو أن كل شخص تعرفه رفض الاستماع لك، فإن قيمتك لا تزال عالية المقام بالنسبة لله. الخوف من ردة فعل الآخرين فيما يتعلق بشهادتك يجب أن يدفعك قدماً بالصلاة لبناء ذلك العمود الثاني من هويتك، قيمتك بالنسبة لله.

إذا كنت معارضاً أو متردداً للشهادة لأنك تخاف من أن تقول الشيء الخاطئ أو تتلعثم وتتعثر بكلماتك، فأنت تمتلك إحساساً محدوداً بفائدتك لله

وكفاءتك فيه. بمعنى من المعاني، فأنت تقول لله، «أنا أعرف أنك تريدني أن أشهد، لكن يجب عليك استخدام شخص آخر أكثر مهارة وثقة لأنني لا أمتلك كلتيهما.» التشديد على الشهادة هو ليس على ما تقوله أو كيف تقوله على نحو أفضل. بل بالحري، إنها التشديد على من أنت كابن الله المحبوب. أنت فريد ومفيد بالنسبة له كما أنت تماماً. لا يوجد أي شخص آخر من ضمن الستة مليارات شخص في العالم يشبهك. يعرف الله نقاط قواك وضعفاتك، ويمكنه استخدامك بغض النظر عن عدم الكفاءة التي قد تشعر بها في بعض الأحيان. كل ما تحتاجه هو أن تصلي هكذا، «أريد يا الله أن أكون كما خلقتني كي أكونه. وسوف أشارك إيماني بأفضل طريقة أعرفها وترك النتائج لك.»

اكتساب الحق لأن تُسمع

عنصر رئيسي هام لمشاركة المسيح مع العالم هو بكل بساطة القيام بأعمال الخير مع الآخرين. يتم نصحنا وتذكيرنا في كل الكتاب المقدس عما هو جيد وخير من أجل الآخرين. يعلمنا بولس قائلاً، " **فَلْيُرْضِ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا قَرِيبَهُ [من أجل الآخرين] لِلْخَيْرِ لأَجْلِ الْبُنْيَانِ**" (رومية ١٥: ٢). ويكتب في مكان آخر قائلاً، " **فَإِذاً حَسْبَمَا لَنَا فُرْصَةٌ فَلْنَعْمَلِ الْخَيْرَ لِلْجَمِيعِ، وَلاَ سِيَّمَا لأَهْلِ الإِيمَانِ**" (غلاطية ٦: ١٠). أنه يشجعنا قائلاً، " **أَمَّا أَنْتُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ فَلاَ تَفْشَلُوا فِي عَمَلِ الْخَيْرِ**" (تسالونيكي الثانية ٣: ١٣). ويضيف قائلاً، " **فَلاَ نَفْشَلْ فِي عَمَلِ الْخَيْرِ لأَنَّنَا سَنَحْصُدُ فِي وَقْتِهِ إِنْ كُنَّا لاَ نَكِلُّ**" (غلاطية ٦: ٩). عندما نفعل الخير من أجل الناس الآخرين، فإنه سوف تسنح لهم الفرصة لرؤية المخلص فينا.

إضافة إلى الإعلان عن نفسه بواسطة فعل الخير من أجل الآخرين، فإن الله يظهر نفسه أيضاً لأشخاص آخرين عندما نبذل قصارى جهدنا في كل موقف. يتحدى بولس أهل غلاطية قائلاً، "**وَلَكِنْ لِيَمْتَحِنْ كُلُّ وَاحِدٍ**

عَمَلَهُ، وَحِينَئِذٍ يَكُونُ لَهُ الْفَخْرُ مِنْ جِهَةِ نَفْسِهِ فَقَطْ، لاَ مِنْ جِهَةِ غَيْرِهِ» (غلاطية ٦: ٤). الرغبة في أن تبذل قصارى جهدك هي ليست نفس الرغبة في أن تكون الأفضل في شيءٍ ما. محاولة بذل قصارى جهدك يعني أنك تقارن نفسك مع الآخرين، وهذا ما لا يشجع عليه الكتاب المقدس. بذل قصارى جهدك من أجل الآخرين يسحب التركيز عن ذاتك ويسمح للّه أن يتمجد بواسطة أعمالك. عندما تستخدم مواهبك ووزناتك وقدراتك وقوة الروح القدس، فلن يكون مهماً ما الذي يفعله الأشخاص الآخرون. سوف يستخدم اللّه جهودك لجذب الناس إليه.

في سلام مع من تكون

بينما كنت أدخل في أحد الأيام إلى الطائرة، رأيت شيئاً غريباً. كانت مضيفة الطيران التي تستقبل الركاب الصاعدين تحمل دستة من الورود الجميلة. لقد سافرت بالطائرات التجارية آلاف السفرات بكل ما تحمله الكلمة من معنى، ولكني لم أرَ في حياتي أبداً مضيفة طيران تحمل باقة من الورود.

توقفت وسألتها، «هل أهداكِ صديقكِ هذه الورود؟»

فأجابت، «كلا.»

«زوجكِ إذن؟»

هزت رأسها نفياً.

فضغطت عليها بسؤالي قائلاً، «من إذن؟ من الذي أهداكِ إياها؟»

فأجابت وهي تبتسم ابتسامة عريضة، «لقد اشتريتها لنفسي.»

ذهبت إلى مقعدي ورتبت حقائبي في الأمكنة المخصصة لها في الرف من فوقي، ومن ثمَّ عدت إلى الأمام حيث قدمت نفسي لمضيفة الطيران. أثناء محادثتنا، قلت لها أني كنت في خدمة مسيحية، فأخبرتني أنها هي مؤمنة أيضاً.

ما زلت أشعر بالفضول حيال الورود. سألتها قائلاً، «لماذا ابتعتِ لنفسكِ دستة من الورود؟»
فأجابت على الفور، «لأنني أحب نفسي.»

يا لها من خطة رائعة لمشاركة المسيح مع الآخرين! كيف نرى أنفسنا يمكنه أن يعمل كل الفرق في فعّالية شهادتنا المعيشية والكلامية. عندما ننمو بسلام عالمين أن الله يحبنا ويقدرنا ويستخدمنا، فإننا نصبح من دعاهم بولس "رَائِحَةُ حَيَاةٍ لِحَيَاةٍ" لهؤلاء الأشخاص الذين يبحثون بيأس عن السلام الذي نتمتع به كأبناء لله (كورنثوس الثانية ٢: ١٦).

لم يوجد أي شخص كان بسلام مع هويته كخليقة الله أكثر من الملك داود. فيما يلي مزمور تسبيح كان قد كتبه للاحتفال بحضور ومعرفة وسلطان الله في كل مظهر من مظاهر حياته.

يَا رَبُّ قَدِ اخْتَبَرْتَنِي وَعَرَفْتَنِي.
أَنْتَ عَرَفْتَ جُلُوسِي وَقِيَامِي. فَهِمْتَ فِكْرِي مِنْ بَعِيدٍ.
مَسْلَكِي وَمَرْبَضِي ذَرَّيْتَ وَكُلَّ طُرُقِي عَرَفْتَ.
لأَنَّهُ لَيْسَ كَلِمَةٌ فِي لِسَانِي إِلاَّ وَأَنْتَ يَا رَبُّ عَرَفْتَهَا كُلَّهَا.
مِنْ خَلْفٍ وَمِنْ قُدَّامٍ حَاصَرْتَنِي وَجَعَلْتَ عَلَيَّ يَدَكَ.
عَجِيبَةٌ هَذِهِ الْمَعْرِفَةُ فَوْقِي. ارْتَفَعَتْ لاَ أَسْتَطِيعُهَا.
أَيْنَ أَذْهَبُ مِنْ رُوحِكَ وَمِنْ وَجْهِكَ أَيْنَ أَهْرُبُ؟
إِنْ صَعِدْتُ إِلَى السَّمَاوَاتِ فَأَنْتَ هُنَاكَ وَإِنْ فَرَشْتُ فِي الْهَاوِيَةِ فَهَا أَنْتَ.
إِنْ أَخَذْتُ جَنَاحَيِ الصُّبْحِ وَسَكَنْتُ فِي أَقَاصِي الْبَحْرِ
فَهُنَاكَ أَيْضاً تَهْدِينِي يَدُكَ وَتُمْسِكُنِي يَمِينُكَ.

لأَنَّكَ أَنْتَ اقْتَنَيْتَ كُلْيَتَيَّ. نَسَجْتَنِي فِي بَطْنِ أُمِّي.
أَحْمَدُكَ مِنْ أَجْلِ أَنِّي قَدِ امْتَزْتُ عَجَباً. عَجِيبَةٌ هِيَ أَعْمَالُكَ وَنَفْسِي تَعْرِفُ ذَلِكَ يَقِيناً.
لَمْ تَخْتَفِ عَنْكَ عِظَامِي حِينَمَا صُنِعْتُ فِي الْخَفَاءِ وَرُقِمْتُ فِي أَعْمَاقِ الأَرْضِ.
رَأَتْ عَيْنَاكَ أَعْضَائِي وَفِي سِفْرِكَ كُلُّهَا كُتِبَتْ يَوْمَ تَصَوَّرَتْ إِذْ لَمْ يَكُنْ وَاحِدٌ مِنْهَا.
مَا أَكْرَمَ أَفْكَارَكَ يَا اللهُ عِنْدِي! مَا أَكْثَرَ جُمْلَتَهَا (مزمور ١٣٩: ١-١٠، ١٣-١٧).

هذه أفكار رجل كان في سلام مع نفسه كخليقة الله المحبوب والعزيز جداً. فلا عجب أن الله استخدمه بفعّالية كملك إسرائيل القديمة على الرغم من فشله الواضح لعدة مرات. ولا عجب أن مزاميره كانت ذات شهادة قوية جداً عن محبة الله وخلاصه عبر القرون كلها. يوحي لي مثال داود بأن معرفة الله المتنامية والفهم المتزايد لكيف يرانا الله هي متطلبات أساسية لا مفر منها للشهادة الفعّالة. حفظ الآيات الكتابية وأن يكون لديك خطة للشهادة خطوة بخطوة هي أمور مهمة جداً. لكن هذه الوسائل ليست بديلاً عن الشهادة التي تتدفق من حياة المسيحيين الذين يعرفون من هم في المسيح ويحبون أنفسهم لهذا السبب.

غرفة مليئة بالورود

كنت أمضي أمسية رأس السنة الجديدة وحيداً في غرفة فندق على شاطئ لاغونا في كاليفورنيا لعدة سنوات بعيداً عن بيتي وعائلتي. أكون قد خططت في هذه الأيام لجولة تكلم تمتد ما بين عيد الميلاد ورأس السنة. كنت ابدأ من الشاطئ الشرقي، حيث أمضي أنا وعائلتي يوم عيد الميلاد في بيت أهل دوتي. ابدأ في اليوم التالي أسبوع السفر لأتكلم في

مؤتمرات للطلاب في النهار والليل حتى ينتهي بي المطاف على الساحل الغربي في ليلة رأس السنة الجديدة. تكون عائلتي لا زالت موجودة في ولاية نيو إنجلاند، وأكون أنا قد أُرهقت عاطفياً وجسدياً وروحياً. كانت تلك الليالي من أكثر ليالي الوحدة التي اختبرها في حياتي.

سافرت في إحدى السنوات إلى جنوب كاليفورنيا واصطحبني من المطار صديقي دون ستيورات. بينما كنا في طريقنا عبر وادي لاغونا إلى الفندق، مررنا بجانب كوخ حيث يوجد فيه زوجان يبيعان الورود. طلبت من دون أن يتوقف، وعندما توقف نزلت من السيارة وابتعت خمس دستات ضخمة من الورود. لقد كان تحدياً كبيراً بالنسبة لي أن إدخال نفسي والخمس دستات من الورود في سيارة دون هوندا سيفك الصغيرة، لكني بطريقة ما نجحت.

قاد دون السيارة بصمت، ولكني كنت أعلم أنه كان يتساءل في قرارة نفسه عن عملية الشراء الغريبة هذه. لقد كنت متأكداً من أنه كان يفكر كالتالي، ما الذي يفعله؟ إنه وحده. زوجته وأولاده على بعد ثلاثة آلاف ميل عن هنا . إنه ذاهب إلى غرفة في فندق في ليلة رأس السنة - ومعه خمس دستات ورود! لقد عرفت جوش لعدة سنوات. هل هو فعلاً القائد المسيحي الذي كنت اعتقد أنه هو؟

مشينا بالسيارة لعدة أميال ونحن صامتين. ثمَّ صرخ دون بدون تفكير قائلاً، «حسناً يا جوش، لقد استسلمت. لماذا كل هذه الورود؟»

فرويت له بكل حماسة قصة مضيفة الطيران التي ابتاعت لنفسها دستة ورود. وختمت قائلاً، «ابتعت هذه الورود لتذكرني بمن هو اللّٰه وماذا فعل يسوع من أجلي ومن أنا بنعمة اللّٰه. سأضع في هذه الليلة كل تلك

الورود في جميع أرجاء الغرفة التي سأنزل بها لتذكرني أن اللّٰه يحبني ويهتم بي ويغفر لي وأنني أقبل نفسي على أنني صنيعته وخليقته الفريدة. سوف تساعدني هذه الورود على أن أبقى شاكراً وممتناً لأن اللّٰه قد استخدمي هذا الأسبوع لأشارك محبته مع العالم حتى ولو كان ذلك يعني أن أمضي ليلة رأس السنة الجديدة في غرفة في فندق وحيداً.»

من الممكن أنه قد حان الوقت لأن تخرج وتبتاع لنفسك دستة ورود. أو من الممكن أنك بكل بساطة بحاجة لأن تقول للّٰه، «شكراً لك يا إلهي على من أنا. شكراً لأنك تحبني محبة غير مشروطة ولأنك تعتبرني استحق تضحية إبنك ولأنك تستخدمني لمشاركة محبتك مع آخرين. أريد أن أرى نفسي كما تراني تماماً. أريد رؤية الآخرين كما أنت تراهم تماماً. أني أُخضع لك كل قيودي وشكوكي لتجعل مني أداة أفضل لمشاركة محبتك مع العالم.»

الحصول على صورة أكثر وضوحاً عن هويتك

جزء من فهم من أنت يشمل فهم من هو اللّٰه وأن تختبر قلبه تجاهك. تأمل بعمق في الحقائق التالية عن اللّٰه. اصرف بعض الوقت لكتابة إجاباتك على هذه الأسئلة في دفتر ملاحظات أو مفكرة.

١. اللّٰه مسرف في محبته. نقرأ في تثنية ٧: ٧-٨: **"لَيْسَ مِنْ كَوْنِكُمْ أَكْثَرَ مِنْ سَائِرِ الشُّعُوبِ الْتَصَقَ الرَّبُّ بِكُمْ وَاخْتَارَكُمْ لأَنَّكُمْ أَقَلُّ مِنْ سَائِرِ الشُّعُوبِ ... بَل مِنْ مَحَبَّةِ الرَّبِّ إِيَّاكُمْ."**

ماذا يعني بالنسبة لك يسرف بمحبته عليك؟

ماذا يعني لك أن هذا الإله المسرف في محبته يريد منك أن تشارك هذه المحبة المتدفقة مع آخرين؟

٢. اللّٰه كافٍ. نقرأ في عبرانيين ١٣: ٢٠-٢١: **« وَإِلَهُ السَّلاَمِ الَّذِي أَقَامَ مِنَ الأَمْوَاتِ رَاعِيَ الْخِرَافِ الْعَظِيمَ، رَبَّنَا يَسُوعَ، بِدَمِ الْعَهْدِ الأَبَدِيِّ لِيُكَمِّلْكُمْ فِي كُلِّ عَمَلٍ صَالِحٍ لِتَصْنَعُوا مَشِيئَتَهُ، عَامِلاً فِيكُمْ مَا يُرْضِي أَمَامَهُ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي لَهُ الْمَجْدُ إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ. آمِينَ.»**

ماذا يعني بالنسبة لك أن اللّٰه سوف يجهزك وسوف يمنحك كل ما تحتاجه لعمل مشيئته؟

ماذا يعني بالنسبة لك أن اللّٰه سوف يثمر فيك ما يرضيه؟

جزء ثانٍ من فهم من أنت يتضمن سماع ما يقوله اللّٰه عمن تكون. استمع لصوت اللّٰه يتحدث إليك:

١. يقول اللّٰه، «أنت شاهداً لي.» نقرأ في أعمال ١: ٨: **« لَكِنَّكُمْ سَتَنَالُونَ قُوَّةً مَتَى حَلَّ الرُّوحُ الْقُدُسُ عَلَيْكُمْ وَتَكُونُونَ لِي شُهُوداً.»**

خذ هذه الآية واجعلها شخصية بالنسبة لك: «أرسل اللّٰه الروح القدس إلى حياتي. بقوة الروح القدس، فأنا شاهد للآخرين عن كل ما فعله اللّٰه من أجلي.»

ماذا يعني بالنسبة لك أن حياتك هي عبارة عن حياة شهادة عن محبة اللّٰه؟

هل تشعر بقلب اللّٰه تجاهك بينما هو يختارك كي تكون واحداً من شهوده؟

٢. يقول اللّٰه، «أنت مدعو من قبل اللّٰه.» نقرأ في رومية ١: ٦: **« الَّذِينَ بَيْنَهُمْ أَنْتُمْ أَيْضاً مَدْعُوُّو يَسُوعَ الْمَسِيحِ.»**

خذ هذه الآية واجعلها شخصية بالنسبة لك: «أنا مدعو - من قبل إله هذا الكون - كي أكون إبنه - وللانتماء إليه ولكي أشارك محبته مع الآخرين.»

ماذا يعني بالنسبة لك أن اللّٰه قد دعاك وجهزك كي تكون شاهداً له؟

هل تشعر بقلب اللّٰه تجاهك وهو يدعوك؟

اصرف بعض الوقت لتشكر اللّٰه على ما أعلنه عن نفسه لك. استمع له وهو يتكلم بهذه الكلمات لقلبك خلال الأيام والأسابيع القادمة. دع هذه الحقائق من الكتاب المقدس تشق طريقها بعمق في قلبك وفي هويتك.

من أنت؟

من الذي أخبرك عمن تكون؟

هل يعجبك ما تراه؟

ليس من السهل دائماً أن تحب وتقبل نفسك كما أنت عليه فعلياً. قد تكون تجربتك قد أقنعتك أن هويتك تشكلت حسب مظهرك وكيفية أدائك وما الذي تنجزه. لكن يمكن إعادة تشكيل هويتك عندما تصبح قادراً على رؤية نفسك كما يراك الله – لا أكثر ولا أقل.

فيما يلي وفي هذا الطبعة المنقحة للكتاب الأكثر مبيعاً صورته وصورتي، فإنك سوف:

- تكتشف الأسس الكتابية للهوية الذاتية السليمة
- تعيد توضيح صورتك الذاتية
- تتعلم تقبل وتجسيد أن الله يراك جديراً بالحب وذا قيمة وكفاءة
- تصبح تعرف نفسك كما يعرفك الله فعلياً

بغض النظر عن حياتك الماضية، فإن الله يحبك كما أنت فعلياً – وهو يحب ما يراه. لهذا السبب اتخذ الله خطوات للتضحية الذاتية فوق الطبيعية ليقيم علاقة معك. أقبل هذه العلاقة واختبر البهجة الحقيقية لكونك من تكون.



جوش ماكدويل متحدث ومؤلف وممثل رحالة مشهور لخدمة حياة المحبة. تخرج من كلية ويتون و معهد تالبوت اللاهوتي (Wheaton College and Talbot Theological Seminary)، وألّف أكثر من خمس وأربعين كتاباً بما فيها نجار وأعظم وبرهاناً يتطلب قراراً والحق من الخطأ. يعيش جوش وزوجته، دوتي، وأولادهما الأربعة في لوكاس، تكساس.



9 780842 318327



0 31809 01832 3